القسم الرابع

الفصل الأول

الدولة الاموية في الاندلس

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء في أفواههم وما تخفي صدورهم اكبر ، قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون » صدق الله العظيم .
آل عمران – ١١٨ –

١ ـ الوضع العام .

٢ ـ الوضع على الجبهة الشمالية .

٣ ـ الوضع الداخلي .

٤ ـ عبد الرحمن الداخل في الاندلس .

آ ـ الاصلاحات ، واعادة التنظيم – تشكيل الجيش المحترف .

ب ـ استراتيجية الردع – تنظيم الصوائف وحماية الثغور .

حـ ـ سياسة الاحلاف .

د ـ عبد الرحمن الداخل وبناء الدولة .

٥ ـ هشام بن عبد الرحمن واستراتيجية الهجمات الوقائية .

آ ـ العمليات في جيليقيه .

ب ـ العمليات في ناربون ، واكيتانيا .

حـ ـ معاودة نقل محور ثقل العمليات الى جيليقيه ـ موقعة الصخرة .

٦ ـ الحكم بن هشام بن عبد الرحمن واستراتيجية الردع .

جدول توقيت الأحداث

آ ـ الوضع العـــام .

ب ـ الوضع الخــاص .

حـ ـ مسيرة الاعمال القتالية :

١ً ـ الهجوم الوقائي الأول .

٢ً ـ سقوط برشلونه .

٣ً ـ استعادة تطيله .

٤ً ـ هجوم وقائي جديد .

٥ً ـ استراتيجية الردع ـ معركة وادي الحجارة .

٦ً ـ اخضاع التمرد في طليطله .

٧ً ـ تطوير عمليات الردع .

الدولة الأموية في الأندلس

الوضع العام

توالى على حكم الاندلس بعد مقتل عبد الرحمن الغافقي في معركة بلاط الشهداء ١١٤ هـ - ٧٣٢ م ستة من الولاة ، اولهم عبد الملك بن قطن الفهري ١١٤ - ١١٦هـ -٧٣٢ - ٧٣٤م وآخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري ١٢٩-١٣٨ هـ - ٧٤٦ - ٧٥٦ م .[١]

- حاول هؤلاء الولاة متابعة الفتوحات ومقاومة الحركات المناوئة والثورات المضادة ، فعمل عبد الملك بن قطن على غزو اقليم البشكنس « منطقة الباسك جنوب غرب فرنسا حالياً » بعد ان جعلت المقاومة من هذا الاقليم مستقراً لنشاطها ومنطلقاً لعملياتها ونجح الفهري في القضاء على المقاومة لكنه اضطر للقسوة واستخدام العنف في اخضاع حركات «الثورة المضادة» مما جعله مكروهاً ، وعندما جاء بعـــده عقبة بن الحجاج السلولي ١١٧- ١٢٣ هـ - ٧٣٥- ٧٤١م ، ركز جهده على الفتوحات الخارجية وتحصين الثغور [**..حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة «ناربون» وصار رباطهم على نهر ردونة « الرون »...**][٢] ، وكان من بين ما حصنه المسلمون اقليم اللانغدوك[٣] حتى ضفاف الرون ، واقاموا الحاميات في الحصون والقلاع ، كما نظم عقبة الهجمات على دوفينيه[٤] وهو الاقليم

....

(١) انظر الملحق ففيه جدول يضم اسماء الولاة وتسلسلهم .

(٢) نفح الطيب ١ - ٢٣٧ و ٣ - ٢٦ ، وغزوات العرب ١١١ .

(٣) اللانغدوك Languedoc .

(٤) دوفينيه Dauphine .

الواقع شمال البروفانس وغرب سافوا وشرق ليون ، ودمر المسلمون بلدة سان بول[1] بسبب مقاومتها واحتلوا فالانس[2] الواقعة على الرون ..

ـ وفي الوقت ذاته دعم عقبة اعمال الهجوم على امتداد ساحل البروفانس وهي الأعمال التي فرضت وجود المسلمين في ليرين[3] وعين الطيب [4] التي كان القسس والرهبان قد جعلوها مستقراً لهم، وعندما هاجمهم المسلمون عام ١٢٢هـ ـ ٧٣٩ م كان هناك خمسمائة راهب يتزعمهم الراهب « بورسير »[5] الذي ضم اليه رجال الكنيسة من ايطاليا وفرنسا وسائر اوروبا . وقد طالبهم المسلمون كما هي عادتهم بالجزية او الدخول في الاسلام او الحرب،ورفض القسس فاضطر المقاتلون المسلمون لاعدامهم .

ـ خلال هذه الفترة من حكم الولاة أخذت الخلافات الداخلية تظهر على شكل ثورات مضادة ، فقام البربر ضد العرب بثورة كانت استمراراً لثورتهم في شمال افريقيا ، ونهض أهل الاندلس فأعادوا لحكمهم عبد الملك بن قطن ، وبقي فيها فترة قصيرة واستمر الاضطراب حتى جاء أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي ومعه أهل الشام فاستقر له الوضع في بداية أمره ، وانصرف الى تنظيم الأمور الداخلية ، وفي فترة ولايته أصبحت قرطبة تضيق بأهل الشام فعمل على توزيعهم في الأقاليم .

(١) سان بول : المعروفة بالثلاثة قصور ودونزير
Saint Paul et Trois Chateaux et Donzère .

(٢) فالانس Valence في منتصف المسافة تقريباً بين ليون وافينيون على نهر الرون .

(٣) ليرين Lerin .

(٤) عين الطيب : هي مدينة انتيب Antibes الواقعة على البحر الابيض المتوسط جنوب فرنسا في مقاطعة « الالب ـ ماريتيم » التي مركزها « غراس » ومدينة انتيب الى الشرق من نيس على الشاطيء اللازوردي Cote d'Azur .

(٥) الراهب بورسير : جعلوه قديساً بعد موته وهو Saint Porcair .

[.. فانزل أهل دمشق البيرء لشبهها بها وسماها دمشق وانزل اهل حمص اشبيليا وسماها حمص واهل قنسرين بجيان وسماها قنسرين واهل الاردن ريه ومالقة وسماها الاردن واهل فلسطين شنونة وهي شريش وسماها فلسطين واهل مصر تدمير وسماها مصر ..] [١]

لكن أبو الخطار حسام أظهر تحيزاً لأهل اليمن فتصدى له الصميل بن حاتم ـ زعيم المضرية ـ وخلعه وأسره وولى على الاندلس ثعلبة بن سلامة العاملي ، ثم توفي ثعلبة ، وتفاقم الأمر وبقيت الاندلس اربعة اشهر دون وال يضبط أمورها فاجتمع أهل الأندلس على تعيين يوسف بن عبد الرحمن الفهري والياً لمدة سنة (وهو مضري) على أن يخلفه في السنة التالية وال « يمني » وعندما جاء أهل اليمن في السنة التالية تصدى لهم يوسف واستأثر بالأمر دونهم وقتل منهم خلقاً كثيراً فركن اليمنيون الى الهدوء انتظاراً لفرصة مناسبة يحققون فيها انتقامهم .. وهكذا كان الوضع الداخلي خلال حكم الولاة وضع تمزق بين عرب وبربر ، وبين مضرية ويمنية ، وبين شامية وبلدية « عرب الحجاز » مما ترك لأعداء المسلمين المتربصين بهم فرصة للتجمع وإعادة التنظيم وبدء المقاومة .

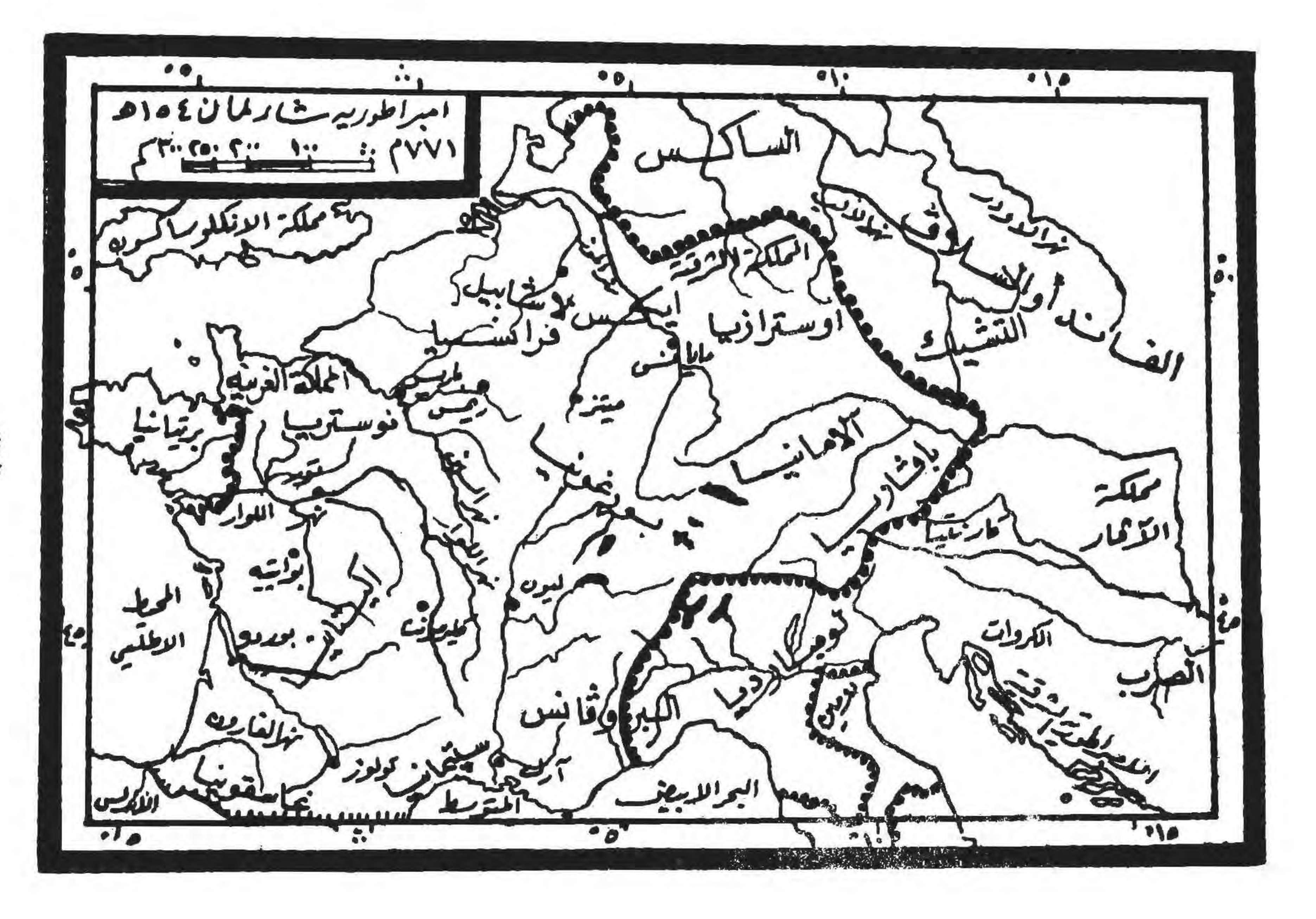
٢ ـ الوضع على الجبهة الشمالية ـ

ـ كان الملوك الكسالى من الميروفنجيين [٢] قد تركوا السلطة لوزرائهم في الفترة الاخيرة من حكمهم ، فنشأت أسر متوازية تتنازع مركز الصدارة ، واستطاع بيبان الهيريستالي وزير قصر مملكة اوسترازية ان يسحق جيش

---

(١) نفح الطيب ١ ـ ٢٣٧ و ٣ ـ ٢٦ .

(٢) الميروفنجيين نسبة الى Mérovée : ملك الفرنج ٤٤٨ ـ ٤٥٧ م . قاد الفرنج في معركة « حقول كاتالونيه » Champ Catalauniques الممتدة بين شالون على المارن وتروا ، واعطى اسمه للاسرة المالكة الميروفنجية التي حكمت بلاد الغال « فرنسا » القديمة حتى ٧٥١ م ، وتلتها الاسرة الكارولنجية التي أسسها بيبان الاول وزير القصر ومن بعده ابنه شارل مارتل وحكمت هذه الاسرة من ٧٥١ ـ ٩٨٧ م .


امبراطورية شارلمان ١٥٤هـ
٧٧١م
مملكة الانكلوساكسون
الساكسس
المملكة الشرقية
اوسترازيا
فرانسيا
الفاندال او السلاف
التشيك
الالمانيا
بافاريا
مملكة الآفار
نوستريا
المملكة الغربية
برتانيا
اللوار
اكيتانيا
بواتيه
بوردو
المحيط الاطلنطي
ليون
ميتز
كارنثيا
الكروات
الصرب
البحر الابيض
المتوسط
نهر الغارون
قاسقونيا
الاندلس

نوسترازية واعاد تنظيم المملكة ، واستطاع شارل مارتل ابن بيبان اخضاع مملكة اوسترازية ومقاطعة اكيتانيا وهزم البافاريين والساكسون والآلامان — وورث شارل مارتل مجمل مملكة الافرنج وتابع جهده لتوسيع حدود مملكته — .

بدأت الأسرة الكارولنجية عهدها بإصلاح عام في البلاد ، بعد أن عملت على توحيدها ففرضت نظام الجندية ، وقامت بإصلاحات عسكرية ، وأخذت تزيد من اهتمامها بقوة الفرسان مع إنشاء مراكز إدارية لتموين الجيوش على محاور الطرق المختلفة وأفادت من أموال الكنيسة للقيام باصلاحاتها ، ونظراً لتطبيق نظام التجنيد الشامل فقد أصبح باستطاعة شارل مارتل[1] ومن بعده ابنه بيبان[2] ثم شارلمان[3] زج قوات غير محدودة من جميع الاقاليم ..

كان شعور الافرنج ، رغم انتصارهم في يوم الترويه — وبلاط الشهداء —

(١) شارل مارتل Charles Martel وزير القصر وابن بيبان دو هيرستال Pèpin de Héristal عاش تقريباً بين ٦٨٨ — ٧٤١ م . وجاء في اللاروس المصور للقرن العشرين ان انتصار شارل مارتل في بواتييه هو الذي انقذ الحضارة المسيحية .

(٢) بيبان الحاسم Pepin le Bref ولد عام ٧١٤ في جوبيل Jupille «بلجيكا» وهو ابن شارل مارتل ، وفي عام ٧٤١ عينه والده دوقاً على نستريا وبورغونيا والبروفانس مع اخيه كارلمان ، وقام بقيادة القتال ضد اكيتانيا والآلامان وبافاريا والساكسون والعرب ، توجه البابا زكريا عام ٧٥١ ملكاً على الافرنج بعد ان جمع الاوفياء « Troste » في سواسون ، وارغم لومبارديا على اعطاء ايتين للبابا مقابل تتويج البابا له ، فاعتبر اول ملوك الاسرة الكارولنجية وتوفي عام ٧٦٨ تقريباً .

(٣) شارلمان Charlemagne ، كان ملك نوستريه ، ثم اصبح ملك الافرنج ٧٧١ — ٨١٤ م وامبراطور الغرب ٨٠٠ — ٨١٤ م خلف اباه بيبان وحكم مع اخيه كارلومان حتى موت هذا الأخير عام ٧٧١ م حارب الاكيتانيين واللومبارديين وقاد حملة ضد العرب في اسبانيا حيث هزمت مؤخرة جيشه في رونسفو وقتل رولان ٧٧٨ م . قام بحروب كبيرة وتوجه البابا امبراطوراً عام ٨٠٠ م ، اشتهر بالقوانين التنظيمية التي عرفت بقوانين شارلمان ، اصلح القضاء ، ونظام التفتيش .

يتلخص في أن المسلمون قوة لا تقهر ، وانهم على امتداد دولتهم يستطيعون زج طاقات بشرية غير محدودة، ولعل قصيدة الشاعر الانجليزي « روبرت سوزى » تصور هذا الشعور ، حيث قال :

جمع لا يحصى
من عرب وبربر وشآم وروم .
وفرس وقبط وتتار عصبة واحدة
يفيض شبابها ايماناً فتياً وطيد الدعائم
وتستعر حماسة برائع ماضيها
تتوق الى سلب مدن النصرانية واثقة من هول بأسها
ولم يك الزعماء
اقل ثقة بالنصر ، وقد اخلصوا في محالفتهم .
يتيهون كثيراً بتلك القوة الجارفة
التي وثقوا من انها حيث اندفعت
تستمر ظافرة ، دون منازع ، الى الأمام
حتى يصبح الغرب مقهوراً كالشرق .
يطأطىء الرأس اجلالاً لمحمد .
وينهض الحجاج من أقاصي المتجمد .
ليطؤوا باقدام التوبة والاخلاص ، الرمال المحرقة
المتناثرة فوق صحارى العرب وأرض مكة الصخرية (١)

لكن الانقسامات الداخلية تركت بعض الأمل في نفوس عناصر المقاومة الداخلية والأعداء الخارجيين . ثم جاء انهيار الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ١٣٢ هـ - ٧٤٩ م فترك باب الأمل مفتوحاً على مصراعيه، وبدأ العمل بخطوات جديدة أكثر حزماً وأكثر تصميماً .

---

(١) تاريخ العرب في اسبانيا ، عبد الله عنان طبعة ١ عام ١٩٢٤ ص ٣٥ .

- شعرت الامارات في البروفانس وسبتمانيا بضعف قبضة العرب المسلمين فأخذ الأمراء المحليون « كونتات » في نيم والمدن المجاورة وفي بيزيه وماغلون في تنظيم ادارة محلية مستقلة مع بقاء الاعتراف بسيادة المسلمين .

وفي عام ١٣٠ هـ - ٧٤٧ م ، وجه يوسف بن عبد الرحمن الفهري قوة الى البيرنيه بمهمة متابعة الفتوح لكن القوات المسيحية جابهت المسلمين بقوة ، وقاوموهم بعناد ، ونظراً لصعوبة الاتصال بين العاصمة « قرطبة » وبين ناربون وبصورة خاصة في فصل الشتاء فقد اضطر المسلمون للتراجع وبدأت حركات التمرد ضد المسلمين ، لكن النزاع بين بيبان ابن شارل مارتل وبين فيفر[١] ابن دوق اكيتانيا حول حكم البلاد السبعة السابق ذكرها ، وضع حداً مرحلياً للانتقاض ضد المسلمين ..

- في عام ١٣٥ هـ - ٧٥٢ م ، سار بيبان بجيش كبير ، فاستولى على نيم واوقت وماغلون وبيزيه وسيطر على اللانغدوك ثم تابع تقدمه حتى وصل ناربون ، فتصدت له المدينة وقاومته ، فضرب حصاراً حولها وطال أمد الحصار حتى يئس بيبان من فتحها فترك حامية صغيرة بقيادة أمير من أمراء القوط هو انسينوندوس[٢] بمهمة متابعة الحصار وعاد بجيشه ..

- استمرت مقاومة العرب للحصار المضروب عليهم ، ونصبوا كميناً قتلوا فيه قائد قوة الحصار « انسينوندوس » لكنهم لم ينجحوا في ارغام الخصم على رفع قبضة الحصار ..

- طال أمد الحصار حتى وصل الى عامه السابع وكانت الاتصالات الخفية مستمرة بين الملك بيبان وبين الأمراء المحليين المتعاونين مع المسلمين ، وأمكن من خلال هذه الاتصالات عقد اتفاق للغدر بالمسلمين وابادتهم لقاء ترك

---

(٢) فيفر Vaifre .

(٣) انسينوندوس Anseniundus .

الحرية للبلدة في اقامة حكم محلي تدار فيه الامور حسب عادات القوط وتقاليدهم[1]..

في عام ١٤٢ هـ - ٧٥٩ م، وبينما كانت الحامية العربية في ناربون منصرفة لمتابعة مجابهة عدو الخارج، بوغتت بالسكان المحليين وهم ينقضون بهجومهم، وأبيدت الحامية المسلمة، ووقعت ناربون بقبضة بيبان ولم يبق فيما وراء البيرنيه سوى أعداد قليلة من المسلمين الذين انتشروا في مقاطعات دوفينيه ونيس أو - نيقيه - وأعاد بيبان تنظيم الأقاليم فرمم الحصون وشحنها بالمقاتلين وأقام الحاميات على امتداد الرون وفي اكيتانيا وعلى امتداد الحدود..

- نتيجة لهذه الانتصارات الموضعية، وبعد أن تم للكارولنجيين توحيد « الافرنج » تحت قيادة واحدة، لم يعد هناك خطر يتهدد فرنسا، واصبح باستطاعة بيبان وابنه شارلمان من بعده الانطلاق من مواقع القوة والاستعانة عند الضرورة بجيوش من بلجيكا وآلامانيا وايطاليا لدعم الجيوش المحلية. وتحول بيبان من خنادق الدفاع إلى خنادق الهجوم، وأخذ باجراء الاتصالات السرية مع زعماء كاتالونيا وآراغون ونافار ليوحدوا جهدهم ضد المسلمين وليشكلوا معه حلفاً دفاعياً، ولم يقف نشاط بيبان وابنه شارلمان من بعده عند هذا الحد بل أخذ في اثارة الفرقة بين أمراء المسلمين وتحريض بعضهم على بعض.

- كان بيبان « الحاسم » يعتبر سلسلة جبال البيرنيه هي الحد الطبيعي الفاصل بين مملكته وبين « اندلس المسلمين »، وعندما تم له الاستيلاء على « ناربون » واجلاء المسلمين من جنوب فرنسا، انصرف لمعالجة هجمات الشمال ومتابعة فتوحاته في اتجاه الشرق وتوافق ذلك مع دخول « عبد الرحمن - صقر قريش »

(١) تاريخ جيوش العالم الاعداد ٥ و ٦ و ٧ و ٩ من المجلة العسكرية ترجمة يوسف يازجي وتاريخ غزوات العرب - ارسلان ١١١ وما بعدها.

الى الاندلس وتركيز جهـــده لاعادة تنظيم الدولة ، فشهدت الحدود فترة من الهدوء النسبي ..

٣ – الوضع الداخلي :

– كانت عناصر المقاومة المحلية قد نزحت الى الشمال وتمركزت في جيليقية شمال غرب الأندلس معتصمة بجبالها المنيعة وقلاعها الحصينة وقد نجح المسلمون في تمزيق كل مقاومة حتى لم يبق إلا فئة صغـيرة يتزعمها « بلاي » لا تزيد في عددها على ثلاثين رجلاً .. وكانت عناصر المقاومة هذه تتابع مسيرة الأحداث وتجمع الانصار ، وتتلقى الدعم من البشكنش والافرنج فاشتد ساعدهـا وقوي أمرها ، وأفادت هذه المقاومة من تمزق الجبهة الداخلية للمسلمين وتفرقهم فقامت بهجوم مضاد كبير سنة ١٣٤ هـ – ٧٥١ م بقيادة الفونسو « صهر بلاي »ونجحت في القضاء على وجود المسلمين في جيليقية واحتلت براغه [١] وبورتو [٢] وفيزو [٣] وسيطرت قواتهم على الساحل حتى مصب نهر دورو ، وأصبح الاقليم بـين الساحل والوادي الجوفي [٤] خالياً من المسلمين ..

٤ – عبد الرحمن « الداخل » في الاندلس

وصل عبد الرحمن الداخل الى الاندلس ، ووجد نفسه في موقف صعب ، ففي الجنوب «عدأوة المغرب» تناصبه العداء ، وفي الشرق تقف له الدولة العباسية بالمرصاد وتلاحق خطواته وتحاول تدميره ، وفي الشمال – حيث مركز الجهد

---

(١) براغــه Braga .

(٢) بورتو Porto .

(٣) فيزو Viseu .

(٤) دورو ، أو الوادي الجوفي Duero .

وجاء في نفح الطيب ١ – ٣٣٠ ان الجلالقة استولوا خلال هذه الفترة على لك Luco وبرتقال Porto وشلمنقه Salamanca وقشتاله Castillos وشقوبيه Segovia .

الرئيسي ، أصبحت هناك دولة قوية ، موحدة ، ترغب في القضـاء على دولته ، وتمزق داخلي ، وولايات مستقلة ، وثورات مضادة متلاحقة . وقـد وصف ابن حيان هذا الوضع بقوله :

الفى الداخل الاندلس ثغراً قاصياً غفلاً من حلية الملك عاطلاً، فأرهف اهلها بالطاعة السلطانية ، وحنكهم بالسيرة الملوكية، واخذهم بالآداب فأكسبهم عما قليل المروءة واقامهم على الطريقة ..] وبدأ فدون الدواوين ورفع الأواوين وفرض الأعطية وعقد الألوية وجند الاجناد ورفع العماد وأوثق الاوتاد فأقام للملك آلته واخذ للسلطان عدته فاعترف له بذلك اكابر الملوك وحذروا جانبه وتحاموا حوزته ولم يلبث ان دانت له بلاد الاندلس ، واستقل له الأمر فيها ..] [1]

ـ وانصرف عبد الرحمن الداخل الى البناء الداخلي،واقامة الدولة على قواعد ثابتة بحيث يستطيع الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة ..

الاصلاحات ، واعادة التنظيم :

آ ـ تشكيل الجيش المحترف ..

ـ بدأ عبد الرحمن الداخل أعماله باعادة اصلاح الجيش ، ووجـد ان القوة البشرية ـ من العرب وحدهم ـ لا تكفي لمجابهة أعداء دولته المتربصين بـــه ، فكون نواة جيش من المتطوعين الصقالبة والموالي والبربر ، ليكون هذا الجيش نواة القوة الضاربة ـ المستعدة دائماً للحرب ـ ولم يعد واجب القتـال مفروضاً على العرب والبربر وحدهم . وقد يكون الدافع لذلك أيضاً كثرة الشكوك التي تولدت في نفس عبـد الرحمن من اعتماده على العرب وحـدهم بسبب الثورات المتلاحقة التي كان يقودها العرب ضده أحياناً بتأثير النوازع الفردية والطموح إلى

---

(١) نفح الطيب ١ ـ ٢٣١ .

المنافسة في الحكم وأحياناً بتحريض من الخلفاء العباسيين في بغـداد وولاتهم في المغرب .

ويرى بعض المؤرخين كابن خلدون مثلاً ان سبب اعتماد الأمير عبد الرحمن في حروبه على الصقالبة والموالي وصرفهـا عن العرب هو كثرة ثورات العرب وتكررها . لكن مراجعة أسلوب حكم الأمويين وطريقتهم في الادارة وماورثوه من الخبرات والتجارب تدحض هذا الزعم ، فلقد جابهت دولة الأمويين في الشام من الثورات أقواها ومن الاضطرابات أخطرها ومع ذلك لم تتزعزع ثقـة الخلفاء الأمويين بالعنصر العربي ولم تتغير نظرتهم اليه واعتمادهم عليه ، لكن العزلة المضروبة على الأندلس ، دفعت عبد الرحمن الداخل الى زج قوات اضافيـة والاعتماد على عناصر أخرى بهدف بنـاء قوته الذاتية ، وكان من نتيجة ذلـك تناقص أهمية العنصر العربي وانحسار دوره القيادي ، مما كان له أخطر النتائج في المستقبل ، ويقول ابن خلدون في ذلك وهو قول لا يحتاج الى دحض بعدما سبق ذكره :

[.. كثرت ثورة رؤساء العرب بالاندلس على عبد الرحمن الداخل ونافسوه ملكه ، ولقي منهم خطوباً عظيمة وكانت العاقبة له ، واستراب في آخر امره بالعرب لكثرة من قام عليه منهم فرجع الى اصطناع القبائل من سواهم واتخاذ الموالي ...] [1]

ـ ولقد تطلبت عملية اعادة تنظيم الجيش أموالاً كثيرة ، ففرض الأمير عبد الرحمن ضريبة على العرب لقاء اعفائهم من الخدمة في الجيش ، ثم كرس ثلث موازنة دولته لبناء « القوات المسلحة » وبذلك استطاع تكوين جيش قوي ، وقـد بلغت موازنة الدولة في عهد الأمير عبد الرحمن ثلاثمائة الف دينـار .

[.. فكانوا يعطون جندهم ورجالهم الثلث من ذلك مائة الف دينار ،

---

(١) نفح الطيب ٢ ـ ٣٣٣ .

وينفقون في امورهم ونوانبهم ومؤن اهلهم مائة الف دينار ، ويدخرون لحادث ايامهم مائة الف دينار ..] [1]

-. اعتمد الامير عبد الرحمن في تنظيم الجيش على تقسيمه الى أسلحة رئيسية ثلاثة وضع على كل سلاح قائداً مستقلا ، وولى الجميع قائداً عاماً .. وكان في كثير من الأحيان يقود الجيش بنفسه وكانت تقسيمات أسلحة الجيش هي : ١ ــ الفرسان ٢ ــ المشاة أو الرجالة . ٣ ــ الهندسة « المجانيق وأدوات الحصار » ويظهر ذلك بوضوح من تصرف الأمير عبد الرحمن عندما أراد قمع حركة تمرد عبيد بن ابان:

[.. فدعا صاحب خيله وقال له امض فيمن امكنك من اصحابك ... ثم دعا عبد الحميد بن غانم صاحب الرجالة..] [.. وفي حصار سرقسطه.. خرج الامير غازياً فعند ذلك نصب عليها المجانيق من كل جانب فيقال انه حفها بستة وثلاثين منجنيقاً ...] [2]

– واعتمد في التسليح على مصانع « بوردو ــ برديل » حيث اكتسبت شهرة خاصة بصناعة السيوف، ثم طورت هذه الصناعات بعد ذلك وأصبح الاعتماد في توفير الحاجة منها على ما تنتجه طليطله ..

ب – استراتيجية « الردع في الحروب » [3]

– تنظيم الصوائف ، وحماية الثغور :

ــ كان العدو الاول الذي يتهدد الاندلس هو عدو الشمال ممثلاً بالدولة

(١) نفح الطيب ١ ـ ٣٤٦ ؛

(٢) اخبار مجموعة : ١٠٣ و ١٠٤ .

(٣) ترجمة للاصطلاح الانكليزي Deterrence Intrawar ، والفرنسي Strategie de Dissuasion on Stratigie de Cuerre وهو اصطلاح جديد في لفظه حديث في مفهومه قديم في تطبيقه كأسلوب قتالي ويقصد منه (الردع الذي يمارس أثناء حرب محدودة او محلية بهدف ارغام الخصم على التقيد ببعض الحدود في الحاق الضرر والتخلي عن تصعيد النزاع) .

« الكارولنجيه » وقد عرف الامويون في الشام عدو الشمال ممثلاً ببيزنطة واتبعوا معه اساليب استراتجية مختلفة، ومارسوا ضده عمليات متنوعة فكونت لديهم خبرة طويلة في اسلوب الدفاع الثابت الممثل في الثغور والدفاع المتحرك[1] المتمثل بعمليات الصوائف والشواتي ، وكان هدف العمليات الاول هو ردع العدو عن القيام بهجمات ضد دولة المسلمين سواء في الشام او الاندلس -

[.. لقد عرف الامير عبد الرحمن انه لا يستطيع تصعيد عملياته للقيام بهجمات واسعة تستطيع تهديد الدولة الكارولنجيه ، ولهذا ركز جهده على تنظيم عملياته الدفاعية ، وتطويرها بما يحقق له المحافظة على كيان دولته والدفاع عنها ضد كل تهديد ..] .

- ومن هنا يظهر بوضوح ايضاً ان اعتماد عبد الرحمن الداخل على الصقالبة والموالي قد جاء لدعم « المقاتل العربي » وليس ، بديلاً له . ولا أدل على ذلك من اسقاط « البدل النقدي » عند اعلان التعبئة العامة ، وحشد كل الامكانات وزجها في المعركة على نحو ما فعله هشام بن عبد الرحمن فيما بعد ..

- انطلاقاً من هذا المفهوم ، وضمن مفهوم « استراتيجية الردع في الحروب » نظم الامير عبد الرحمن ، الصوائف - جمع صائفة ، وهي مشتقة من الصيف ،

[.. وهي الحملات التي جرت عادة بني امية وحلفائها على توجيهها الى دار الحرب خلال فصل الصيف ، وقد استقر تقليد هذه الحملات حتى اصبحت وظيفة ثابتة يعهد بها الى احد القواد الكبار او الى واحد من افراد الاسرة المالكة ، وكثيراً ما كان الأمير او الخليفة نفسه هو الذي يضطلع بقيادتها ، وكان الاستعداد لها يبدأ في شهر « يونيو » وكانت قيادة الجيش تتكتم دائماً اخبار الطريق الذي ستنتهجه حملة الصائفة حتى تكون ضرائبها

(١) ترجمة للاصطلاح Defense - Mobile ، ويقصد من الدفاع المتحرك (... العمل الدفاعي الذي يتم تنفيذه ضمن منطقة معينة ، ويعتمد بصورة رئيسية على قدرة القوات المدافعة على الحركة ...)

مفاجئة للعدو ، وقد وافتنا المراجع الاندلسية بكثير من التفاصيل حول هذه الحملات .. التي اصبحت على طوال ايام الدولة الأموية وفي ظل العامريين بعدهم تقليداً محترماً سنوياً [١] .

– وقد عمل الأمير عبد الرحمن على تنظيم « البدل » والتناوب بين حملات الصوائف نظراً لما قد تتعرض له من الخسائر ، وحتى يستطيع المحافظة باستمرار على قوة زخم الهجوم .. [وقطع الامير المبعوث على الأجناد وجعلها بينهم دَوَلاً في كل ستة أشهر ، فاذا انقضت دولة ندب اخرى ..] [٢] .

ج ـ سياسة الاحلاف :

– أدرك الأمير عبد الرحمن نتيجة لمجابهة المواقف التي يتعرض لها ان العدو الأكبر والخصم الأول في مقاومته هو « الملك ببيان ملك الافرنج » فقد برز كيان اشتورية ، وكيان نافار ، في شمال الاندلس في الوقت الذي استقلت فيه جيليقية مما جعل الأمير عبد الرحمن يفكر في أسلوب درء خطر هذا العدو ، وتجسدت هذه الضرورة بصورة أكثر وضوحاً في ثورة سليمان الكلبي أمير برشلونه [٣] ..

– كان أسلوب عبد الرحمن في الحكم ، ومركزيته الشديدة ، وبطشه بكل من ينازعه السلطة من الأسباب التي ادخلت الذعر في قلوب حكام الأقاليم

....

(١) المقتبس ٢٦٧ وقد بقي لفظ الصائفة بعد ان انتقل اليها من العربية في صورة Aceifa .

(٢) اخبار مجموعة ١٠٣ .

(٣) كان سليمان الكلبي امير برشلونة ، وكانت بينه وبين شارلمان علاقات منذ كان اميراً بسرقسطة ، ثم ثار سليمان بسرقسطة وثار معه حسين بن يحيى الانصاري فبعث اليه الامير عبد الرحمن جيشاً بقيادة ثعلبة بن عبد ، واستطاع سليمان نصب كمين لثعلبة فاعتقله وأرسله الى شارلمان مع رسالة يستنجده بها ، فتقدم شارلمان عام ١٦٢هـ - ٧٧٨ م ، وتصدى له المسلمون في سرقسطة ودارت معارك طاحنة ، ثم علم شارلمان بزحف الساكسون في الشمال فانسحب وتراجع نحو الشمال ونظم المسلمون قوات للاغارة على مؤخرته في رونسفو Roncevaux ، وأبيدت مؤخرة شارلمان ومعها رولان Roland ، البطل الشعبي للافرنج .

وأمرائها ، وعندما سقطت « أربونه ـ ناربون » وجد حكام المسلمين في المملكة الكارولنجية ، قوة كبيرة على تخوم بلادهم ، وقام بيبان ومن بعـــده شارلمان باجراء الاتصالات مع أمراء مقاطعات الشمال فاستجاب سليمان الكلبي ودخل في علاقات مع بيبان ثم أصبح هذا الأسلوب تقليداً متبعاً لدى أمراء الشمال ، فإذا حاول أمير المسلمين في قرطبة ممارســـة ضغط عليهم هربوا الى فرنسا أو استعانوا بها، وإذا لمسوا خطراً فيها أو لمسوا مطامعها عادوا الى أمير قرطبة وقد ساعدتهم طبيعة الاقليم الوعرة على هذا «الاستقلال الذاتي». وقام «الكارولنجيون بدور كبير في تعزيز هذه النزعة وانمائها .

وكان الامير عبدالرحمن في حاجة الى فترة من الهدوء النسبي حتى يستطيع اكمال بنيانه الداخلي ، فتظاهر بالرغبة في العيش بسلام مع جواره ، وتذكر بعض المصادر العربية ان الامير عبد الرحمن اتصل بقارله « شارلمان » [.. فاصابه صلب المكسر تام الرجولية فمال معه الى المداراة ودعاه الى المصاهرة والسلم ... فاجابه للسلم ولم تتم المصاهرة ..][1]

وقد تجاهلت المصادر العربية ، وحتى الشرقية موضوع المصاهرة ، ولكنها جاءت على ذكر السلم ..

ـ وجد بيبان ملك « الكارولنجيين » في انقسام الدولة الاسلامية فرصـة مناسبة لضرب المسلمين بعضهم ببعض فأرسل في عام ١٤٨ هـ ـ ٧٦٥ م وفداً إلى بغداد لعقد أواصر الصداقة ، ومكث هذا الوفد في بغداد ثلاث سنين ثم رجع الى فرنسا وبرفقته وفد من المسلمين « رسل الخليفة المنصور » وقد لقي الوفـد رعاية كبيرة فتم انزاله في متز[1] باللورين ثم نقل الى قصر سلس[2] على ضفاف اللوار .. واستمرت اقامته في فرنسا ثلاثة أعوام .

ـ كانت الدولة العباسية ، تحاول باستمرار تحطيم الكيان الأموي بالأندلس

....

(١) متز Metz . (٢) سلس Sels .

ولم تتمكن عملية القضاء على ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي سنة ١٤٦ هـ وارسال رؤوس زعماء الثورة الى القيروان ومكه ، ان تنتزع من رؤوس العباسيين فكرة الاقلاع عن التآمر ضد الأمويين ، وفي الوقت ذاته كان عبد الرحمن الداخل يطمح لاستعادة حكم الأمويين في الشام وقد عمل لهذا الهدف بصورة جدية عام ١٦٣ هـ . واستمر النزاع بين أمراء قرطبة وخلفاء بغداد ، فانصرفوا عن الفتوحات .

وبينما كان خلفاء المشرق يعقدون معاهدات مع ملوك « كارولنجيا » الذين كانوا في حرب مستمرة مع أمراء قرطبة، كان أمراء قرطبة يعقدون معاهدات مماثلة مع ملوك القسطنطينية الذين كانوا بدورهم في حرب مستمرة مع أمراء بغداد ، وهكذا انتهى الصراع الى نشوء محورين متضادين بغداد – كارولنجيا ، ضد القسطنطينية – قرطبة .. كل ذلك والعلاقات التجارية مستمرة في النمو والازدهار بحيث كانت سفن المسلمين وأساطيلهم تنقل البضائع من الهند والصين الى بغداد ، ففرنسا « مرسيليه وفريجوس » عبر موانىء سوريا ومصر ..[1]

– جاء شارلمان وخلفاؤه من بعده فاستمروا في تنفيذ « استراتيجية الاحلاف » وفي الوقت ذاته عمل الامبراطور البيزنطي « قوميلس » الذي جابه المعتصم في زبطره وعموريه ، على ارسال وفد الى قرطبة محمل بالهدايا ويطلب اليه تنسيق التعاون معه ، ويرغبه في ملك سلفه بالمشرق من أجل ما ضيق عليه المأمون والمعتصم ، فأرسل الأمير عبد الرحمن بن الحكم وفداً محملاً بالهدايا وبعث معه يحيى الغزال سنة ٢٢٥ هـ – ٨٣٩ م من كبار أهل الدولة وكان مشهوراً في الشعر والحكمة ، فاستطاع يحيى الغزال ان يوطد الصلة بين الدولتين ، وارتفع ذكر عبد الرحمن عند منافسيه العباسيين ..

لقد كانت سياسة الاحلاف او استراتيجية المحاور المتعارضـــة من أهم

....

(١) غزوات العرب – ارسلان ١٢٥ .

الاسباب التي أضعفت مقاومة المسلمين ، وجعلتهم ينتقلون الى مواقع الدفاع، بينما حفزت خصومهم على الانتقال من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم ..

- وهناك كثير من المؤرخين - الشرقيين منهم والغربيين على حد سواء - يناقشون هذه السياسة بصورة عرضية ولا يضعون لها قيمتها الحقيقية على اعتبار ان هذه « الاحلاف » لم تقدم دعماً حقيقياً وفعالا لأطراف الحلف ، وان هذه التناقضات كانت موجودة فعلا ولم تكن سياسة الاحلاف الا تكريساً لهذا الواقع ..

- ومع هـذا الطرح ، ومع الاعتراف ان بيزنطه والكارولنجيين كانوا يقومون بأعمال هجومية اثناء قيام الدولة الاموية ، لكن هذه الاعمال الهجومية كانت في اطار « الهجمات الوقائية »[1] في حين ان وجود هذه الاحلاف قد حمل بيزنطة والدولة الكارولنجية على تطبيق استراتيجية « الهجمات الاستفزازية »[2] و « الردع الممتد »[3] ، بينما اصبحت استراتيجية المسلمين في المشرق والمغرب في اطار « الهجمات الوقائية » وكانت سياسة الاحلاف من اهم العوامل في تبادل الادوار والمواقف ..

- ان سياسة الاحلاف لم تقدم للاطراف المتنازعة دعماً مادياً حقيقياً ، ولكنها حققت تحولاً كبيراً في مسيرة الاحداث وأسلوب العمل العسكري ،

(١) الهجمات الوقائية، ترجمة للاصطلاح الانكليزي Attack Preemptive والمصطلحات الفرنسية Attaque Par Anticipation aù Attaque Preemptive ويقصد منه القيام بالهجوم عندما تتكون قناعة تامة ان العدو على وشك القيام بهجومه، أو انه مقبل عليه.

(٢) الهجمات الاستفزازية : ترجمة للاصطلاح الانكليزي Attack Catalytic أو المصطلح الفرنسي Attaque Catalytique ويقصد منه : الهجوم الذي يهدف الى ايقاع حرب بين قوتين متخاصمتين من خلال الهجوم او المكيدة التي تدبرها دولة ثالثة ضد احداهما .

(٣) الردع الممتد: ترجمة للاصطلاح الانكليزي Deterrence' Extended أو الفرنسي Dissuassion Étendue ويقصد منه التهديد الذي يحمل في مضمونه ان القوة الرادعة لدولة ما تتجاوزها حتى تشمل حلفاءها او قواتها المتمركزة على ارض اجنبية .

حتى يمكن القول ان زوال الوحدة السياسية ، التي كانت للأمويين ، وما تبع ذلك من انقسام في مسارح العمليات ، وتجزئة في الطاقات البشرية والامكانات المادية في طليعة العوامل التي أسهمت في تغيير أسس الاستراتيجية الاسلامية ..

د - عبد الرحمن الداخل ، وبناء الدولة [1] :

- أمضى عبد الرحمن الداخل الفترة ما بين عام ١٣٨ هـ - ٧٥٥ م تاريخ دخوله الاندلس وعام ١٧٢ هـ - ٧٨٨ م ، في بناء الدولة ورسم سياستها الخارجية ، وتنظيم جيشها ، وردع الطامعين بها والقضاء على الثورات المتلاحقة التي حفل بها عهده ، وقد استنزفت هذه الأعمال جهد الدولة طوال فترة حكمه وقد دفع عبد الرحمن الداخل قواته لغزو بلاد « الافرنج » ومحاربة البشكنش « سكان الباسك » وحققت هذه الاعمال التعرضية انتصارات رائعة وغنم المقاتلون غنائم كبيرة ، واستطاع « الداخل » ان يقنع خصومه بقوة دولته ، لكن هذه العمليات لا تتجاوز في واقعها وحقيقتها اطار « الهجمات الوقائية » .

وعندما توفي الأمير عبد الرحمن الداخل ترك لخلفه كيان دولة ، وطيد الأركان ، قوي البنيان ، واصبح باستطاعة هذا الخلف الانطلاق من قاعدة « قوية ومأمونة » .

٥ - هشام بن عبد الرحمن
١٧٢ - ١٨٠هـ - ٧٨٨ - ٧٩٦ م
واستراتيجية « الهجمات الوقائية »

تسلم هشام بن عبد الرحمن مقاليد حكم الاندلس بعد وفاة أبيه ١٧٢ هـ ، وتابع تنفيذ سياسته الداخلية ، وبصورة خاصة منها تنظيم الجيش ، وأقام قوة احتياطية من الفرسان تابعة له واهتم ببناء الاسطول ..

كان بناء دولة الاندلس قد وصل الى مرحلة من الاستقرار النسبي ، على الرغم من ظهور بعض حركات التمرد والثورات المضادة كخروج سليمان وعبد الله ابني عبد الرحمن على أخيهما هشام سنة ١٧٢ هـ . ولهذا وجه الامير هشام جهده

(١) حياة عبد الرحمن الداخل « في قراءات » مع نهاية هذا الفصل ..

لحماية الثغور ، ووجد ان الاعتماد على الجيش المحترف والحاميات الثابتة في الاقاليم لا يحقق له اهدافه الهجومية فأعلن « الجهاد » لغزو منطقـــة البيرنيه ، وحث الناس على دعم المجهود الحربي [فمن لم يقـدر على الجهاد بنفسه وجب ان يجاهد بماله ..] ووزع اعلان الامير على المساجد وفيه الآيات القرآنية التي تحض على الجهاد ، فأقبل الناس ، وتدفقت جموع المقاتلين من كل مكان للجهاد في سبيل الله ، ورغم ان أبواب افريقية والشام وجزيرة العرب كانت موصـــدة دون المتطوعين للحرب في الاندلس فقـد تجمع في جيش هشام قوة تقـارب المائة ألف مقاتل ..

– كانت ثغور المسلمين في بداية عهد الامير هشام قد انحسرت نحو الجنوب بعد أن ابعد المسلمون الى ما وراء جبال البيرنيه وانتزعت منهم ناربون ، وبعد ان استقلت جيليقية بأمورها واعلنت تمردها واخرجت المسلمين من أرضها ، فأصبحت الثغور الجديدة هي قويمره وطلبيره وطليطله وبنبلونه .. وكان ضغط الشمال يتزايد خطورة ، فقرر الأمير هشام تنفيذ عملياته واعطاء الأفضلية لمحور عمليات الشمال الغربي «جيليقيه» نظراً لأن هذا الاقليم يقع داخل الاندلس ذاتها.

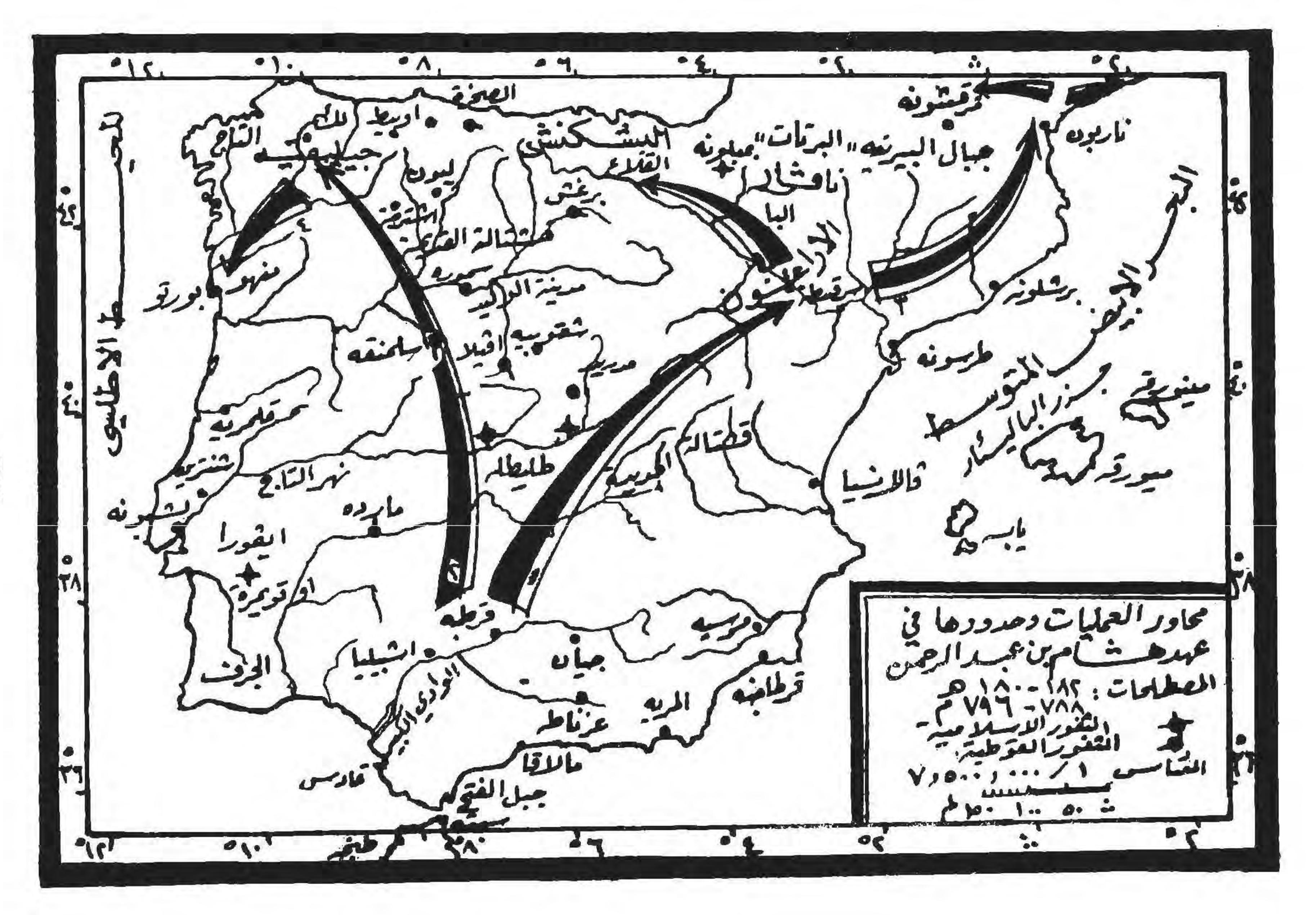
أ – العمليات في جيليقية (١٧٥ هـ - ٧٩١ م) :

وجه الامير هشام قواته بعد أن قسمها الى جيشين :

١ً – الجيش الاول بقيادة ابا عثمان عبيد الله بن عثمان بمهمة القضاء على حركة تمرد اخويه سليمان وعبد الله ونصيرهما «مطروح بن سليمان بن يقظان» في سرقسطة ثم التوجه غرباً لدعم عمليات جيليقية .

٢ً – الجيش الثاني بقيادة يوسف بن بخت لتنفيذ عمليات اخضاع جيليقية .

– انطلق الجيش الاول الى هدفه، ووصل سرقسطه وضرب حصاراً حولها، ولما طال الحصار دون الوصول الى نتيجة حاسمة ، انسحب الجيش الى « حصن طرسونه » وترك أمر الحصار لحامية صغيرة مع تنظيم أعمال الاغارة على الاقليم بقوات صغيرة وبصورة مستمرة بهــدف التضييق على سرقسطه وحرمانها من المواد الحياتية ، وعندما اشتد الحصار ، تآمر اثنان من أصحاب « مطروح »



محاور العمليات وحدودها في
عهد هشام بن عبد الرحمن
المصطلحات : ١٨٠ - ١٨٢ هـ
٧٨٨ - ٧٩٦ م
الثغور الإسلامية
الثغور القوطية
المقياس ١ / ٧،٥٠٠،٠٠٠
ناربونه
قرقشونه
جبال البرينه "البرتات"
بمبلونه
البا
برشلونه
طرسونه
البحر الأبيض المتوسط
جزر البليار
منورقة
ميورقة
يابسه
قرطبه
اشبيليا
جيان
مرسيه
قرطاجنه
المريه
غرناطه
مالقا
جبل الفتح
قادس
الوادي الكبير
ماردة
ايفورا
نهر التاجه
طليطلة
سلمنقه
ليون
الصخرة
اشبونه
المحيط الأطلسي

وقتلاه وانتهت الفتنة ، ثم تابع الجيش الاول تقدمه فاحتــل « البه[1] والقلاع المجاورة » وقضى على الحاميات المدافعة عن الاقليم ، وانطلقت مجموعات فرسان المسلمين لمطاردة فلول القوات المنسحبة وملاحقتها في السهول والجبــال الوعرة حتى أمكن ابادة جيش العدو ، وبلغ عدد قتلى العدو أكثر من تسعة آلاف قتيل.

– وتوجه الجيش الثاني الى جيليقيه مباشرة ، وعندما وصلها وجـد قائد الجيش يوسف بن بخت أن خصمه « برمند[2] » ملك جيليقيا قد استعد للحرب وحشد قواته ، وبدأت المعركة بـين الطرفين ، ووقعت مجازر داميـة انتهت بانتصار المسلمين ، وخسر العدو ما يقارب العشرة آلاف قتيل .

ب – العمليات في « ناربون » واكيتانيا ١٧٦ هـ – ٧٩٢ م :

– لم يكد الامير هشام ينهي عمليات « جيليقيه » حتى وجه جيشاً جديداً بقيادة عبد الملك بن عبد الواحـد بن مغيث بمهـة القيام بهجوم « وقائي » على المحور الشمالي – الشرقي .. فانطلق عبد الملك بجيشه شمالاً حتى وصـل امارة « نافار » فحاصر المقاومة فيها ، واستخدم المجانيق فثلم اسوارها ودمر القلاع ، وتابع تقدمه حتى أشرف على معـابر البيرنيه وبقي شهوراً وهو يدمر حصون العدو ومراكز مقاومته ثم تابع تقدمه شمالاً ، في اتجاه « ناربون » ..

كان شارلمان « امبراطور الكارولنجيين » خلال هذه الفترة ، يخوض معارك ضارية ضد الآفاريين الذين وصلوا الدانوب وأخذوا في تهديـد امبراطوريته ، بينما كان جنود اكيتانيا يخوضون معارك مماثلة في ايطاليا بقيادة « لويس » ابن شارلمان ، وكان لويس ملك اكيتانيا قد كلف « كونت تولوز غليوم » بمهـة ادارة شؤون المملكة ..

---

(١) البه Alava أو Alba : احدى مقاطعات شمال الاندلس ، تقع جنوب البيرنيه ، سكانها من البشكنش « الباسك » .

(٢) في البيان برمود « Vermudo » وابن منده في غزوات العرب ولعله تحريف من Bermude .

- عندما وصلت أنباء زحف المسلمين وحصارهم قاعدة « ناربون » أرسل شارلمان جيشاً قوته ٢٠,٠٠٠ مقاتل ، وتوجه غليوم نحو الجنوب واصطدم بقوات المسلمين في فيلدانيا [١] على ضفاف نهر « أوربيو » [٢] ، ودارت رحى معركة طاحنة أظهر فيها « الافرنج » من العناد بقدر ما أظهر المسلمون من التصميم لانتزاع النصر . واستطاع المسلمون في النهاية سحق جيش غليوم حتى لم يبق معه سوى ثلاثة عشر رجلاً ، وصلم أنف غليوم ذاته فأصبح يطلق عليه منذ ذلك اليوم « غليوم ، ذو الأنف المصلوم » [٣] ..

خلال هذه المعارك كانت قوات المسلمين تشدد قبضة الحصار على « ناربون » وقد نجحت قوات المسلمين أخيراً في فتحها ، وكانت قوات الجيش الثاني تحقق انتصارات مماثلة في جيليقيه ، ونظراً لكثرة تمرد هذا الاقليم وفتكه بالمسلمين ، اشترط عليهم نقل احمال التراب من ناربون الى قرطبة من أجل بناء المسجد واكماله .. [٤]

كانت غنائم المسلمين في هذه المعارك كثيرة ، وتذكر مصادر عديدة أن غنائم الذهب وحدها بلغت خمسة وأربعين الف مثقال ..

---

(١) فيلدانيا Villedaigne : تقع بين كاركاسون « قرقشونة » وناربون « اربونه » .

(٢) اوربيو Orbieux .

(٣) غليوم ذو الانف المصلوم Guillaume, au Court nez

(٤) نفح الطيب ١ - ٣٣٧ وفيه : (وفي ايامه فتحت اربونة الشهيرة واشترط على المعاهدين من أهل جيليقية من صعاب شروطه انتقال عدد منه أحمال التراب من سور اربونة المفتتحة يحملونها الى باب قصره بقرطبة ، وبنى من المسجد الذي « قدام » باب الجنان ، وفضلت منه بقية مكومة ..) انتهى . وهناك مصادر تدحض هذا الزعم وتدعي ان اعادة فتحها لم يتحقق الا في عهد الحكم بن هشام وتبرر ذلك معاودة غزو ناربون في السنة التالية ، ولكن الاحتمال الأرجح هو فتحها في هذا التاريخ ، ثم انها أعادت التمرد فأعيد فتحها على نحو ما كان يحدث في جيليقية ، وعلى نحو ما حدث أيضاً في معارك الفتوح في الشرق والغرب لا سيا وان عدد مقاتلي المسلمين وامكاناتهم البشرية أصبحت هنا محدودة بحيث يصعب ترك حاميات كبرى في جميع الحصون والمواقع الشمالية الكثيرة .

– وفي عام ١٧٧ هـ – ٧٩٣ م ، تابع عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث تصعيد عملياته بعد أن وصله جيش جديد أمده به الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل ،وقد ركز عبد الملك – قائد الجيش – جهده الرئيسي لتدمير المقاومات المتفرقة في جرنده[1] والقضاء على أنصار « الكارولنجيين » وحقق انتصارات رائعة ودمر القلاع والحصون والأسوار ثم تابع زحفه فعبر جبال البيرنيه ، وتجاوز « ناربون »،وأوغل في بلاد الغال [وجاس البلاد شهوراً يخرب الحصون ويحرق ويفتح وقد أجفل العدو من بين يديه هاربا وأوغل في بلادهم ورجع سالماً .. وهي من أشهر مغازي المسلمين بالأندلس ..][2]..

ج – معاودة نقل محور ثقل العمليات الى جيليقية ..

موقعة الصخرة – ١٧٩ هـ – ٧٩٥ م :

– في نهاية عام ١٧٨ هـ – ٧٩٤ م ، توفرت المعلومات عند الامير هشام بن عبد الرحمن عن تجمع قوات جيليقيه وعزمها على استئناف القتال بعد أن وصلتها قوات دعم كبيرة من منطقة الباسك « بشكنش » ومن مملكة الافرنج « كارولنجيا » فوجه الامير هشام جيشاً بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد الى البه والقلاع ووجه جيشاً آخر بقيادة أخيه عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث الى جيليقيه ، ووصلت طلائع قوات المسلمين الى « أسترقه » .

– كان الفونس « اذفونش » ملك جيليقيه قد حشد قواته والقوات التي وصلته من كل النواحي في المنطقة بين جيليقيه والصخره ، وعمل على اخراج السكان من السهول وطلب اليهم الاعتصام « بشواهق جبال السواحل » .

....

(١) جرنده Gerona واسمها الروماني القديم Gerunda انتزعها شارلمان قبل ذلك بثمانيه أعوام (٧٨٥ م) ثم استعادها العرب عام ٧٩٣ م ، ثم أخذت منهم عام ٧٩٧ م ، ثم عاودوا فتحها ، وانتزعت منهم نهائياً عام ٨٠٠ م . غزوات العرب ٦٧ .

(٢) الكامل ، لابن الأثير ٥ – ٩٤ .

– انسحب « الفونسو » ملك جيليقيه في اتجاه المنطقة التي اختارها مسرحاً لعملياته فعمل عبد الكريم بن عبد الواحد على دفع بمجموعة قتالية مكونـــة من أربعة آلاف فارس للعمل « كمقدمة » وانطلق ببقية الجيش في اثر « مقدمته »..

– اصطدمت قوات المسلمين بجيش الفونسو ، ودارت رحى معركة طاحنة قاتل فيها الطرفان بتصميم وعنـــاد واستطاع المسلمون في النهاية احراز النصر حيث انطلقت بمجموعات الفرسان في مطاردة فلول القوات المنسحبة التي كان يقود تراجعها الفونسو ، ذاته .. ووقعت خـلال مرحلة المطاردة بمجموعات من الأسرى في قبضة المسلمين الذين انطلقوا إلى مراكز المقاومـــة المتناثرة والقرى فأعملوا فيها حرقاً وتدميراً حتى تم لهم إبادة كل مقاومة .. وتابع عبد الكريم قيادة جيشه في اتجاه « ساره » حيث كان حاكمها قـد حشد قوة ثلاثة آلاف مقاتل لمجابهة تقدم المسلمين .

– زج عبد الكريم جيشه في المعركة بعد أن أعاد تنظيمه ، وكانت معركة قاسية انتهت بنصر المسلمين وحصولهم على أعداد كبيرة من الأسرى في مقدمتهم « حاكم ساره » .

– أفاد الفونسو من أعمال الاعاقة التي اضطلعت بهـا قوات « ساره »[1] فنظم قواته ووزعها في القلاع الجبلية الحصينة المشرفة على وادي « بيونه »[2] وتمركز هو في أكثر هذه القلاع منعة وتحصيناً ، وتقدمت قوات المسلـمين في اتجاه القلعة ، وعندما وصلتها ، انسحب الفونسو الى حصن قريب آخر ، ودخل المسلمون القلعة فوجدوا فيها كميات كبرى من [.. الاطعمة وضروب الذخر..] فاستولوا عليها ، ووجه عبد الكريم في اليوم التالي قوة من عشرة آلاف مقاتل بقيادة فرج بن كنانه ، وعندما اقترب فرج من الحصن تخلى عنه الفونسو ، وأسلم عدته وذخره فغنم المسلمون جميع ذلك .

(١) ساره : Sarria ، جنوب لك Luco من اقليم جيليقية ، تحتل موقعـاً حصيناً على نهر يرفد نهر مينيه الذي يصب في الاطلسي .

(٢) بيونه : مدينة حصينه على الاطلسي ، اكتسبت منعتها من موقعها في الجبل وعلى المحيط.

- تكللت عمليات المسلمين بالنجاح ، وأمكن تحقيق انتصارات رائعة ،وغنم المسلمون غنائم ضخمة وبدؤوا في الانسحاب من الاقليم ، وكان « الفونسو » قد نظم مفارز صغيرة لضرب مؤخرة الجيش خلال انسحابه ، وأمكن لهذه المفارز إلحاق بعض الضرر وإنزال بعض الخسائر بقوات المسلمين ..

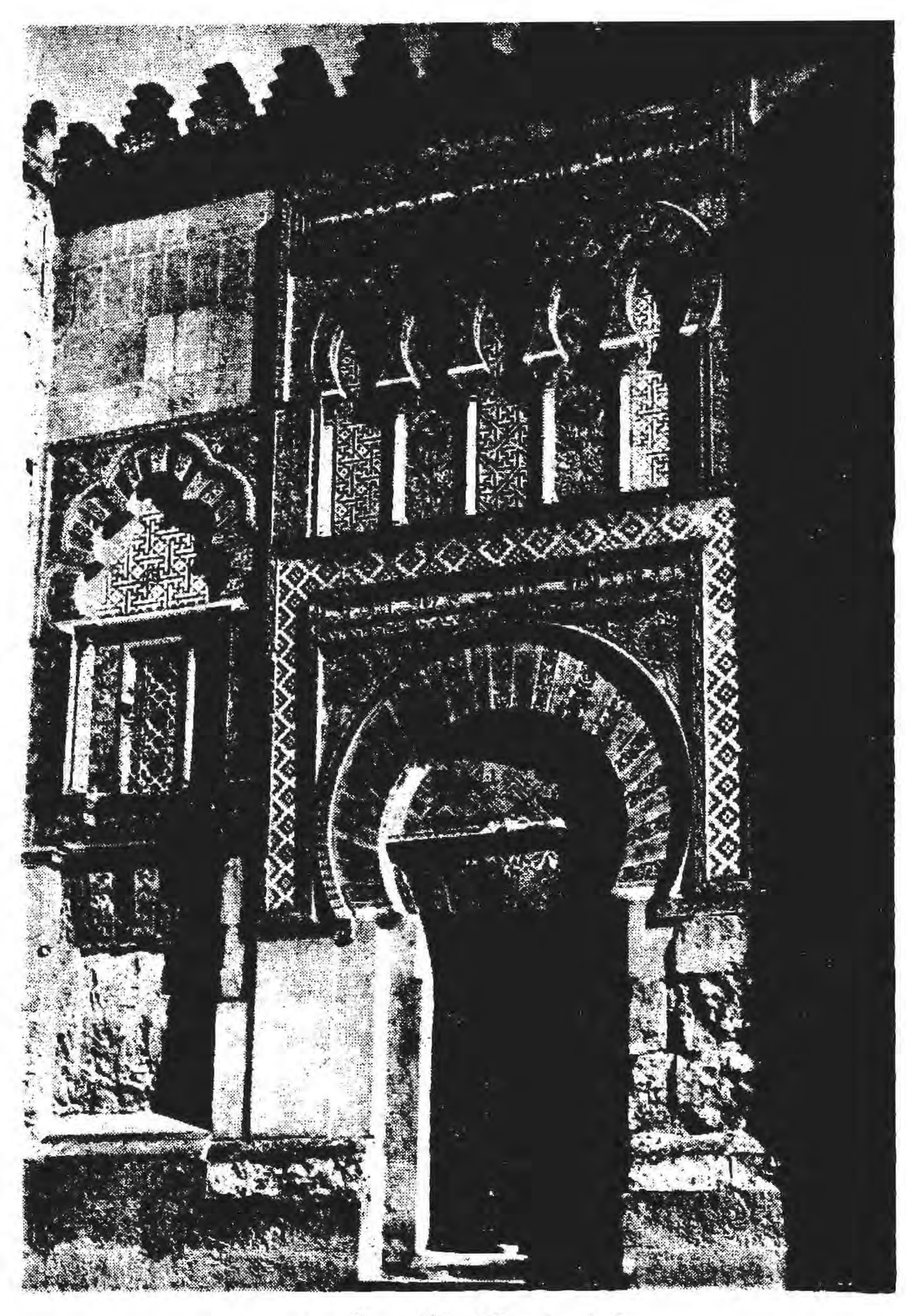
- كانت معركة « الصخرة »[1] من المعارك الكبرى التي زج فيها الجلالقة والمسلمون قوات كبرى ، وخاضوا فيها معارك طاحنة ، ويضعها المؤرخون الغربيون في طليعة المعارك الحاسمة التي أمكن فيها الحاق الهزيمة بالمسلمين في الاندلس . وان استعراض مسيرة الاحداث ونتائجها يظهر ان هـذه المعارك بمجموعها قد انتهت في صالح المسلمين، لكن الاعمال القتالية لم تنجح في استئصال المقاومة والقضاء على تمرد « جيليقيه » بصورة نهائية بحيث يمكن القول ان المعارك العسكرية الناجحة لم تحقق هدفاً استراتيجياً يكسبها أهمية خاصة ..

لقد خاض المسلمون قبل هذه المعركة ، ثم اشتبكوا بعدها أيضاً بقوات جيليقيه وقوات الامارات التي استحدثت نوعاً من الحكم الذاتي في ظل أمويي الاندلس . ولعل فشل المسلمين في تحقيق الهدف الاستراتيجي والقضاء على وجود « كيان الفونسو » هو الذي يحمل الكتاب الغربيين ومؤرخيهم على اعتبار معركة الصخرة في طليعة معارك « الغزو المضاد » الذي انتهى باخراج المسلمين من الاندلس[2] ..

---

(١) معركة الصخرة : ويسميها الغربيون معركة « كوفادونغا » Cavadonga نسبة الى « صخرة بلاي » حسبما يسميها العرب حيث تمركزت نواة المقاومة في مغاور هذا الجبل وكهوفه ثم أخذت في التوسع وتحريض السكان على متابعة الصراع والاستمرار في النضال ، وقد خلف بلاي قائد هذه المقاومة أبناءه وأقاربه في قيادة الثورة المضادة وامكن لهم خلال سنوات حشد قوات كبيرة واستعانوا بالبشكنش وبالدعم الذي كان يوفره لهم بيبان وشارلمان والكارولنجيين علاوة على المتطوعين والمأجورين من كل مكان ، وأفاد الجلالقة من الظروف المحيطة بهم ومن نزاع المسلمين فصعدوا عملياتهم وأمكن لهم اقامة كيان ذاتي لم يلبث حتى تطور الى دولة قوية تحتل في حدودها « البرتغال حالياً » .

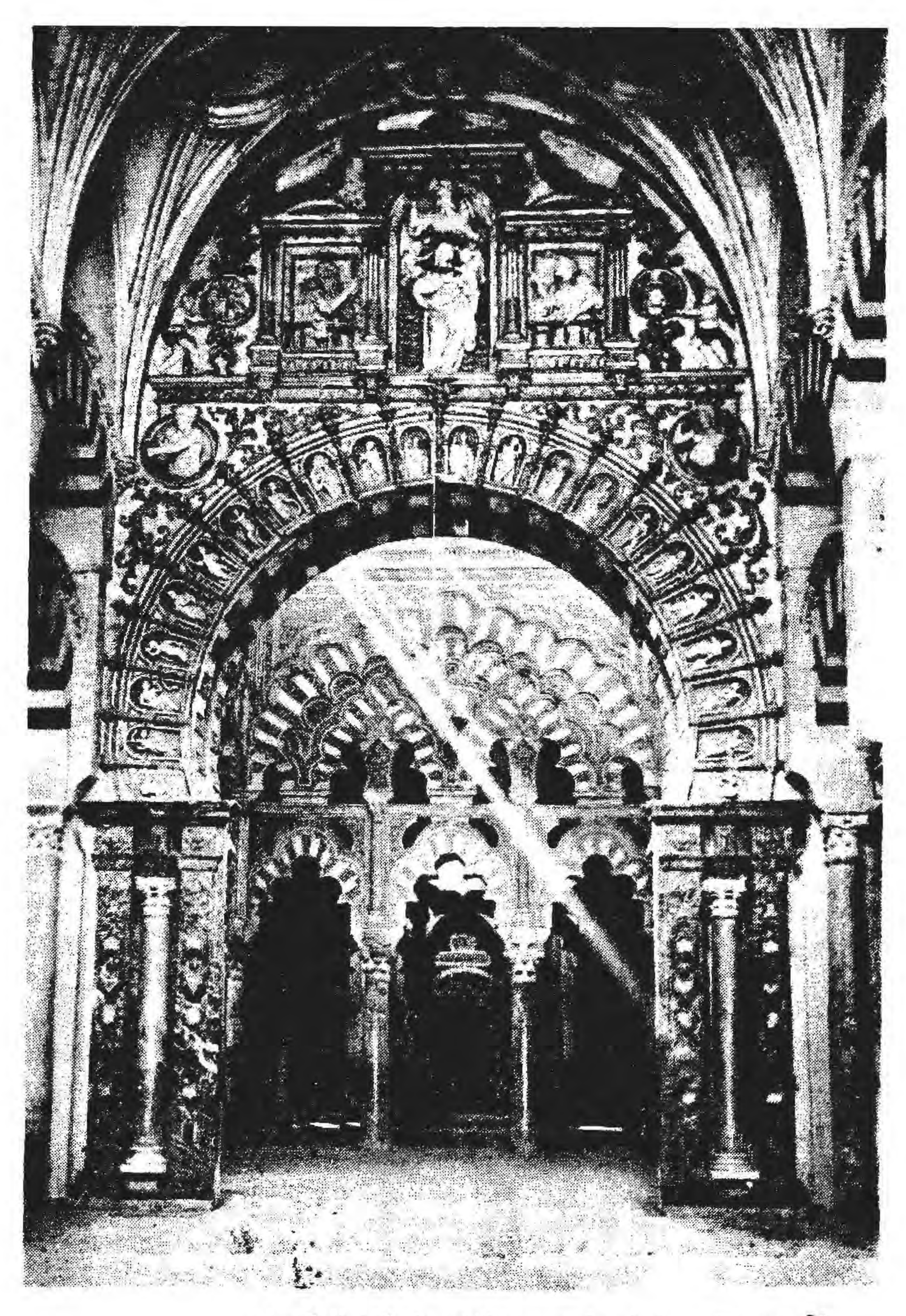
(٢) حياة هشام بن عبد الرحمن - في قراءات - مع نهاية هذا الفصل ..



قرطبــة – الباب الخارجي للمسجد

يا للمساجد عادت للعدا بيعاً ‌ ‌ ‌ ‌ وللنداء غدا أثناءها جرسا

« نفح الطيب ٤ / ٤٥٧ »



قرطبـــة « صحن الجامع وقد تحول الى كنيسة »

حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهـــن الا نواقيس وصلبان

« الرندي » من نفح الطيب ٤ / ٤٨٧



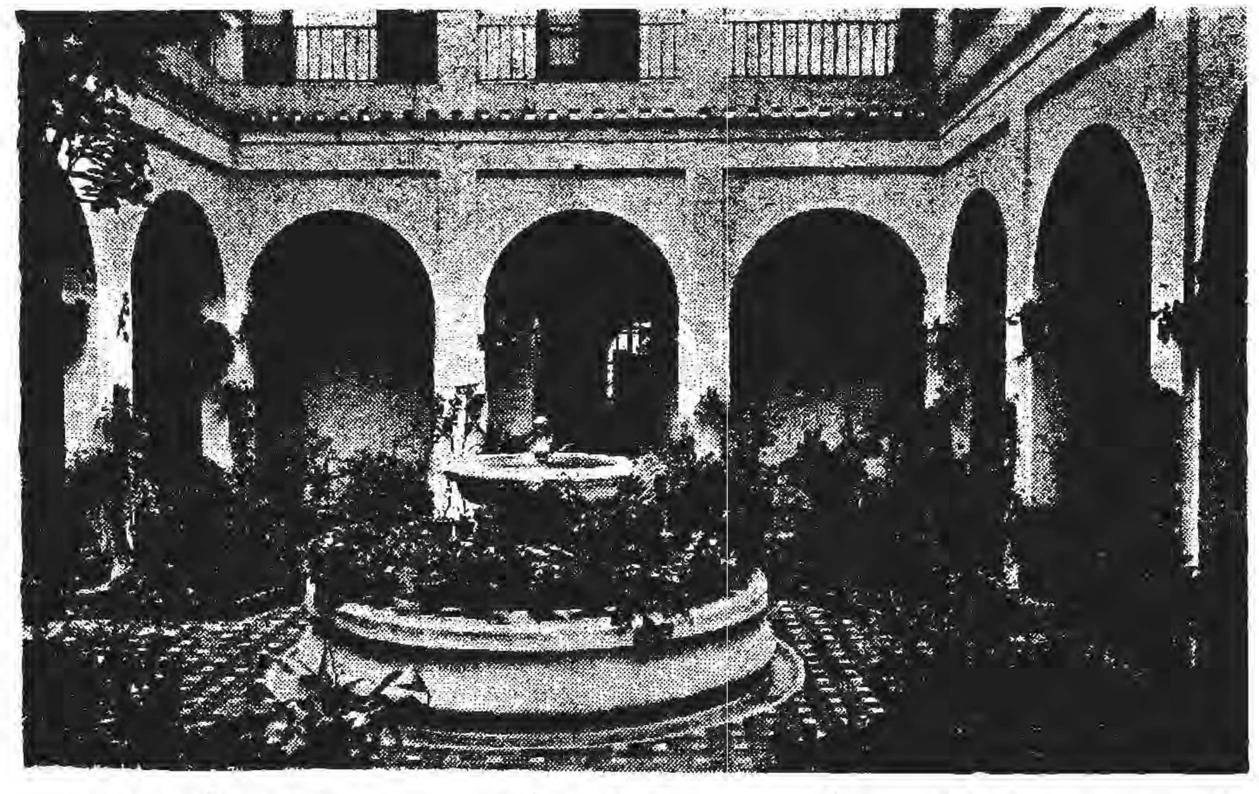
قرطبة : مئذنة الجامع وقد وضعت بها النواقيس

مساجدها كنائس أي قلب　　على هذا يقر ولا يطير!

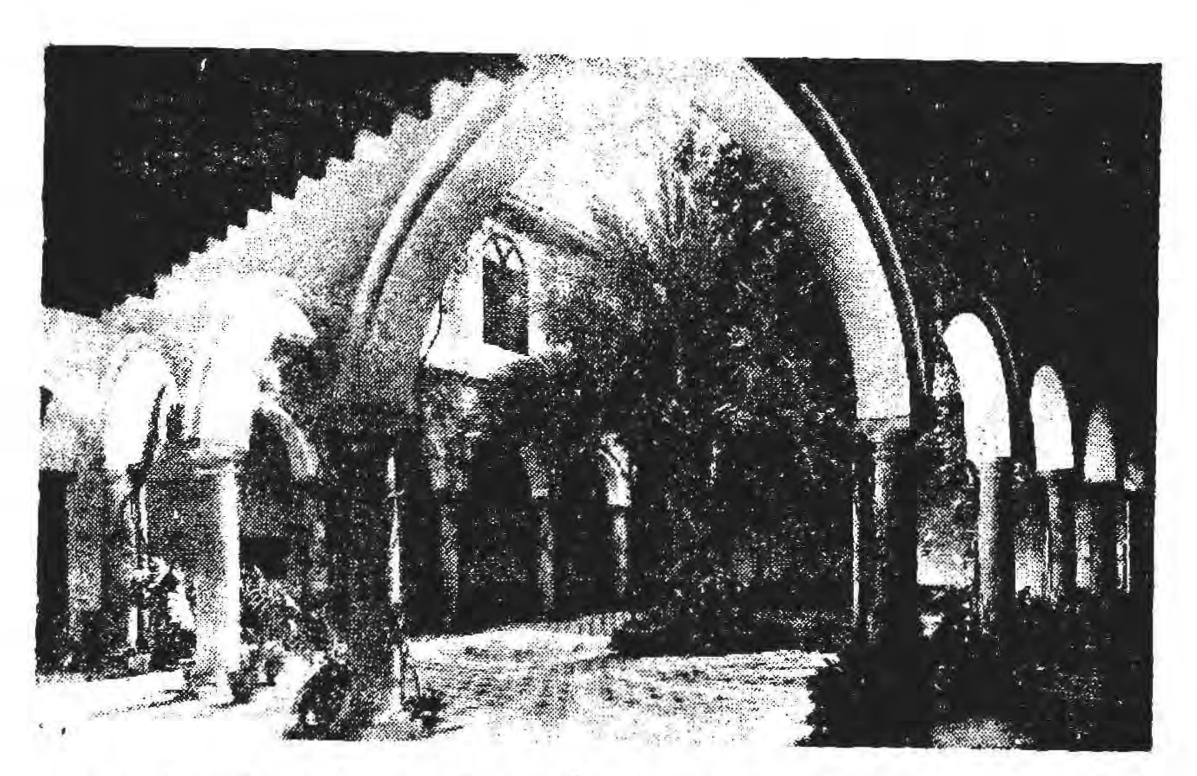
نفح الطيب في رثاء طليطله - ٤ / ٤٨٤



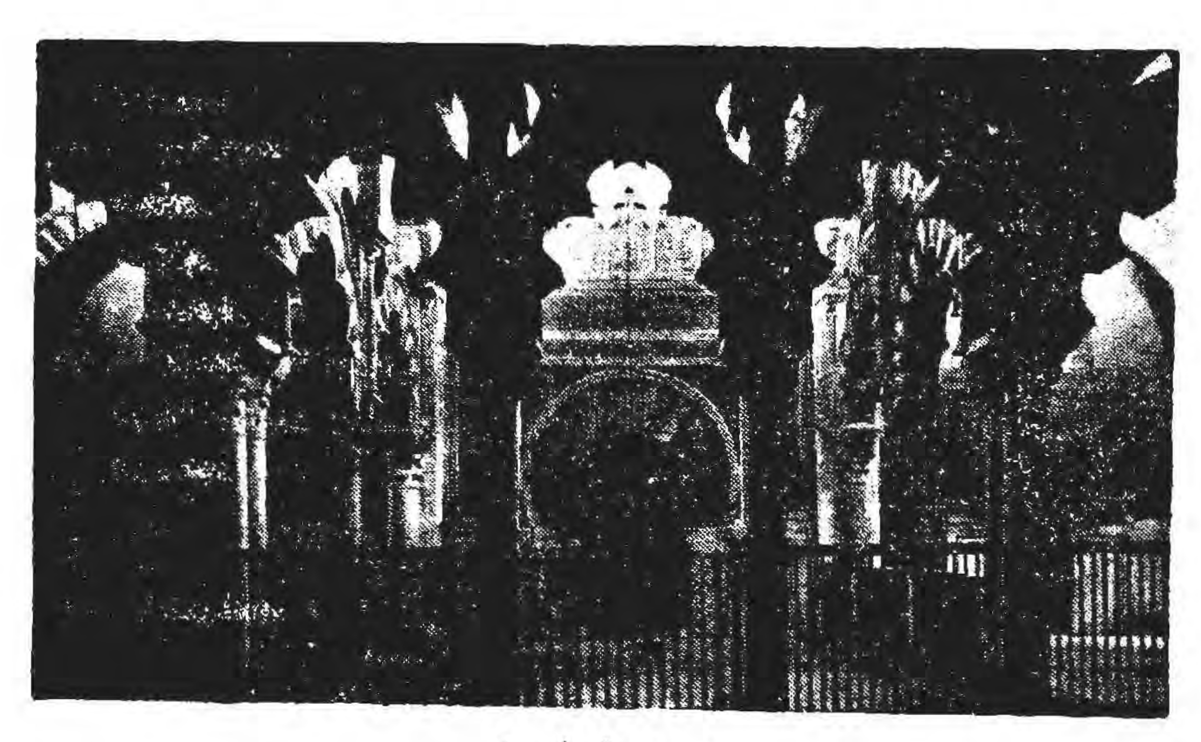
السبيل – في قرطبة – بعض ما تركه العرب من عادات وتقاليد .



فناء بيت من بيوت قرطبة .. ما أشبهه ببيوتات الشام التي أخذت تندثر تحت ثقل الأبنية الحديثة ..



قرطبـــة – نموذج البناء – بإيوانه وسقفه وأقواسه وأعمدته ، وأصص الزرع في صحن الدار ، والفرنكات الغرف العلوية ، كل ذلك وكأنه منزل دمشقي أصيل



مسجد قرطبـــة

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة   حتى المنـــابر ترثي وهي عيدان

٦ – الحكم بن هشام بن عبد الرحمن
واستراتيجية الردع
١٨٠ – ٢٠٦ هـ = ٧٩٦ – ٨٢٢ م

جدول توقيت الاحداث

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحـــداث
١٣٢	٧٥٠	سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية .
١٣٨	٧٥٦	قيام الدولة الأموية في الأندلس .
١٣٨–١٧٢	٧٥٦ – ٧٨٨	حكم عبد الرحمن الداخل « صقر قريش ».
١٧٢–١٨٠	٧٨٨ – ٧٩٦	هشام بن عبد الرحمن .
١٨٠–٢٠٦	٧٩٦ – ٨٢٢	الحكم بن هشام بن عبد الرحمن .
١٧٠–١٩٣	٧٨٦ – ٨٠٨	خلافة هارون الرشيد – العباسي –
١٨٦	٨٠١	وفد شارلمان في بغداد والقيروان .
١٨٦	٨٠١	استيلاء « الافرنج » على برشلونه .
١٩٤	٨١٠	معركة وادي الحجاره ..
١٢٤–١٥١	٧٤١ – ٧٦٨	بيبـــان ابن شارل مارتل ، أول ملوك الدولة الكارولنجية وامبراطور الغرب .
١٥١–١٩٩	٧٦٨ – ٨١٤	شارلمان ابن بيبان ، ملك فرنسا وامبراطور الغرب .
١٩٩–٢٢٦	٨١٤ – ٨٤٠	لويس الحليم – أو لويس الاول – امبراطور الغرب .
٢١٨–٢٢٧	٨٣٣ – ٨٤٢	خلافة المعتصم ببغداد .
٢٢٣	٨٣٨	غزوة عموريه ، في بيزنطه .
٢٢٣	٨٣٨	فتح طليطله ، واخضاع تمردها .

« استراتيجية الردع »

١٨٠ - ٢٠٦ = ٧٩٦ - ٨٢٢ م

أ - الوضع العام :

- تولى الحكم بن هشام بن عبد الرحمن امارة الاندلس خلال هذه الفترة ، وتوافق ذلك مع حكم هارون الرشيد ببغداد وشارلمان وبداية عهد لويس الحليم في فرنسا وولاية عبد الله بن الاغاب (١٨٠ - ٢٠١ هـ) في افريقية، ثم زيادة الله ابن ابراهيم بن الاغلب من بعده ..

- بدأ شارلمان في وضع مخططه لتطوير عملياته في الاندلس ، فأرسل الى بغداد وفداً للصداقة . وفعل مثل ذلك مع افريقية حيث أرسل وفداً إلى قرطجنه بمبرر طلب الاذن لنقل رفات القديس فبريانس المدفون بقرطجنه وغيره من القديسين المدفونين هناك ، فأذن لهم ابراهيم بن الاغلب بذلك وأرسل في اثرهم موفداً خاصاً لمقابلة شارلمان والتقرب منه .

- لقد كان « الاغاليه » يطمحون لفرض سيطرتهم على افريقية والاستقلال بأمورها ، وكان وجود « أندلس قوية » مصدر قلق لهم وخطر عليهم، ووجدوا في قوة شارلمان عوناً لهم بحيث ينصرف حكام الاندلس عنهم لمجابهة خطر أكبر، وفي الوقت ذاته فقد كان هدف شارلمان من مد يد الصداقة للاغالبة هو ضمان عدم تقديم دعم - على الاقل - لمساعدة مسلمي الاندلس، وعندما وثق شارلمان من نجاح مخططه ، وفي السنة التي تم فيها ارسال الوفود الى بغداد وافريقية ، انطلقت جيوش - الفرب - فتجاوزت البيرنيه واندفعت في اتجاه « برشلونه » واستولت عليها ..

ب - الوضع الخاص :

- جابهت الحكم منذ بداية امارته مجموعة من الثورات المضادة والحركات الاستقلالية التي استمرت طوال مدة إمارته، وكان القسم الأكبر من هذه الثورات

على اتصال وثيق بالمخططات التوسعية التي ينفذها شارلمان بالتعاون مع الأمراء الاندلسيين .

– وكان على الحكم تقوية جيشه – [**فكان اول من جند الاجناد واتخذ العدة ... واستعد بالمماليك حتي بلغوا خمسة آلاف ، منهم ثلاثة الاف فارس وألفا راجل . وقد سمي هؤلاء بالخرس لعجمتهم .. كما اتخذ من أسراء حرساً خاصاً له ، وجمع الاسلحة والعدد واستكثر من الحشم ... وكان للحكم ألفا فرس مرتبطة بباب قصره على جانب النهر عليها عشرة من العرفاء ، تحت يد كل عريف مائة فرس ..**] (1)

– ونظراً لما يتطلبه تطوير الجيش من موارد فقــد عمل الحكم على فرض الضرائب ، وعدم تركها طواعية واختياراً ..

[**.. وكان مما نعوه عليه ان جعل العشر ضريبة على الناس بعد ان كان مصروفاً الى أمانتهم ..**] .

ثم قسم البلاد الى « مناطق عسكرية » وأقام بها روابط مستقلة لمجابهــة كل عدوان فكانت هذه المناطق تزج قواتها كنسق أول ثم تدعم هذه القوات بالجيش المتمركز في قرطبة ..

ج – مسيرة الاعمال القتالية ..

1 – الهجوم الوقائي الاول .. « غزوة الصائفة »(2) :

– وجه الامير الحكم منذ تسلمه السلطة جيشاً الى الشمال بقيادة عبدالكريم ابن عبد الواحد ، بمهمة حماية الثغور ..

– كان الامــير الحكم يعرف ان « الدولة الكارولنجية » ستقوم بعملية

---

(1) البيان المغرب ٢ – ١١٨ ، الكامل في التاريخ ٥ – ٢٠٣ ، نفح الطيب ١ – ٣٤٢ ، المغرب في حلى المغرب ١ – ٤٤ ، غزوات العرب ١٣٢ .

(2) البيان المغرب ٢-١٠٢ ، الكامل احداث سنة ١٨١ ، المغرب في حلى المغرب ١-٤٠ .

« سبر »[1] منذ اللحظات الاولى لتوليه الامارة ، فأراد القيام بعملية ردع قبل أن تتمكن من تنظيم هجوم قوي ضده ، وتوجه عبد الكريم الى الشمال وتجاوز سرقسطة « ثغر الشمال » وتوافت عليه الجيوش ، ثم تابع تقدمه حتى وصـل البحر شمال برشلونة فقسم الجيش الى ثلاثة مجموعات قتاليـة وعين قائداً لكل مجموعة ، وحدد له هدفاً بالاغارة على محاور المرور بجبـال البيرنيه .. وانطلقت المجموعات الى أهدافها فلم تلق مقاومة كبيرة ، وتم خلال هذه العملية تدمـير المقاومات والحصون وغنمت القوات غنائم كبيرة ، ثم رجعت الى قاعدة انطلاقها.

٢ – سقوط برشلونه – ١٨٤ – ١٨٦ هـ = ٧٩٩ – ٨٠١ م :

– حول المسلمون مدينة برشلونه الى قاعدة متقدمة ، وعملوا على تحصينها ، وكان فرسانهم ينطلقون منها في اغاراتهم المحدودة وهجماتهم الكبرى الى ماوراء البيرنيه ونظراً للخطورة التي اصبحت تمثلها هذه المدينة فقـد وضع شارلمان خطته للاستيلاء عليها في اول فرصة تمكنه من ذلك .

– توفرت المعلومات عند الحكم عن عزم شارلمان للقيـام بغزو برشلونه ، ووصلته اخبار اتصاله ببعض قادة المسلمين وعلى الرغم من انصراف الحكم الى قمع الثورات المضادة والحركات الاستقلالية في الاقاليم وبصورة خاصـة في الاقاليم الشمالية والشمالية الغربية ، فقـد قرر الحكم توجيه جيش قوي لمجابهة العدوان واحباطه . وقـد تمت عملية استيلاء « الافرنج » على برشلونه ، وفق مراحل ثلاثة ..

المرحلة الاولى : احباط هجوم جيش شارلمان – ١٨٤ هـ – ٧٩٩م ..

كان شارلمان يتابع اخبار الصراع بين الحكم وبين عمـه سليمان في بلنسيه ، وهو الصراع الذي استمر ثلاثة أعوام ، فاتصل ببعض أمراء المسلمين في الشمال ،

---

(١) سبر Sondage ، مصطلح يقصد منه القيام بأعمـال تعرضية وعمليات هجومية محدودة هدفها معرفة نوايا العدو وإستعداده القتالي ومستوى تسليحه وتدريبه ، وتنظيم مواقعه القتالية وهي عمليات استطلاع بالقوة ولكنها على نطاق أوسع وهدف أكبر .

وأظهر له هؤلاء الطاعة ، وظن ان الفرصة مواتية بهجومه ، وخلال هذه الفترة تم الصلح بين الحكم وبين عمه عبد الله ، فوجه الحكم جيشه بقيادة عمه عبد الله « البلنسي » بمهمة القضاء على هجوم « الافرنج » واحباطه ، ووصـــل عبد الله وتواقت يوم وصوله الى برشلونه مع يوم وصول جيش شارلمان اليها ، فعقد عبد الله مؤتمراً ، اقترح فيه قادة المسلمون البدء بالهجوم فوراً ، لكنه قرر تأجيـــل الهجوم الى اليوم التالي ، وهو يوم الجمعة .

– انصرف عبد الله منذ الصباح المبكر لاجراء التنظيم للمعركة [**فأمر بتعبئة الكتائب ونصب الردود « المجانيق » ، وصلى ركعتي الجمعة .. ثم نادى في الناس ، وركب هو ومن معه ..**] [1] وبدأت الحرب ..

– كان شارلمان يتوقع الوصول الى برشلونه واحتلالها دون مقاومة ، ولكنه بوغت بمقاومة الامراء الذين اظهروا له الطاعة ، ثم اصطدم جيشه بجيش المسلمين أمام برشلونه فكانت المباغتة الثانية ، وعلى الرغم من ذلك فقـد خاضت قوات الافرنج معركة ضارية ، وقاتل المسلمون بتصميم وعناد حتى استطاعوا انتزاع النصر من أعدائهم وعندما انتهت المعركة وتوقف القتال [**نصب الحكم قنـاة طويلة فأثبتت في الارض وأمر بالرؤوس فجمعت وطرحت حواليهـا حتى غابت القناة فيها ..**] [2] .

المرحلة الثانية : الحصار الطويل ١٨٤ - ١٨٦ هـ – ٧٩٩ - ٨٠١ م ..

– كان لويس – ملك اكيتانيا – هو الذي يقود عمليات الهجوم على الاندلس وعندما لحق به الفشل ووجد ان الاستيلاء على برشلونه يتطلب جهداً أكبر ،

....

(١) و (٢) البيان المغرب ٢ – ١١٠ وهو يجعلها في احداث سنة ١٩٩ ، لكن هناك شبه اجماع بين مؤرخي الشرق والغرب ان سقوط برشلونة قد حدث عام ١٨٦ هـ – ٨٠١ م وان هذه المعركة حدثت قبل سنتين من سقوط برشلونة ، ولهذا فان الاحتمال الاقرب للصحـة هو حدوث المعركه عام ١٨٤ وليس ١٩٩ هـ ، أما المغرب في حلى المغرب فيذكرها في احـداث ١٩٧ هـ ، ونفح الطيب ١٨٥ .

قرر الدخول بحرب استنزاف طويلة الأمد فاتفق مع غليوم كونت « تولوز » وعقد مجمعاً من أمراء البلاد بهدف تنسيق التعاون للاستيلاء على برشلونه وفرض حصار حولها .. وزحفت القوات المشتركة وأحاطت بالمدينة وضربت نطاقاً محكماً حولها ووجهت الاغارات لتدمير المرافق الهامة حولها وحرمانها من الموارد الحياتية ، ورغم ذلك فقد صمدت برشلونه للحصار وقاومت بعناد محاولات الافرنج ..

– في عام ١٨٥ هـ – ٨٠٠ م : كان شارلمان في رومة مشغولاً بقضية تتويجه امبراطوراً على الغرب . واستمر الحصار على برشلونه ، دون ان تظهر ولو بادرة ضعف واحدة تشير الى احتمال الاستسلام أو الخضوع للافرنج ، وكان أمراء سرقسطه وطرطوشه رغم مناوأتهم للحكم يتفقون معه على ضرورة الصمود واحباط مخططات « الافرنج » ..

– في عام ١٨٦ هـ – ٨٠١ م : أرسل شارلمان وفداً الى بغداد للتهنئة وتوثيق عرى الصداقة ، والتحريض ضمناً ضد « أمويي الاندلس » وأرسل في الوقت ذاته وفداً آخر الى افريقية بمهمة مماثلة للاتصال بابراهيم بن الاغلب .

– في هذه الفترة أرسل ملك اشتوريه الى شارلمان طلباً للنجدة والعون من أجل غزو المسلمين ، ووجه شارلمان قوات ضخمة بقيادة ابنه لويس ملك اكيتانيا [١] ، وانضم بهلول بن أبي الحجاج الى الافرنج بعد أن استمر في ثورته طوال السنين الماضية [٢] .

....

(١) لويس الأول ، أو ، لويس الحليم Louis 1er le Débonnaire où Le Pieux ابن شارلمان وهيلديغارد Hildegard ، ولد في كاسونوي عام ٧٧٨ م ، ثم اصبح ملك اكيتانيا ، ثم ملك فرنسا ، وأصبح امبراطوراً للغرب وملكاً لفرنسا خلال الفترة بين ٨١٤ – ٨٤٠ م ، قضى على ثورة حفيده برنارد ملك ايطاليا عام ٨١٨ ، تزوج ايرمينغارد ثم جوديث دوبا فيير عام ٨١٩ ، وقضى خلال حكمه على الثورات التي قادها ابناؤه ضده وهم لوثر ولويس وبيبان وذلك بسبب غيرتهم من اخيهم شارل الذي أراد أبوه ايثاره بقسم من ميراثه ومات أثناء حملته ضد واحد من هؤلاء الأبناء .

(٢) غزوات العرب ١٣٧ .

المرحلة الثالثة : سقوط برشلونه ١٨٦ هـ - ٨٠١ م ..

عندما وصلت جيوش « الافرنج » أعيد تنظيمها وتحديد الواجبات لها فكانت على النحو التالي :

١ - القسم الاول بقيادة الملك لويس - ملك اكيتانيا - ومهمته السيطرة على محاور المرور في البيرنيه ، والقيام بهجمات على المناطق القريبة ..

٢ - القسم الثاني بقيادة غليوم كونت تولوز ومهمته السيطرة على محاور الاقتراب بين قرطبة وبرشلونه بهدف عزلها عن كل دعم ..

٣ - القسم الثالث ، بقيادة ملك اشتوريه ، ومهمته حصار المدينة والاستيلاء عليها ..

توجه الحكم بجيشه لمجابهة العدوان ، ومعه عمروس أمير طليطله وسرقسطة ومحمد بن مفرج قائد الفرسان،وعندما وصل سرقسطة وصلته أخبار تمرد طليطله واعلان الثورة فيها فوجه قوة بقيادة عمروس للقضاء على التمرد .

- لم يتمكن الحكم من الوصول الى برشلونه نتيجة للمقاومات المنظمة على محاور الطرق والمواقع الحصينة ، فحول الحكم الى « اشتورية » لتخفيف الضغط عن برشلونة ولحمل ملكها على الانسحاب من قوة التحالف والتوجه للدفاع عن اقليمه ، ولكن الحكم لم يلق مقاومة في اشتورية فتابع تقدمه الى نافار ووصل بنبلونه ووشته . وعندما لم ينجح مخطط الحكم في اجتذاب جيش التحالف وحمله على التحول عن هدفه ، تحول في مسيرته نحو الغرب ، ووصلته أخبار عن تقدم بهلول بن أبي الحجاج الى طركونه ، فتوجه الحكم لقتاله ولكن بهلول تقدم خلال ذلك فوصل طرطوشه ، فلحق به واستطاع القضاء عليه وحمل رأسه الى قرطبة في محاولة لردع كل من يفكر في التعاون مع قوات الشمال واقناعه بالمصير الذي ينتظره لقاء خيانته أمته والتعاون مع أعدائها ..

- مضى على حصار « برشلونة » عامان كاملان ، وفي النهاية اشتد الحصار عليها ، فقرر أميرها القيام بهجوم يائس ، فنظم قواته واندفع في هجوم مباغت،

لكن هذا الهجوم لم ينجح في تحقيق هدفه وفشل أمام تفوق العدو الساحق ، ووقع أمير برشلونة أسيراً في قبضة العدو ، وقام الافرنج بتنظيم هجوم كبير أعدوا له كل ما هو ضروري من أعمال ، كحفر الانفاق واعداد أعتدة تسلق الأسوار وتوفير الامدادات الضرورية وأمكن بذلك اختراق تحصينات المدينة واسقاط موانعها ووصلت قوات العدو الى المدينة وأزالت كل مقاومة فيها ، وخرجت برشلونة من قبضة المسلمين بعد أن بقيت تحت حكمهم تسعين سنة ، وأصبحت فرنسا تسيطر على دولتين في شمال الاندلس احداهما كتالونيا وقاعدتها برشلونة ، والثانية غاسقونيا ، ومنها نافار وآراغون ..

٣ – استعادة تطيله ١٨٧ هـ – ٨٠٢ م :

كان عمروس بن يوسف أمير ثغور الشمال يرافق الحكم أثناء تحركه في محاولة دعم حامية برشلونة ، وعندما ظهر التمرد في طليطلة توجه اليها وأرسل قوة بقيادة ابنه يوسف الى تطيله [١] .

– وكانت هناك قوات من الاندلس قد انضمت الى الافرنج والتحقت بهم خوفاً من بطش الحكم وفي محاولة لتقوية مركزهم عند الافرنج للاستقلال بثغور الشمال وسيطر هؤلاء بقواتهم على تطيله ، وتمركزوا فيها ، وعندما قدمها يوسف أمكن لهم نصب كمين أوقعوه فيه ، وأخذوه سجيناً الى « صخرة متيس » .

– استقر عمروس بن يوسف بمدينة « سرقسطه » وجعلها مقراً له نظراً لموقعها المتوسط من ثغور الشمال ، وبسبب ما تتميز به من المنعة والقوة ، ثم تابع مهمته في اخضاع حركات التمرد ، ووجه جيشاً بقيادة ابن عمه للقاء الافرنج ، وتمكن هذا الجيش من تمزيق قوة الافرنج بعد أن كبدهم فادح الخسائر في معركة حاسمة ، وتابع المسلمون تقدمهم فاستولوا على تطيله ، ولم يعد باستطاعة

(١) تطيله Tudela على نهر ابره « Ebro » غرب سرقسطة وجنوب بمبلونا .

أنصار الإفرنج الصمود في وجه تقدم جيش عمروس ، فأخذوا في التفرق ، واستطاع هذا الجيش تحرير يوسف بن عمروس من قبضة الأسر[1] .

٤ - هجوم وقائي جديد ١٩٢ هـ - ٨٠٧ م[2] :

- اكتسب « الافرنج » بعد سقوط « برشلونه » مزيداً من الثقة بقدرتهم على تطوير هجماتهم ، وتابعوا عملياتهم التخريبية وهجماتهم على ثغور المسلمين ، وفي عام ١٩٢هـ توفرت المعلومات لدى الحكم عن تصميم « رودريك - لذريق » لتوجيه جيش بمهمة الاستيلاء على طرطوشه[3] مستفيداً من تركيز جهد الحكم على « مارده » للقضاء على التمرد فيها ، فوجه الحكم جيشاً كبيراً بقيادة ابنه عبد الرحمن وطلب الى ولاته في الثغور « عمروس ، وعبدون » ان يعملا على زج قواتهما والالتحاق بجيش ابنه عبد الرحمن ..

وصل عبد الرحمن بن الحكم الى الشمال ، وانضمت اليه قوات الثغور والتحقت به قوات كبيرة من المتطوعين . وتواقت وصول عبد الرحمن مع وصول جيش رودريك الى مضائق البيرنيه ، ودارت رحى معركة طاحنة ، ثبت فيها المسلمون حتى استطاعوا احراز النصر وأبادوا جيش « رودريك » ابادة شبه تامة ، وأمكن بذلك احباط هجوم العدو في مهده ..

٥ - استراتيجية الردع ..

معركة وادي الحجاره - ١٩٤ هـ - ٨١٠ م :

- تابع الافرنج أعمالهم التخريبية ، واغاراتهم الاستفزازية في المناطق الشمالية ، وأفادوا في ذلك من انصراف الحكم لقمع الثورات المضادة والحركات

---

(١) الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ، احداث ١٨٧ .

(٢) في البيان المغرب احداث ١٩٣ ، وفي نفح الطيب جعلها من أحداث سنة ١٩٦ هـ وجعل قيادتها للحكم نفسه ، وفي الكامل لابن الاثير أحداث سنة ١٩١ هـ .

(٣) طرطوشة Tortosa .

المناوئة ، وذات يوم وبينما كان الشاعر المربي عباس بن ناصح ، في وادي الحجاره[1] وصل سمعه صوت استغاثة امرأة عربية وهي تقول :

[.. واغوثاه بك يا حكم .. لقد اهملتنا حتى كلب العدو علينا ، فأيمنا وأيتمنا ..] وتقدم عباس بن ناصح من المرأة مستوضحاً أمرها ، فقالت له :
[.. كنت مقبلة من البادية في رفقة ، فخرجت علينا خيل العدو .. فقتلت وأسرت ..]

ورجع الشاعر عباس بن ناصح الى قرطبة ، ودخل مجلس الحكم فأنشده :

تململت في وادي الحجارة مسهراً أراعي نجوماً ما يرون ثغورا
اليك أبا العاصي نضيت مطيتي تسير بهم سارياً ومهاجرا
تدارك نساء المسلمين بنصرة فانك أحرى ان تغيث وتنصرا

واستوضح الحاكم من الشاعر عباس عن حقيقة الموقف وما سمعه وما رآه ، فوقف الحكم من فوره وأعلن الجهاد والاستعداد وزحف بقواته بعد أيام ثلاثة نحو الشمال[2] ..

– وصلت قوات المسلمين الى « وادي الحجارة » وانطلقت الى الحصون تدمرها والمواقع تزيلها والمقاومات تبيدها ، وأمكن خلال ذلك الحصول على اعداد كبيرة من أسرى العدو ، وتابع الحكم دفع القوات حتى لم تبق مقاومة تعترض سبيل تقدمهم ، ورجع الى وادي الحجارة وتوقف فاستدعى المرأة المستغيثة وتوافد أهل الناحية ، فأمر الحكم لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم يصلحون به أحوالهم ويفدون به سباياهم وخص المرأة وآثرها ووزع عدداً من

(١) وادي الحجارة Guadaljara . واد يمتد بين طليطلة ومدريد يخترقه رافد من روافد نهر التاج وهو واد كثير الوعورة ، به فج يحمل اسم فج طارق ، نسبة الى طارق بن زياد عندما اخترقه الى الشمال لاحتلال سرقسطة .
(٢) الكامل ، احداث ١٩٤ هـ .

الأسرى على من أسر احد من أقربائهم وأمر بضرب اعناق البقية ، ثم التفت الامير الحكم الى الشاعر ـ عباس ـ وقال له :

[.. سلها .. هل اغاثها الحكم ؟.] فأجابت المرأة وكانت عربية نبيلة :

[.. والله لقد شفى الصدور وأنكى في العدو ، وما غفل عنا إذ بلغه امرنا ، فأغاثه الله وأعز نصره ..]

ثم خاطب الحكم الشاعر عباس بقوله :

ألم تر يا عباس أني اجبتها	على البعد اقتاد الخميس المظفرا
فأدركت أوطاراً وبردت غلة	ونفست مكروباً وأغنيت معسرا

فأجاب عباس : نعم ، جزاك الله خيراً عن المسلمين[1] .

– ورجع الحكم ظافراً الى قرطبة ..

٦ - اخضاع التمرد في طليطلة ١٩٩ هـ – ٨١٤ م :

على الرغم من الجهود المبذولة لاخضاع طليطلة، وعلى الرغم من اخفاق حركات التمرد المرة بعد المرة ، فقد تابعت هذه المدينة سيرتها في الثورة والتمرد حتى أصبحت بؤرة لأستنزاف قوة الدولة وقدراتها ، فصمم الحكم على اخضاعها بنفسه ، ونظم جيشه وانطلق الى الشرق متظاهراً بالتوجه الى « مرسيه » مركز اقليم « تدمير » .

– وصل الحكم اقليم تدمير شرقاً ونزل بعض حصونها وكتب الى عمال الثغور بنزوله فيها ، واطمأن أهل طليطلة وتابعوا ممارسة حياتهم العادية ، وكان الحكم قد أرسل عناصر استخباراته « عيونه » لموافاته بأخبار طليطلة وهو يقترب منها شيئاً فشيئاً ، وعندما وجد الفرصة المناسبة تحرك بسرعة نحو الشمال وسار ليلاً حتى وصلها بعد أن دفع أمامه بعض العناصر الخفيفة والافراد

---

(١) البيان المغرب ٢ – ١٠٩ ، ونفح الطيب ١ – ٣٤٣ .

(٢) اخبار مجموعة ١٢٩ والمغرب في حلى المغرب ١ – ٤١ والبيان المغرب ٢ – ١١٠ .

المتفرقين الذين دخلوا المدينة في غفلة من أهلها . ووصل الحكم ودخل طليطلة دون أن يعرف أحد أمر دخوله ، ثم استمر تدفق الجيش ، وقام الحكم بعزل المدينة وعندما شعر أهلها انهم عاجزون عن القيام بأي محاولة للمقاومة استسلموا وعمل الحكم على اعتقال قادة التمرد ، ونقلهم الى « ترجله » من اقليم بطليوس ، ثم أمر سكان المناطق الجبلية والمواقع المنعزلة بمغادرة مراكزهم فعمل على احراقها وتدميرها ، وبذلك أمكن اخضاع طليطلة والقضاء على مراكز المقاومة المحيطة بها ، وعاد الهدوء اليها ، لكن إلى حين ..

٧ - تطوير عملية الردع ٢٠٠ هـ - ٨١٥ م :

استطاع الحكم أخيراً ، اخضاع حركات التمرد ، وقمع الثورات المضادة ، فوجه جيشاً كبيراً بقيادة عبد الكريم بن مغيث لتطوير عمليات الردع ، فوجه عبد الكريم بجيشه شمالاً حتى وصل وادي الرون [١] ، وبذلك تجاوزت قوات المسلمين وللمرة الاولى في عهد الحكم حدود « الأندلس » ووصلت أرض فرنسا « غاليا » .

- انطلقت قوات المسلمين في وادي الرون تدميراً للقلاع وابادة للمقاومات وخلال ذلك كان أمير الاقليم يطلب قوات الدعم من المقاطعات ، ووصلته قوات دعم كبيرة ودارت معارك طاحنة حقق فيها المسلمون انتصارات رائعة وأرغموا قوات « الافرنج على البقاء عند الضفة الاخرى من نهر الرون ، وعندما

(١) البيان المغرب ٢ - ١١٨ ، والكامل في التاريخ حوادث سنة ٢٠٠ هـ .. ولم يذكر بوضوح موقع المعركة ، ولكن المصادر الغربية تنوه اليها ، وقد جاء في المصادر العربية :
(.. فدخلها وتوسطها وأهلك معايشها .. حتى استوفى جميع قرى وادي اردون .. وانجلت النصرانية من كل مكان وأقبلت الجموع ونزلت بعدوة نهر اردون ..) ، ولم يذكر ابن الاثير اسم النهر او مكان الموقعة بدقة وتجاهلها المغرب في حلى المغرب وأسقطها المقري .. وكل ما ذكره في نفح الطيب ١ - ٣٤٠ (.. وأقبل عليه « اليط » ملك الجلالقة في جموع عظيمة وتنازلوا على نهر واقتتلوا عليه اياماً ونال المسلمون منهم أعظم النيل وأقاموا كذلك ثلاث عشرة ليلة ..) .

وضع عبد الكريم مخططه للعبور ولقاء قوات عدوه عند الطرف الآخر من النهر هطلت الأمطار الغزيرة وتدفقت السيول مما جعل عملية العبور مستحيلة، فاضطر عبد الكريم بن مغيث الى الانسحاب بعد معارك ضارية استمرت طوال ثلاثة عشر يوماً تكبد فيها « الافرنج » خسائر كبيرة في الارواح والممتلكات ورجع عبد الكريم بجيشه وهو مثقل بالغنائم ..

– وقد يكون من الغريب ألا يحاول الحكم استعادة برشلونه ، وتركها كموقع في جانب المسلمين ، وقد يكون السبب في ذلك :

١ – وجود امارات مستقلة في الشمال خاضعة اسمياً لخلافة قرطبة مثل امارة آراغون ونافار ..

٢ – استقلال شمال غرب الاندلس – اقليم جيليقية – .

٣ – تصاعد حركات المقاومة ، وتكرر حدوث الثورات المضادة ..

٤ – عدم توفر الامكانات المادية والطاقات البشرية الكافية لتكريس قوات خاصة لحصار المدينة والبقاء فيها حتى اخضاعها مع احتمال ضرورة زج قوات اضافية لمجابهة كل دعم قد يصل لدعم قوات الافرنج في برشلونه .

—★—

القسم الرابع

الفصل الثاني

عهود الفتنة والاضطراب

أ - عبد الرحمن بن الحكم بن هشام « الاوسط » :

١ - عملية الردع الأولى .

٢ - استعادة السيطرة على اراغون .

٣ - عمليات الردع لحماية الثغور .

٤ - العمليات في جيليقيه .

٥ - انزال النورمان في الأندلس .

٦ - عمليات الردع ضد جزر مينورقه - ميورقه - يابسه « جزر الباليئار »

٧ - ثورة مارده .

٨ - الفتنة الطائفية .

٣ – محمد بن عبد الرحمن وحروب الاستنزاف .

احباط عملية السير .

١ – عمليات الردع الخارجية :

آ – معركة وادي سليط .

ب – مجابهة غزو النورمان .

حـ – عمليات الردع في الشمال .

د – الثورات المضادة في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن .

هـ – ثورة عمر بن حفصون .

٢ – حروب الاستنزاف واستمرار الثورات المضادة

في عهدي المنذر وعبد الله ابني محمد بن عبد الرحمن

آ – عناصر الثورات المضادة .

ب – نشوء مملكة نافار ، أو البشكنش .

حـ – نشوء مملكة جيليقيه – اشتوريش ، ثم ليون .

—★—

١ - عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
والهجمات الوقائية واستراتيجية الردع
٢٠٦ - ٢٣٨ هـ - ٨٢٢ - ٨٥٢ م

- تولى حكم الاندلس في الفترة بين عام ٢٠٦ - و - ٢٣٨ هـ الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام رابع امراء الاندلس. وقد توطدت سيطرة الدولة في عهده، وظهرت بوضوح الاسس الاستراتيجية لعملياته القتالية التي كانت ضمن احدى مجموعتين اما هجمات وقائية لاحباط نوايا العدو، واما عمليات ردع هدفها اقناع خصومه بقوته وعجزهم عن مواجهته بتحدياتهم.

- وتوافقت حكم عبدالرحمن الاوسط مع حكم لويس الحليم في «كارولنجيا»، ونظراً لما تميز به هذا الحكم من الضعف والتمزق الداخلي فقد توفرت الفرصة أمام الامير عبد الرحمن لاعادة تنظيم الجبهة الداخلية بعيداً عن كل تدخل خارجي وتطوير العمليات لنقل مسرح العمليات حتى قلب بلاد الغال «فرنسا» عوضاً عن ممارسة عمليات الردع فوق أرض الاندلس ذاتها.

١ - عملية الردع الاولى ٢٠٨ هـ - ٨٤٣ م:

- انطلق الفونسو الثاني - أمير ليون - بهجوم كبير فور علمه بوفاة الحكم وتسلم عبد الرحمن مقاليد السلطة، ووصل بهجومه حتى مدينة «سالم» من أعمال الثغر الأعلى، وفي الوقت ذاته تحركت بعض القبائل المسيحية الثائرة في الشمال فأغارت على ثغور المسلمين وأعملت فيها حرقاً وتدميراً وسبياً، وعلى اثر ذلك وجه الامير عبد الرحمن جيشاً كبيراً بقيادة حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد الى البه، والقلاع وهزم الثوار في مجموعة من المعارك المتتالية، وعندما وصل «ليون» عاصمة اقليم جيليقية، أمر باحراقها وتدمير حصونها، وطلب

الثوار الصلح فاشترط عليهم شروطاً قاسية منها دفع غرامة كبيرة وتسليم بعض زعمائهم كرهائن يتم الاحتفاظ بهم في قرطبة لضمان عدم معاودة التمرد ، مع اطلاق سراح أسرى المسلمين .

– وفي الوقت الذي كان فيـــه عبد الكريم يمارس عملياته في جيليقيه كان الأمير عبد الرحمن قـد وجه جيشاً ثانياً بقيادة ابنه محمـد للقضاء على التمرد في كاتالونيا فزحف الأمير محمد بن عبد الرحمن الى بنبلونا عاصمة نافار ، واستولى عليها وقتل ملك نافار ، ودمر حصونه وقصوره ، وهربت فلول الثائرين الى ما وراء البيرنيه ..

– انتهت المرحلة الاولى من هذه العمليات بنجاح ، وأصبح بالامكان تطوير العمليات فعقد عبدالكريم بن عبد الواحد اجتماعاً للقادة لمناقشة موضوع اختراق البيرنيه ، لا سيما وقد أصبح جيش عبد الكريم قادراً على متابعة هجومه بفضـل ما وصله من قوات دعم ، وما لحق به من متطوعين ..

عندما اجتمع القادة لمناقشة الموقف وقع اختلاف حول المحور الذي يجـب اتباعه وبعد حوار أمكن الاتفاق على أن يكون محور التقدم هو «باب البه» (١) وكان سبب اختيارهم لهذا المحور هو أنه :

[... أنكى للعدو وأحسم لدائه فاقتحموا من فج يقـال له « جرنيـق » وكان وراءه بسيط للعدو فيه خزائنه وذخره ، فوضع أهــل العسكر على

....

(١) عرف العرب أربعة محاور للمرور من الاندلس الى الارض الكبيرة « فرنسا » عـبر جبال البيرنيه « البرانس أو البرتات » وأطلق العرب على هذه المحاور اسم الأبواب وهي :

١ – محور برشلونة – بربينيان Perpignan – ناربون، وبربينيان هي مركز مقاطعة روسيليون - أو - البيرنيه الشرقية .

٢ – محور بويـودا – سردانه Cerdagna .

٣ – محور بنبلونه – سان جان بييه دوبورت Saint Jean Pied de Port .

٤ – محور طولوزا « الاسبانية » بايون Toloza - Bayonne

ارسلان – عن غزوات العرب ١١٨ .

تلك البسائط فاستصفوها وعلى ذخر تلك الخزائن فانتهبوها واستوعبوا خراب كل ما مروا به عليه من العمران والقرى وأقفروها وانصرف المسلمون غانمين ظافرين ..] [1] .

٢ - استعادة السيطرة على اراغون ٢٠٩ هـ - ٨٢٤ م :

في عام ٨٠٩ م ، توفي الكونت « اوريول » قائد الجيوش الفرنسية في اقليم اراغون ، ووجد « عمروس » امير سرقسطة ، وهو من المولدين أن الفرصة سانحة للانتقام من الافرنج لقاء ما ألحقوه به من الذل خلال وقوعه بالأسر في عملية استعادة طليطلة خلال فترة حكم « الحكم بن هشام » ولهذا تقدم بقواته واستولى على المواقع والمراكز التي كان يسيطر عليها الكونت « اوريول » [2] زاعماً انه سيقوم بتسليم هذه الأماكن عندما يتقدم الفرنسيون ، ولكن عندما وصلت قوات « الافرنج » رفض تسليمهم اياها وبقيت في قبضة المسلمين .

٣ - عمليات الردع لحماية الثغور :

استمر عبد الرحمن بن الحكم في تنفيذ استراتيجية الردع بهدف حماية الثغور وابعاد كل خطر عنها ، وكان تنفيذ هـــذه الاستراتيجية يخضع لمجموعة من العوامل أهمها :

١ً - توفر الاستقرار الداخلي ، وعدم وجود ثورات مضادة ..

٢ً - وجود احتمال بالتهديد الخارجي ..

٣ً - توفر القناعة عند أمير قرطبة بوجود اتصال بين عناصر الثورة المضادة وبين القوى الخارجية ..

وان استعراض أحداث سنوات حكم الأمير عبد الرحمن يبرز بوضوح معالم هذه الاستراتيجية ..

(١) البيان المغرب ٢ - ١٢٣ ، ابن الاثير أحداث سنة ٢٠٨ ، نفح الطيب ١ - ٣٤٥ ، تاريخ العرب في اسبانيا - عنان ٨٨ .
(٢) اوريول Aureole .

ففي عام ٢٠٩ هـ – ٨٢٤ م ، وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً إلى الثغور ، وهو جيش الصائفة ، بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد ، وأصيب عبد الكريم بمرض أعاقه عن متابعة التحرك ، ثم لم يلبث أن توفي ، فخلفه في قيادة الجيش أمية بن معاوية بن هشام ، فتقدم أمية بالصائفة حتى وصل اوريط[١] ونزل بها، وخلال توقفه ألقى القبض على زعماء التمرد وقتلهم وعفا عن الباقين ممن ليس لهم دور قيادي في التحريض على الثورة ، ثم تابع أمية تقدمه إلى « شنت بريه»[٢] للقضاء على التمرد فيها .

– وفي عام ٢١٠ هـ – ٨٢٥ م : وجه الأمير عبدالرحمن مجموعة قتالية كبرى بقيادة عبيد الله « المعروف بابن البلنسي » كما وجه مجموعة قتالية ثانية بقيادة فرج بن مسره عامل جبات وتوجهت هذه القوات الى أهدافها، فأوغلت المجموعة الأولى في التقدم داخل أرض « الافرنج » وأعملت فيها قتلاً للمقاومات واحراقاً للقرى وتدميراً للحصون ثم التقت بقوات العدو ودارت رحى معارك طاحنة انتصر فيها المسلمون وحصلوا على غنائم كبيرة واعداد من الأسرى . أما المجموعة الثانية فقد توجهت الى حصن « القلعة » وأمكن لها الاستيلاء عليه ، وفي الوقت ذاته وقعت ثورة في تدمير « بين اليمانية والمضرية » .

– وفي عام ٢١١ هـ – ٨٢٦ م : حدثت ثورة في تاكرنا فوجه اليها الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة ابن غانم فظفر بقائد الثورة ـ طويل ـ .

– وفي عام ٢١٢ هـ – ٨٢٧ م : وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة عبيد الله بن عبد الله « البلنسي » لقيادة عمليات الصائفة ، فركز قائد الجيش عبيد الله عملياته في اقليم برشلونه واستمر في تنفيذ الاغارات والأعمال الهجومية لفترة شهرين كاملين ، وشملت العمليات اقليم « جرنده » .

– وفي عام ٢١٣ هـ – ٨٢٨ م : أمكن القضاء على الفتنة بتدمير ، بعد أن

(١) اوريط Oreto جنوب قلعة رباح .
(٢) شنت بريه أو شنتمريه Santa Maria .

استمرت اربعة اعوام . واستنزل قائد الفتنة أبو الشماخ وغيره من القلاع وعمل الامير عبد الرحمن على تعيين أبو الشماخ والياً من ولاته في الاقاليم [1] .

تابع عبد الرحمن بعد ذلك عملياته لردع الاعداء الخارجيين وقمع ثورات الاعداء الداخليين . ومن أكثر عمليات الردع الخارجية العمليات التالية :

٤ – العمليات في جيليقية :

١ – عام ٢٢٢ هـ – ٨٣٦ م : وجه الامير عبد الرحمن قوة كبيرة بقيادة أخيه الوليد بن الحكم إلى جيليقية ، ونجح الوليد في عمليات الردع ، وفتح عدداً من الحصون والقلاع .

٢ – وفي عام ٢٢٤ هـ – ٨٣٨ م . وجه الأمير عبد الرحمن قوة بقيادة عبد الله المعروف بابن البلنسي ، لاخضاع البة والقلاع ، وجابهم جيش جيليقية فدارت رحى معارك طاحنة ، وانتهت العمليات بهزيمة جيش جيليقيا وابيدت قوات كبيرة منهم ، وأراد رودريك الافادة من هذه الظروف فانطلق بقوة كبيرة في محاولة لاحتلال مدينة « سالم » فتصدى له فرتون بن موسى والحق به الهزيمة ، وأوقع بجيشه الخسائر الفادحة في الارواح ، ثم تابع فرعون تقدمه في اتجاه الحصن الذي أقامه أهل « البه » لمجابهة تقدم المسلمين فحاصره ثم اقتحمه ودمـــره .

٣ – وفي عام ٢٢٥ هـ – ٨٣٩ م : قاد الأمير عبد الرحمن الجيش بنفسه لتطوير عمليات الردع في جيليقية ، ففتح حصونها وأوغل في تقدمه واستمرت عملياته هذه فترة طويلة ، ثم عاد الى قرطبة بعد أن أخضع عدوه.

٤ – وفي عام ٢٢٦ هـ – ٨٤٠ م : وجه الامير عبدالرحمن جيشاً الى جيليقية

(١) المراجع : الكامل لابن الاثير ، أحداث السنوات ، البيان المغرب ٢ – ١٢٣ – ١٢٧ نفح الطيب ١ – ٤٧ – ٥١ ، المغرب في حلى المغرب ١ – ٣٤٤ – ٣٥٠ .

بقيادة القائد عبد الواحد بن يزيد « الاسكندراني ». وقام الجيش بتنفيذ عمليات ناجحة وعاد الجيش في الموعد المحدد لايقاف عمليات الصائفة .

٥ – وفي عام ٢٢٧ هـ – ٨٤١م : خرج عبيد الله بن عبد الله قائد الصوائف بقواته حتى وصل منتصف المسافة بين أربونة وسرطانية ، وباغته الأعداء بقوة كمين كبيرة وأحاطوا به من كل جانب ، ودارت معركة قاسية طوال الليل وعندما أشرق فجر اليوم التالي ، أعاد المسلمون تنظيم قواتهم وانطلقوا بهجوم حاسم دمروا فيه قوات العدو .

٦ – وفي عام ٢٢٨ هـ – ٨٤٢ م قاد الأمير عبد الرحمن الجيش بنفسه بعد أن استخلف في قرطبة ابنه المنذر وعين لقيادة ميمنته ابنه محمد ولقيادة الميسرة ابنه المطرف ، وعندما وصل الجيش الى بنبلونة ، تصدت له قوات العدو ، وخاضت معه معركة طاحنة ، واستطاع المسلمون بصمودهم انتزاع النصر ، وقتل اعداد كبيرة من جيش أعدائهم [١] .

٧ – وفي سنة ٢٣١ هـ – ٨٤٥ م : وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً ، الى جيليقية ، فقام الجيش بضرب الحصار على مدينة ليون ورماها بالمنجنيق ، فتخلى اهلها عنها ونزحوا منها فغنم المسلمون ما فيها وأحرقوها ، وأرادوا هدم سورها فلم يتمكنوا من ذلك ، بسبب قوة بنيانه ، وكان عرضه سبعة عشر ذراعاً ، فثلموا فيه ثلمة ورجعوا في اتجاه برشلونة فقاموا بغزوها وحاصروا جرندة وتقدموا حتى وصلوا البيربينيان .

٨ – وقعة البيضاء – ٢٣٧ هـ – ٨٥١ م [٢] :

قاد موسى بن موسى جيش الصائفة حتى وصل إلى البلدة ، أو البيضاء ،

....

(١) الكامل لابن الاثير – احداث السنوات – البيان المغرب ١٢٦ – ١٢٨ ، نفح الطيب ١ – ٣٤٤ – ٣٥٠ ، المغرب في حلى المغرب ١ – ٤٥ – ٥١ .

(٢) المقتبس ، علي مكي ، صفحة ١٥٦ ، وفيه :

البيضاء Albelda : حصن صغير شيده موسى بن موسى القسوي على بعد كيلو مترات ←

وهناك اصطدم بقوة كبيرة منظمة وجيدة التسليح ، من غاسكونيا أو الجاشفيين كما يسميهم العرب ودارت معركة قاسية لقي العرب فيها عناء كبيراً وبذلوا جهداً رائعاً حتى استطاعوا الصمود واصيب موسى بن موسى نفسه بخمسة وثلاثين جرحاً . وفي اليوم التالي وعلى الرغم مما نزل بجيش المسلمين وقائدهم ، أعاد موسى تنظيم جيشه وتحامل على نفسه وانطلق بهجوم حاسم استطاع به ان يحرز النصر ، وهزم جيش الغاسكون هزيمة منكرة ، وتكبدوا فادح الخسائر **[حتى فرشت الارض بصرعاهم]** ..

٥ - انزال « النورمان » في الاندلس (١) :

تعرضت اوربا في القرن السابع والثامن الميلادي لغزوات شعوب وثنية

....

قليلة جنوب مدينة لوغرون Logrone وعلى مسافة قريبه من بنبلونة وهي الآن مدينة صغيرة تقع على بعد ٩١ كم الى الشمال الغربي من تطيلة ويتردد ذكر البيضاء في الحوليات المسيحية ، اذ تذكر انه لم يكد موسى بن موسى يتم بناءها حتى حاصره ملك جيليقية واشتوريش « اردون الاول » Ordone 1 ، فخرج موسى للقائه ودارت بين المسلمين والنصارى معركة حامية تعرف في الحوليات المسيحية باسم معركة كلافيجو Clavijo ، وتقول هذه الكتب ان المسلمين اصيبوا فيها بهزيمة منكرة وان موسى أصيب بجراحات شديدة وقتل زوج ابنته غارسيه وتحدد هذه المراجع المسيحية المعركة بسنة ٢٤٥ هـ - ٨٥٩ - ٨٦٠ م ، على ان المصادر الاسلامية لا تذكر شيئاً عن هذه المعركة مما يجعل الشك محيطاً بصحة الرواية المسيحية ، وقد ذكر ابن الاثير معركه البيضاء بكلمات قليلة في احداث سنة ٢٣٧ وقال انها وقعة عظيمة كان الظفر فيها للمسلمين وهي الوقعة المعروفة بوقعة البيضاء وهي مشهورة بالاندلس ..

(١) النورمان أو الفايكنغ ، ويسميهم المؤرخون العرب بالاردمانيين ، وهم قوم من البرابرة الوثنيين ، هبطوا من الشمال ، عن طريق البحر قادمين من النروج والدانمارك على متن زوارق خفيفة، يحمل الزورق منها ستين الى خمسة وستين مقاتلا.. وكان هؤلاء النورمان - أو الفايكنغ - مقاتلون أشداء يقومون بالانزال عند السواحل ، ثم يستخدمون الجياد التي يسطون عليها في غاراتهم متحولين الى فرسان ، وكانت غزواتهم تترك الخراب الرهيب ، وقد صعد النورمان انهار فرنسا بين عام ٨٤١ و ٩١٢ م وامعنوا في المدن الفرنسية ذبحاً ونهباً وظهروا امام باريس في أعوام ٨٤٥ ، ٨٥٦ ، ٨٦١ ، ٨٨٥ ، وقد دافع الكونت أود بنجاح عن موقع

بربرية هبطت من الشمال وهم السلافيين والنورمان ، وكان النورمان والسلافيين أو المجر مقاتلين أشداء ، أدخلوا الدمار والفزع الى اوروبا كلها ، وتميز النورمان بغزواتهم البحرية وسيطرتهم على البحار واسهامهم بدور كبير في نشر أعمال القرصنة .. وقد تعرضت الاندلس لغزوتين من غزوات النورمان .

في عام ٢٢٩ هـ - ٨٤٣م : كان الامير عبد الرحمن يقودعمليات القتال في تطيلة للقضاء على تمرد موسى بن موسى ، ثم تابع الامير عبد الرحمن تقدمه حتى بنبلونة حيث خاض فيها معارك ضارية ضد قوات « الافرنج » ومعهم موسى بن موسى ، وحقق جيش قرطبة انتصارات رائعة ، وفي هذه الفترة وصل كتاب الى الأمير عبد الرحمن من عامله في لشبونة « وهب الله بن حزم » يذكر فيه انه ظهر في الساحل المقابل للمدينة أربعة وخمسون مركباً من مراكب النورمان « المجوس » ويرافقها أربعة وخمسون قارباً ، فكتب الأمير عبد الرحمن الى عمال السواحل بالتحفظ ، ثم لم تلبث هذه القوات أن قامت بالانزال قرب اشبيلية ، ثم اقتحموها بسبب عدم وجود حامية كبيرة للدفاع عنها ، واستباحوها سبعة أيام ، ووجه الامير عبد الرحمن قوات كبيرة لمجابهة الغزو بقيادة نصر الخصي ، وقد استطاع نصر الحاق الخسائر الفادحة في قوات النورمان وأرغموهم على

باريس فانتخب عام ٨٨٧ م ملكا ، ومع ان ملوكاً كارولنجيين جاؤوا بعده الا انه يعتبر أول ملوك الكابيين ، وجاء الملك شارل البسيط - حفيد شارل الأصلع - ليجعل النورمان يقيمون مستقرين نهائياً على مصب نهر السين بموجب معاهدة سان كلير سور - ابيت عام (٩١١ م) واتخذ قائد النورمان المدعو رولون اقب دوق نورمانديه ، ولم يلبث هؤلاء أن دخلوا الدين المسيحي وصاروا من أشد الانصار حماسة له .. وقد شملت عمليات النورمان وقرصنتهم بلاد اوروبا وانكلترا ، والاندلس والبحر الابيض المتوسط ، وكانت غزواتهم للاندلس عامي ٨٤٣ و ٨٤٤ م .

(٢) تذكر المصادر الغربية ان الغزو وقع عامي ٨٤٤ و ٨٤٩ م وهو مخالف للتواريخ العربية التي يعتمد عليها اكثر من المصادر الغربية .

الانسحاب ، بعد أن كبدوهم فادح الخسائر وطاردوهم فألحقوا بمراكبهم بعض الخسائر ، وفي ذلك يقول عثمان بن المثنى :

يقولون إن الاردمانيين أقبلوا فقلت اذا جاؤوا بعثنا اليهم نصرا

ثم اقترح عبد الملك بن حبيب بناء سور في مواجهة البحر لحماية اشبيلية من كل هجوم محتمل وقوعه في المستقبل [١] .

– وفي عام ٢٣٠ هـ – ٨٤٤ م : تقدمت قوة من النورمان على متن ثمانين مركباً وقامت بالانزال عند ساحل لشبونة ، ثم تقدموا حتى قادس وشذونة واستمر تقدمهم ثلاثة عشر يوماً خاضوا خلالها معارك ضارية ضد الحاميات الضعيفة لقوات المسلمين وانتصروا عليها ثم تقدموا حتى وصلوا اشبيليا حيث توقفوا على مسافة « اثني عشر فرسخاً منها » ، وتصدى لهم المسلمون ودارت رحى معارك ضارية انتهت بهزيمة المسلمين ، فتابع النورمان تقدمهم وتوقفوا على مسافة ميلين منها حيث دارت رحى معركة قاسية خاضها أهل اشبيليا ضد النورمان واستطاع هؤلاء تحقيق انتصار حاسم فدخلوا اشبيليا وأعملوا فيها قتلاً وتدميراً وسبياً طوال يوم وليلة وأقاموا بها سبعة أيام وعندما وصلت أنباء هزائم الحاميات المسلمة الى الامير عبد الرحمن وجه جيشاً من الفرسان بقيادة عيسى بن سعيد الحاجب ثم أتبعه بجيش آخر يقود قوة الفرسان فيه عبد الله بن كليب وابن وسيم وغيرهما ، كما كتب الامير عبد الرحمن الى ولاة الاقاليم « الكور » لاستنفار الناس ، وبدأ المتطوعون يتدفقون من كل مكان ، وكان النورمان قد وصلتهم موجة جديدة من قوات الدعم فتقدموا حتى قرطبة وأعملوا فيها فتكاً وقتلاً وتدميراً وسبياً طوال ثلاثة عشر يوماً – وفي القلائد سبعة ايام – ووقعت خلال ذلك بينهم وبين المسلمين ملاحم كبيرة ، وقتل من النورمان خمسمائة مقاتل واضطروا الى العودة والالتجاء الى مراكبهم ، وعاود

....

(١) المغرب في حلي المغرب ١ – ٤٩ والبيان المغرب ٢ – ١٢٨ .

النورمان إغاراتهم فوصلوا « قبطيل » حيث أقاموا بها ثلاثة أيام ودخلوا قورة فقتلوا عدداً كبيراً من المسلمين ثم دخلوا الى طلياطه فنزلوها ليلاً وأصبحوا على بعد ميلين من اشبيليا ، ثم ظهروا بموضع يعرف بالفخارين ، ومضوا بعد ذلك بمراكبهم واعتركوا مع المسلمين وألحقوا بهم الهزيمة وقتلوا منهم ما لا يحصى. ثم عادوا الى مراكبهم ليتابعوا تقدمهم حتى شذونة ، ووصلت قوات الامير والامدادات من قرطبة فحاصرت النورمان وقذفتهم بالمجانيق ودمرت أربعة مراكب للنورمانيين ، فأمر ابن وسيم باحراقها وبيع ما فيهـا من الفيء ، ثم كانت المعركة الحاسمة التي خسر فيها النورمان ثلاثون مركباً ، وصلب عـدد كبير منهم على جذوع النخيل وقتل قائد النورمان واستمرت هذه العمليات التخريبية ٤٢ يوماً ..[١]

٦ – عمليات الردع ضد جزر ميورقة ، ومينورقة ويابسة :

– جزر الباليبار :

– كان موسى بن نصير قبل انزال الاندلس قد وجه قوات لغزو جزر البالينار . مينورقة وميورقة ويابسة، واخضعها بقواته البحرية .

– وكان اسطول افريقية هو الذي يوفر عمليات الاتصال والامداد بـين افريقية والاندلس ويقوم بواجب حماية الشواطىء من كل عدوان .

وعندما استقل الامويون بحكم الاندلس ، وجاء المغيث اليحصبي الى الاندلس وأشعل نيران الثورة ضد عبد الرحمن الداخل ، ظهرت الضرورة الحتمية لانشاء اسطول خاص بالاندلس. ولم يكن الامويون يجهلون دور القوات البحرية في حماية الثغور والدفاع عن حدود الدولة وهم اول من عمل على انشاء القوات البحرية وطوروا أساطيلها وأقاموا دور صناعتها واعتمدوا عليها في

....

(١) الكامل لابن الاثير وهو يجمـع أحداث الغزوتين ويجعلها في احداث عام ٢٩٢ هـ ، البيان المغرب ٢ - ١٣٠ - ١٣٢ ، نفح الطيب ١ - ٣٤٥ - ٣٤٦ .

تقليص ظل الدوله البيزنطية وانتزاع مجالها الحيوي من قبضتها ودفعها عن البحر الابيض المتوسط حتى أصبح يعرف باسم « بحر الشام » وقد تابع الامويون وولاتهم في الاقاليم اعتماد السلاح البحري والاهتمام به حتى آخر ايام دولتهم فانتشرت المصانع في مصر ، والقيروان وتكونت ثلاثة اساطيل مستقلةهي اسطول الشام ومركزه طرطوس واسطول مصر ومركزه الاسكندرية واسطول افريقية وقاعدته تونس .

– كان من الطبيعي أن يبذل الامير عبد الرحمن « الداخل » اهتمامه لبناء قوته البحرية في مرحلة اعادة تنظيم الدولة وإرسائها على قواعد ثابتة فأصدر تعليماته لاقامة دور الصناعة ، والعمل على بناء السفن وتعيين « أمير الماء » لتنظيم الأسطول ولم تمض فترة حكم عبد الرحمن الداخل حتى انتهى العمل في اقامة القواعد وأصبحت المصانع تنتج القطع البحرية في موانىء طراكونة وطرطوشة وقرطجنة واشبيليا والمرية وغيرها .. ولم يلبث أسطول الاندلس حتى بدأ في اثبات وجوده وممارسة عملياته .

– كانت جزر الباليئار وسردانيه وكورسيكا عرضة للغزوات البحريةبسبب قربها من شواطىء الاندلس ، وعندما اشتدت وطأة الاغارات على هذه الجزر ، أرسل أصحابها الى شارلمان واضعين أنفسهم تحت حمايته ..

– في عام ١٩١ هـ – ٨٠٦ م : اكتسح المسلمون جزيرة كورسيكا ، وكان بيبان بن شارلمان ملكاً على ايطاليا ، وشعر المسلمون باقتراب أسطول «الافرنج» فانسحبوا ، وظن « آدمر »[١] كونت جنوه انه يستطيع مناهضتهم ، فتوجه بقوة بحرية لمطاردتهم ، فعادت القوات البحرية الاسلامية وخاضت معركة ضد أسطول جنوه ونجحت في إلحاق الهزيمة به وقتل آدمر وأمكن أسر ستين راهباً ، أرسل شارلمان فدية عنهم وفك اسارهم .

(١) آدمر : Admer .

– وفي عام ١٩٣ هـ – ٨٠٨ م : توجهت قوة بحرية من الاندلس الى سردينيا، فاصطدموا بمقاومة عنيدة اضطرتهم للانسحاب الى كورسيكا ، حيث جابهتهم مرة أخرى حامية الجزيرة بقيادة بورشارد[١] وأغرقت لهم ثلاثة عشر مركباً وأرغمتهم على الانسحاب ..

– في عام ١٩٤ هـ – ٨٠٩ م : توجهت قوة بحرية من الاندلس الى كورسيكا ووصلت في الوقت ذاته قوة بحرية أخرى من افريقية ، وتم الانزال في الجزيرة وخيم المسلمون في الجهة الشرقية من الجزيرة ، بين أطلال مدينة « آليريه »[٢] ولم يتمكن « الافرنج » من دحرهم إلا بعد جهود كبيرة ..

وفي عام ١٩٨ هـ – ٨١٣ م : قامت قوة بحرية من الاندلس بالانزال في كورسيكا وأغارت عليها ، وفي طريق العودة ، وضع الكونت « امبورياس »[٣] كميناً بالقرب من « بير بينيسان » استولى على ثمانية مراكب للمسلمين كان فيها ما يزيد على خمسمائة أسير ، فانتقم المسلمون لهزيمتهم واجتاحوا سواحل نيس « نيقه » والبروفانس وسيفيته فيشيا[٤] قرب روما ..

في تلك الفترة كانت اعمال القرصنة تتصاعد واصبحت خطورتها تهدد مصالح دولة الاندلس،كما تهدد الدولة الكارولنجية. وكان القرصان يستهدفون بالدرجة الاولى القطع البحرية التجارية بين مصر والشام وبين الغرب والاندلس فارسل شارلمان الى الرشيد يلتمس وقف نشاط اسطول افريقية ، وامر الرشيد ، ولاته الاغالبة ، بالابتعاد عن حدود مملكة شارلمان وتوفي الرشيد عام ٦٩٤ هـ ٨٠٩ م . وعاود الاغالبة اعمال الغزو، واصبحت موانيء تونس وسوسة من المراكز الاولى لقراصنة البحر . وكانت القطع البحرية

---

(١) بورشارد Burchard .
(٢) آليريه Aleria .
(٣) امبورياس Amporias .
(٤) سيفيته فيشيا Civita Vecchia .

للنورمان تهاجم موانىء بحر الشمال وتتسلل الى البحر الابيض المتوسط فتسهم في تصعيد اعمال القرصنة وزيادة خطورتها .

– أمام هذا الموقف توجه أمير البحر – وهو يحيى بن حكم على الأغلب – الى اكس لاشابيل ، وعقد معاهدة مع شارلمان لمجابهة – أعمال القرصنة – وذلك في عام ١٩٥ هـ – ٨١٠ م ثم جددت هذه المعاهدة بعد سنتين ، ولكن نصوص هذه الاتفاقية لم تحترم وقام أسطول الاندلس بغزو كورسيكا عام ١٩٨هـ – ٨١٣م ، كما تقدم عبد الرحمن بن الحكم بقيادة جيش أبيه الى حدود فرنسا ..

– ولكن هذه الحادثة لم تمنع من متابعة الحوار مع « الافرنج » فتوجه الأمير عبد الرحمن بتعليمات والده في عام ٢٠١ هـ – ٨١٦ م الى مدينة كومبيان [١] مقر الامبراطور ثم انتقل الى اكس ، لاشابيل حيث كان سيعقد مجلس شورى ، بهدف عقد اتفاقية لقمع اعمال القرصنة .

وفي عام ٢٠٥ هـ – ٨٢٠ م : انطلق أسطول الأندلس لغزو سردينيا ، واصطدم بالأسطول المدافع عنها ، وانتصر أسطول الاندلس فأغرق ثمانية مراكب وأحرق عدداً كبيراً من قطع أسطول سردينيا ..

في عام ٢٢٩ و ٢٣٠ هـ : ٨٤٣ و ٨٤٤ م قام النورمان بالانزال في الاندلس واغاروا على عدد من المدن وانزلوا بها الدمار والخراب وقتلوا وسبوا أعداداً من المسلمين . وقدمت جزر الباليار مساعدة للنورمان مما اثار أمير قرطبة ودفعه الى ارسال قوة لردع هذه الجزر عن تقديم كل مساعدة للسفن الأجنبية والالتزام بنصوص الاتفاقيات المعقودة مع المسلمين والتي يجب بموجبها الامتناع عن تقديم كل دعم أو مساعدة للسفن غير الاسلامية .

في عام ٢٣٤ هـ : ٨٤٨ م : غادرت الموانىء الأندلسية قوة بحرية مكونة من ٣٠٠ سفينة بمهمة غزو جزر الباليار [**... لنكايتها واذلالها ومجاهرتها بنقض**

(١) كومبيان Compiegne .

العهد واضرارها بمن مر عليها من مراكب المسلمين..][1].

وقد استطاعت هذه القوة البحرية فتح جزر البليئار والحاق الضرر بها فكتب أهلها الى الامير عبد الرحمن في قرطبة رسالة للمطالبة بايقاف اذى المسلمين. فأجابهم الامير عبد الرحمن :

[.. أما بعد .. فقد بلغنا كتابكم تذكرون فيه أمركم ، واغارة المسلمين الذين وجهناهم اليكم لجهادكم واصابتهم ما أصابوه منكم من ذراريكم واموالكم والمبلغ الذي بلغوه منكم وما أشفيتم عليه من الهلاك ، وسألتم التدارك لأمركم وقبول الجزية منكم وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة والنصيحة للمسلمين والكف عن مكروهكم والوفاء بما تحملونه عن أنفسكم ، ورجونا أن يكون فيما عوقبتم به صلاحكم وتمنعكم عن العود الى مثل الذي كنتم عليه وقد أعطيناكم عهد الله وذمته ...][2].

ـ وفي الوقت ذاته ، أصدر الأمير عبد الرحمن بتحصين المدن الساحلية ، وشحنها بالمقاتلين ، واقامة حاميات ثابتة للدفاع عنها وكذلك فعل شارلمان وخليفته « لويس الحكيم » فكان ذلك بداية تحصين المدن الساحلية ضد أعمال القرصنة . كما عمل الامويون في الاندلس على تطوير صناعة السفن **[وقد ذكروا انه كان للمسلمين لذلك العهد بارجة متناهية في الكبر يظنها الرائي من بعيد سوراً عالياً سائراً في البحر غزت مرة جزيرة « أوي » في بريطانيا ، عند مصب نهر لوار ...]**[3].

وأما بالنسبة لأحداث الجبهة الداخلية في الاندلس خلال فترة امارة عبد الرحمن الاوسط فيمكن تلخيصها بالصفحات التالية ..

---

(١) و (٢) البيان المغرب ٢ - ١٢٢ - ١٣٣ ، وغزوات العرب ١٣٩ - ١٤٨ .
(٣) اوي Oye . غزوات العرب ١٤٩ .

٧ - ثورة ماردة : ٢١٣ - ٢٢٠ ھ : ٨٢٨ - ٨٣٥م :

بدأت الثورة بنهوض الثائرين الى عامل ماردة « حاكمها » وقتله ، فوجه الأمير عبد الرحمن جيشاً حاصر ماردة واخضع الثائرين وأخذ الرهائن منهم ثم انسحب الجيش بعد أن خرب سور المدينة ودمر تحصيناتها ، ثم أرسل الأمير عبد الرحمن طلباً بنقل حجارة السور إلى النهر حتى لا يعود أهل ماردة إلى الثورة والتمرد ، فعاد أهل ماردة إلى التمرد وجددوا بناء السور وأتقنوه . فتوجه الأمير عبد الرحمن عام ٢١٤ ھ ، وقاد جيشه لحصار ماردة ومعه رهائن أهلها فلما بارزها راسله أهلها وافتكوا رهائنهم بالعامل الذي اسروه وغيره واستمر الحصار ثم عاد الأمير عبد الرحمن إلى قرطبة دون أن ينجح في إخضاع تمرد المدينة ، ووجه الأمير عبد الرحمن قواته في كل سنة . ونجح زعيم الثائرين محمود ابن عبد الجبار الماردي بالحاق هزائم في اكثر المعارك التي خاضها ضد جيش قرطبة وشهدت الجبال المحيطة بماردة ، ومدن منت ساروط ، وهلقب ومينة معارك ضارية بين الثائرين وجيش قرطبة .

لم تكن ثورة ماردة بعيدة عن الاتصال الخارجي ، فكتب لويس الحليم رسالة الى اهل ماردة جاء فيها :

[باسم ربنا الاله وباسم مخلصنا يسوع المسيح ، من لويس الامبراطور السعيد بالنعمة الالهية الى الأساقفة والشعب في ماردة ، قد اتصل بنا ماتقاسونة من العذاب من جهة الملك عبد الرحمن الذي لا يزال يرهقكم عسراً متبعاً في ذلك طريقة أبيه « ابولاز - الحكم » الذي كان يبتز أموالكم بعد ان جعل اصدقاءه اعداء وجعل الطائع عاصياً ، فاليوم يريدون أن يحرموكم حريتكم وان يثقلوا كاهلكم بالضرائب وان يمسوا كرامتكم وقد علمنا انكم ابيتم تحمل الاهانة ودفعتم عنكم ظلم ملوكهم ووقفتم في وجه طمعهم وغدرهم وقد جاءنا هذا الخبر من مصادر عدة فرأينا ان نكتب هذا الكتاب لتعزيتكم على ما انتم فيه

ولتحريضكم على الثبات في خطتكم هذه ولما كان هذا الملك البربري عدواً لنا - كما هو عدو لكم - فاننا على استعداد للاشتراك معكم في قتاله ، وسنرسل لكم بعون الله تعالى في هذا الصيف جيشاً يجتاز البيرينة ، ويعمل باشارتكم ، فاذا زحف اليكم عبد الرحمن كانجيشنا بالمرصاد له . كما نعلمكم منذ الآن أنكماذا ما خلعتم طاعة عبد الرحمن واصبحتممن رعايانا فسنعيد لكم حريتكم الاولى، دون مساس بها ، ودون مطالبتكم بأدنى مال تؤدونه لنا . ولكم أن تختاروا القانون الذي تريدون السير عليه ، ونحن نعاملكم كاصدقاء يريدون الاشتراك في الدفاع عن سلطتنا ..] [1] .

مضى على الثورة سبعة أعوام ، وضاق الأمير عبد الرحمن ذرعاً ، فقاد جيشاً كبيراً ومضى بنفسه ، وشدد قبضته ، ويصور صاحب اخبار مجموعة اللوحة الاخيرة للمقاومة بما يلي :

[... أشفى اهل ماردة على العطب ، ونظر الامير عبد الرحمن الى جنده وقد تعلقوا بشرفات السور وتغلبوا عليه وضعف أهل ماردة عن دفاعهم ، فسمع صراخ النساء وعويل الصبيان وعجيج البكاء فامر بالامساك عنهم واوقف الجند عن الاستمرار في قتالهم ، ثم دعا بوزرانه وقواده وقال لهم قد علمتم ما كان من تغلب رجالنا علي هؤلاء ، الظلمة لانفسهم ، ولم يكن رفعنا ما رفعناه عنهم الا قربي لله عز وجل فيهم ورأفةمن قتل اولادهم واطفالهم ومن لا ذنب لهم ممن استكره على نفسه منهم ، ونحن نرى استجلاب النصر من حيث عودنا الله وعرفنا من العفو والصفح ، وقد عزمت علي الانتقال عنهم، فان ابصروا قدر يدنا في الابقاء عليهم ومراقبة الله فيهم والا كان الله من

(١) الكامل لابن الاثير احداث ١١٣ ، تاريخ غزوات العرب ، اوسلان وفيه ان الرسالة كتبت عام ٨٢٦ ، والاحتمال الاكثر صحة هو انها كتبت عام ٨١٦ . وفقاً لمسيرة الاحداث عند المؤرخين العرب .

ورانهم محيطاً وعلي الانتقام منهم قديرا ، فهو الذي أيدنا وقهرهم ونصرنا وكبتهم ..] فلم ينتقل من موضعه حتى وافته رسلهم بطاعتهم والالقاء اليه بايديهم ، واخراج اصحاب الفتنة من بينهم [1] .

– لم يبق امام قائد الثورة محمود بن عبد الجبار ، الا الفرار ، فالتجأ الى العدو ووصل إلى جيليقية ، ثم انه أراد العودة الى بلاد المسلمين ، والخضوع لأمير الاندلس عبد الرحمن ، فحاربه الفونس ملك جيليقية ، وجمح فرس الثائر محمود ، فصدم الفارس بشجرة بلوط قتلته ، وبقي مجدلاً في الارض حيناً عام ٢٢٥ هـ [2] .

٨ – الفتنة الطائفية :

فتح العرب المسلمون الاندلس ، وتركوا لأهلها حريتهم الدينية ، وكذلك فعلوا عندما اقتحموا بلاد الغال « فرنسا » وانتشرت قواتهم في اللانغدوك والبروفانس وسبتمانيا [3] .

– ثم ظهر تطور جديد بعد معركة بلاط الشهداء ، فبدأت الاغارات تحمل طابع القسوة والعنف وأخذت الهجمات تنتقم من المقاومة بطريقة شرسة فدمر بنتيجة ذلك عدد من الكنائس الواقعة في مدن الثغور مثل : دير جوسل قرب بيزييه ، ودير القديس بوزيل [4] قرب نيم ، ودير صنجيل [5] قرب آرل ، ودير

---

(١) أخبار مجموعة ١٣٩ .

(٢) المغرب في حلى المغرب ٤٨/١ .

(٣) السبتمانية : الاقليم الذي ضم المدن السبعة الآتية : ناربون ، نيم ، واقد ، بيزييه ، لوديف ، كاركاسون ، ماغلون .

Narbonne. Nime. Agde. Beziers, Loodéve. Carcassonne. et Maguelone.

(٤) القديس بوزيل Saint Bausile .

(٥) دير صنجيل Saint Gilles .

الترتيل[1] قرب آغيمورت[2] وسمي هذا الدير بدير الترتيل نتيجة لتناوب الرهبان في تلاوة الأناشيد الدينية في الليل والنهار وباستمرار .. لكن معاملة الجيش الاسلامي للأقاليم الخالية من المقاومة لم تتغير ولم تتعرض مدنها للخراب ولا كنائسها للدمار ..

– استمرت بعد ذلك أقاليم شمال الاندلس والحدود الجنوبية من فرنسا مسرحاً للصراع بين المسلمين و « الافرنج » وأخذ الدمار يستولي على المدن والقرى والمساكن والكنائس دون تمييز .

ولم يكن وضع هذه المناطق عندما استعادها شارلمان وخلفاؤه أحسن مما كان وضعها بين أيدي العرب ، فقد كان من سياسة مؤسسي الدولة الكارولنجية الاستيلاء على أموال الكنيسة[3] والاستعانة بثرواتها من أجل دعم الجهاز الاداري والقوات المسلحة ، فاذا ما أضيف الى ذلك ان جميع أهالي جنوب فرنسا كانوا يعتبرون جيش الشمال من البرابرة في حين يجدون أنفسهم بطبيعة احتكاكهم مع حضارات البحر الابيض المتوسط من رومانية ويونانية ، أصحاب حضارة سابقة وأصيلة ، ولهذا لقي العرب عوناً صادقاً من سكان الجنوب خلال المرحلة الأولى من الفتوحات .. ومقابل ذلك انضم عدد من القسس والرهبان الى جيش شارل مارتل أمثال « هيثا روس » مطران اوكسير وقاتلوا الى جانبه وهم في ثياب الاسقفية ، واعتبروا شارل مارتل منقذاً للمسيحية .

---

(١) دير الترتيل Psalmodie .

(٢) آغيمورت Aiguemortes .

(٣) عندما اخرج شارل مارتل المسلمين من جنوب فرنسا وزع شارل مارتل أموال الكنيسة وأراضيها على الكونتات فوجد اسقف فيين ، واسمه فيلكاريوس Wilicarius نفسه بدون ابرشية فتوجه الى فاليه Valais حيث عينوه اسقفاً لكنيسة سانت موريس Saint Maurice .

وعندما انتهى الامر الى الامويين في الاندلس ، تابعوا سياستهم المعروفة باطلاق الحريات الدينية فكان هناك اسقفية في قرطبة واشبيلية وطليطلة وفي كل مدينة كبيرة ، وكان هناك قسيسون في كل مكان وقد افاد هؤلاء من مناخ الحرية فانطلقوا يمارسون اعمالهم واقبلوا على تعلم العربية ، ومراعاة مشاعر السكان المسلمين مثل تجنب أكل لحم الخنزير ، واخذوا يطلقون على ابنائهم الاسماء العربية وفتحت الدولة العربية - الاسلامية صدرها للمخلصين لها من المسيحيين واليهود فتربعوا على أسمى مناصب الدولة واحتلوا مراكز الصدارة في السلطة ..

- خلال هذه المراحل من الصراع بين أندلس المسلمين ، وفرنسا المسيحية أخذت الكنيسة تمارس دورها لاثارة السكان ضد « دولة الاسلام في الاندلس » وتجاوب مع هذه الدعوة في بدايتها عدد ضئيل من القسس يحتل « هارفكتس » مركز الصدارة بينهم وقد برز اسمه بسبب الحادثة التالية :

[ذات يوم وبينما كان القسيس « هارفكتس » يسير في قرطبة ، تعرض له احد المسلمين لاستشارته حول امور زواج المسيحيات بالمسلمين ، ثم تطور الحديث الى مناقب نبي الاسلام ، فكان في بعض اجابات القسيس ما ينال من مكانة النبي العربي ، وانتشر قول القسيس بين المسلمين فاعتقلوه وذهبوا به الى قاضي قرطبة ، فلم ينكر اقواله ، وقذف الاهانات والشتائم ، فأصدر القاضي حكمه باعدامه ، فأعدم مع عدد من انصاره امثال (يولوجيوس) ، و (ألفارو) ، ومن النساء (فلورا)[1] نظراً لما كانوا يقومون به من الدعاية واثارة الحماسة ضد المسلمين] .

- كان لهذا الحدث دور كبير في اشعال نار الحقد الكامن في صدور بعض المسيحيين فانطلقوا يصورونها « بمأساة انسانية » وتطور الوضع الى ما يهدد الانفجار ، وخشي قسس الاندلس اضاعة المكاسب التي وفرتها لهم الدولة الاسلامية

---

(١) فلورا Flora .

فاسرعوا الى عقد اجتماع عام ٢٣٦ هـ - ٨٥٠ م قرروا فيه منع شتم النبي العربي ، **[وان القذف بنبي الاسلام عمداً ، حباً بالقتل والشهادة ، هو مخالف لروح الانجيل ..]**
وتمت تسوية المشكلة - ظاهرياً - .

٢ - محمد بن عبد الرحمن
وحروب الاستنزاف

٢٣٨ - ٢٧٣ هـ = ٨٥٢ - ٨٨٦ م

ولي حكم الاندلس خلال هذه الفترة الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابو عبد الله .

- كانت الاندلس في حرب دائمة ومعارك مستمرة وصراع مرير ، حرب مع اعداء الخارج ، ومعارك مع اعداء الداخل وصراع مع القوى المتنافرة . وكانت هذه الحروب والمعارك تستنزف قدرة الدولة ، فكان أمراً طبيعياً أن يهتم أمراء الاندلس بأمر اعادة التنظيم في اعقاب كل معركة ومع بداية كل عهد . ومن الامور الواضحة في عمليات الاندلس العمل باستمرار لإعادة تنظيم القوات بحيث يتم التناوب لقيادة الصوائف وتوجيه الجيوش مع اعادة تنظيم قوى الحاميات واستبعاد القادة غير الاكفاء وتعيين من هم اكثر قدرة وكفاءة .

تولى الامير محمد بن عبد الرحمن أمور الاندلس ولديه من الخبرات القتالية قدراً كبيراً وكان ممن يهيم بالقتال وقيادة الجيوش فكان أول عمل له اعادة بناء القوات المسلحة والقوات البحرية واعادة تنظيم الحاميات ، وتحديد قوتها مع الاخذ بعين الاعتبار قدرة كل اقليم .

ففي مجال بناء القوات المسلحة ، زج الامير محمد كل الامكانات ، وأسقط ضريبة البعوث والحشود ، وهي تماثل بدل خدمة العلم ، لكنها كانت تدفع في كل سنة لقاء عدم الاشتراك في القتال . ولم يعمل الأمير محمد على اتباع أسلوب

الالزام في خدمة الجيش مقابل اسقاط الضريبة ، بل ترك الأمر طواعية لكل قادر على القتال ، واستثار حمية العرب المسلمين في قرطبة والأقاليم فأقبل المتطوعون عليه من كل مكان وتدفقت جموعهم فتكون لديه جيش ضخم .

– وعمل الأمير محمد على دعم القوة البحرية وزيادة قدرتها لتحقيق اهداف ثلاثـــة :

١ – ردع كل محاولة للعدوان على المياه الاقليمية مستفيداً في ذلك من تجربة انزال النورمان في عهد والده ، واغارتهم على المدن الاندلسية وتخريبهم لهـا .

٢ – القيام بعمليات غزو بحري عند الساحل الشرقي للاندلس .

٣ – القيام بعمليات غزو بحري عند الساحل الغربي للاندلس ، والتخطيـط لغزو جيليقية من البحر ، بعد أن فشلت كل محاولات الغزو البري في الوصول الى نتيجة حاسمة وتصفية تمرد الاقليم .

– ونظراً للدور الكبير الذي يقوم به الفرسان كقوة ضاربة أساسية فقد عمل الامير محمد على اعادة تنظيم هذا السلاح وزيادة حجمه ، وفرض عدد محدود على كل اقليم ، فتكون من ذلك سلاح قوي وقادر على الاضطلاع بالاعباء الملقاة على عاتقه في تحقيق الامن والاستقرار الداخلي وردع العدوان الخارجي ، وتظهر قوة سلاح الفرسان من خلال الجدول التالي :

قوة الفرسان المستنفرة من كل اقليم لغزو الصائفة
في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن

	المنطقة أو الاقليم «الكورة»	قوة الفرسان	كتابـــة	ملاحظات
١	ألبـيره	٢٩٠٠	الفان وتسع مائة	
٢	جيـان	٢٢٠٠	الفان ومائتان	
٣	قـبره	١٨٠٠	الف وثمانمائة	
٤	بـاغه	٩٠٠	تسع مائة	
٥	تاكرنـا	٢٩٩	مائتان وتسع وتسعون	
٦	الجـزيره	٢٩٠	مائتان وتسعون	
٧	اسـجه	١٢٠٠	الف ومائتان	
٨	قرمونـه	١٨٥	مائة وخمسة وثمانون	
٩	شـذونه	٦٧٩٠	ستة آلاف وسبع مائة وتسعون	
١٠	ريـه	٢٦٠٠	الفان وستمائة	
١١	فحص البلوط	٤٠٠	اربعمائة	
١٢	موررور	١٤٠٠	الف واربعمائة	
١٣	تـدمير	١٥٦	مائة وستة وخمسون	
١٤	ربينـه	١٠٦	مائة وستة	
١٥	قلعة رباح واوريط	٣٨٧	ثلاثمائة وسبعة وثمانون	
	المجموع	**٢١،٦١٣**	واحد وعشرون الفاً وستمائة وثلاثة عشر فارس	

*** يضاف الى هذه القوة ، المتطوعون من قرطبة ومن الاقاليم الاخرى ، وبذلك يتضاعف العدد اضعافاً ، ولكن ليس هناك احصاء دقيق لها ..**

—★—

– تولى الأمير محمد بن عبد الرحمن حكم الاندلس وقد أخذ الاستقرار النسبي والهدوء الظاهري يعرفان طريقهما الى ربوع الجزيرة بعد أن جهد والده الأمير عبد الرحمن حتى استطاع ردع الاعداء الخارجيين ، واخضـــاع تمرد الثوار في الداخل ، وساعده في ذلك تمزق سلطة الكارولنجيين وتواتر غزوات الشمال من نورمان وسلاف « مجر » ، لكن الصعاب والعقبات ظهرت من جديد مـع تسلم الأمير محمد مقاليد السلطة ، حيث استأنف أعداء الأندلس التقليديين استخدام أساليب «السبر» لمعرفة ردود فعل العهد الجديد ، ومتابعة أسلوب «الاستنزاف» لامتصاص قدرة الدولة وارهاقها بالاعباء الثقيلة حتى تصل المرحلة التي يستحيل عليها بعدها متابعة الصمود والاستمرار.. ويمكن تقسيم أعمال حرب الاستنزاف ضمن اطار مجموعتين :

١ – قمع الثورات الداخلية .

٢ – أعمال الردع – الخارجية – والهجمات الدفاعية ..

احباط عملية السبر :

– كان الأمير محمد يعرف ان قوات الشمال ستبدأ عدوانها منذ الايام الاولى لاستلامه الحكم ، فأسرع الى تنظيم قواته وتوجه بها نحو الشمال فوجد العدو وقد حشد قواته ، وزج كل امكاناته [**حتى ضاق بخيله الفضاء الواسع والمكان الداني والشاسع ..**] . وقرر الأمير محمد في البداية الرجوع وعدم مجابهة تفوق العدو ، والاستعداد لمعركة مقبلة ، واستشار الأمير محمد المخلصين له فقال له أحدهم :

[.. ايها الأمير ، قال تعالى : الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ..] (١)

وأخيراً ، قـرر الأمير خوض المعركة . وانصرف الى تنظيم القوات واثارة

---

(١) آل عمران الآية ١٧٣ – ١٧٤ .

الحماسة والاستعداد للقتال ، وبدأت قوات المسلمين معركتها منذ الفجر المبكر ، [ولم يؤذن مؤذن الظهر الا ومن رؤوس الأعداد جملة آلاف مقطوعة لأعداء الله ..]

وانتهت المعركة بتحقيق نصر حاسم . ورجع الأمير محمد الى قرطبة يحمل رايات الظفر [1] .

١ – عمليات الردع الخارجية ..

أ – معركة وادي سليط .

ردع لقوات جيليقية والبشكنش ، وقمع لثورة طليطلة ..

قد يكون من الصعب فصل عمليات ردع جيليقية والبشكنش عن عمليات قمع ثورة طليطلة بسبب تلاحمها الوثيق ، وان استعراض أحداث هذه الثورة ووقائعها يظهر بوضوح طبيعة التلاحم العضوي بين اعداء الداخل واعداء الخارج. وكان من الطبيعي مجابهة هذه العمليات بردود فعل مزدوجة .

– لم يكد الأمير محمد ينهي عملياته لردع عمليات السبر حتى تحركت طليطلة واعتقل الثائرون فيها عامل أمير قرطبة وطالبوا اطلاق رهائنهم ممن تحتفظ بهم قرطبة ، لقاء اطلاق سراح عامل الامير محمد . فاضطر الأمير أن يستجيب لطلب الثائرين ، ريثما تتوفر فرصة أفضل يكون فيها أكثر استعداداً لقمع حركة التمرد .

(١) البيان المغرب ٢ – ١٦٢ ، وفيها قال الشاعر العتبي :

سائل عن الثغر الصوارم تصدق ... واستنطق السمر العوالي تنطق

تركت وقائع في الثغور وقد عدت ... مثلاً بكل مغرب ومشرق

وأداخ ارض المشركين بوقعة ... تركتهم مثل الأشاء الحرق

جادت عليهم حربه بصواعق ... تركتهم مثل الرماد الأزرق

الأشاء : صغار النحل .

– وفي صيف عام ٢٣٩ هـ – ٨٥٣ م : وجـه الأمير محمد ابنه الحكم لقيادة الصائفة ، ووصل الحكم قلعة رباح فوجد ان أهلها قد غادروها بسبب ثقل وطأة ثوار طليطلة عليهم وتخريبهم لحصونهم ، فأمر الحكم باعادة تحصين المدينة، وتشييد أسوارها ، ثم أعاد أهلها اليها ، واستنزلهم من القفر والجبل . وكان الأمير محمـد قـد وجه في الوقت ذاته جيشاً كبيراً بقيادة قاسم بن العباس وفيه قائد قوة الفرسان تمام بن أبي العطاف، للقيام بمهمة اخضاع طليطلة ، وتوجه الجيش في اتجاه شندلة ، وعندما وصل « اندوجر » وقع جيش قرطبة في الكمائن التي وضعهـا ثوار طليطلة ، ودارت رحى معركة طاحنة انتهت بهزيمة جيش قرطبة هزيمـة منكرة [1] .

– وفي الوقت ذاته كلف الامير محمد ، جيش « تطيلة » بالهجوم على ألبـة والقلاع ، وانطلق والي تطيلة موسى بن موسى بجيشه وهاجم اقليم البة والقلاع وفتح بعض حصونها كما وجه قوة أخرى إلى اقليم برشلونة ، فعاثوا فيها وفتحوا حصوناً من برشلونة ورجعت القوة إلى قاعدة انطلاقها في تطيلة بعد أن نجحـت في تنفيذ عمليات الردع [2] .

– وفي محرم سنة ٢٤٠ هـ – يونيو ٨٥٤ م : خرج الامير محمـــد بنفسه إلى طليطلة بهدف اخضاع تمردها ، وأرسل أهل طليطلة إلى أردون بن الفونس ملك جيليقية ، والى ملك البشكنش ، يستنجدان بهما فأرسل أردون قوات كبيرة من جيليقية بقيادة أخيه « غثون » في جمع عظيم من النصارى ، وعلم بذلـك الأمير محمد فنظم قواته في « وادي سليط » [3] ونصب الردود « المجانيق » ، وأقـام الكمائن ثم انطلق بقوة صغيرة وعندما وصل إلى طليطلة وشاهد الأعداء هـذه القوة الصغيرة، خرجوا لقتالها، وتظاهر الامير محمد بالانسحاب واستطاع قيادة

(١) ابن عذارى ٢ – ١٤١ ، وابن الاثير احداث ٢٣٩ هـ .
(٢) نفح الطيب ، احداث سنة ٢٣٩ هـ .
(٣) وادي سليط Auzalete ، نهير يصب في التاجه جنوب طليطلة .

قوات أعدائه حتـى وصل بهم إلى مواقع الكمائن . وأحاطت قوات المسلمين بجيوش جيليقية والبشكنش وأهل طليطلة ، وبدأت معركة طاحنة ، أفاد فيها المسلمون من عامل المباغتة وأرغموا خصومهم على الفرار بعيداً عن ميدان القتال بعد أن تركوا في ساحة المعركة ما يزيد على ثمانية آلاف قتيل . في حين وصلت الخسائر الكاملة للعدو حتى عشرين الف قتيل [1] .

– على الرغم من هذا النصر الحاسم ، فان الأمير محمد لم يتمكن من اخضاع طليطلة وتابع المتعصبون أمثال «ايلوج» وصحبه في نفث السموم الحاقدةوتصوير موقـــف النصارى في حكم المسلمين بأبشع الصور ، وأصبحت طليطلة القاعدة الرئيسية لعمل القسس الحاقدين [2] .

– أمام هذا الموقف وجه الأمير محمد عام ٢٤١ هـ – ٨٥٥ م ، حاميات ثابتة للدفاع عن قلعة رباح وطلبيرة وعين عليها قائداً حازماً هو الحارث بن بزيـع . وفي الوقت ذاته قاد الأمير محمد جيشه إلى البة والقلاع وأوغل في تقدمه حتـى وصل آخر حدود نافار والباسك وفتـح عدداً كبيراً من الحصون وذلك لردع المملكتين المذكورتين وعدم السماح لهما مرة اخرى بتقديم دعم فعال لثائري طليطلة .

وفي صيف عام ٢٤٢ هـ – ٨٥٦ م : وجـه الأمير محمد جيش تطيلة بقيادة موسى بن موسى للقيام مرةأخرى بالاغارة على « برشلونة » فغزا موسى بن موسى برشلونة ، وافتتح حصن طراجة ، وهو من آخر حصون برشلونة كما نجح في أسر بعض امرائها وأرسلهم الى قرطبة .

– في الوقت الذي كان فيه موسى بن موسى يمارس عمليات عزل طليطلة من الشمال ، كان المنذر ابن الأمير محمود يقود جيشاً كبيراً لحصار طليطلة وعزلها عن

(١) البيان المغرب ، ابن عذارى ٢ - ١٤٢ ، والكامل في التاريخ احداث سنة ٢٤٠ هـ .

(٢) لمطالعة تفاصيل دور هؤلاء القسس التخريبي ، يفضل مراجعة كتاب تاريخ المسلمين في الاندلس ، دوزي ٥ - ٣٥٥ ، طبعة باريس ١٩٣٢ .

كل ما يحيط بها وتدمير مرافقها الحيوية ، ولم يحاول أهل طليطلة مجابهة جيش المنذر بعد الكوارث الكبيرة التي نزلت بهم في عمليات السنين السابقة [١] .

وفي عام ٢٤٣ هـ – ٨٥٧ م : غادر أهل طليطلة مواقعهم ، وانطلقوا بهجوم منظم وقوي في محاولة للاستيلاء على طلبيره وتدمير الحامية المدافعة عنهـــا ، فتصدى لهم قائـــد الحامية « مسعود بن عبد الله العريف » وأوقع بهم فادح الخسائر وقتل منهم مئات أرسلت رؤوس سبعمائة منهم الى قرطبة ..

وفي عام ٢٤٤ هـ – ٨٥٨ م : خرج الامـير محمد بنفسه الى طليطلة ، وعلى الرغم من كل ما أصاب الثائرين من مصائب ، وما توالت عليهم من نكبـات ، فقد تابعوا بعناد تمردهم ، وعندما وصل الأمير محمد الى طليطلة ، اعتصم أهلها بمواقعهم ، فجمع الأمير قادته ، والعرفاء من البنائين والمهندسين ، وطلب اليهم تقويض دعائم الجسر ، ثم تظاهر جيش قرطبة بالانسحاب واندفع أهل طليطلة بعد أن ثبت لهم حقيقة تراجع جيش الأمير محمد ، ووقفت جموع أهل طليطلة على الجسر – القنطرة – فانهارت بهم وسقطت أعداد كبيرة منهم فماتت غرقاً بالنهر ، ووجد أهل طليطلة استحالة الاستمرار في حرب أمـير قرطبة لا سيما بعد أن توقفت كل مساعداتهم من الشمال فطلبوا الصلح ، ووافق الامير محمد على ذلك . وخمدت ثورة المولدين والنصارى المعاهدين [٢] وكانت معركـــة

....

(١) البيان المغرب ٢ - ١٤٣ - ١٤٥ ، وابن الاثير احداث سنوات ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٢) وفي الوقت ذاته عمل الامير محمد على قمع ثورة النصارى المتعصبين في قرطبة وحوكم القس ايلوج ، المحرض الاول على الثورة ، وقضى باعدامه ونفذ الاعدام فيه كما نفذ الاعدام بصاحبته ومعاونته ليوكريسيا ، في آذار ٨٥٩ م ، وبذلك أمكن للامير محمد اخمـــاد لهيب الثورة ، ولمطالعة مزيد عن تحريض النصارى ، وما قاموا به من أعمال – للمطالعة – :
Histoire des Musulmans de L'Espagne Paris 1932 V.i P. 355, 356 , 362 .

وادي سليط [1] هي البداية الحاسمة التي انتهت باخضاع هذا التمرد الذي استمر حتى عام ٢٤٥ هـ – ٨٥٩ م .

ب – مجابهة غزو – النورمان –

لم يكد الأمير محمد ينهي عصيان طليطلة حتى جوبه بعدوان جديد قام به النورمان .

ففي عام ٢٤٥ هـ – ٨٥٩ م ظهرت في مياه المحيط ، غرب الاندلس قوة بحرية مكونة من ٦٢ اثني وستين مركباً . وكانت قطع البحرية الاندلسية قد أفادت من العدوان السابق فنظمت عملياتها وأخذت تقوم بجولات مستمرة على امتداد المسافة ما بين جيليقية شمالاً والجرف جنوباً ، وحاولت قوات النورمان الاقتراب ودفعت مركبين فاستولى عليهما المسلمون بالقرب من « باجة » مع ما عليهما من ذهب وفضة وسبي وأعتدة . فتابعت مراكب النورمان تقدمها حتى وصلت قريباً من مصب نهر اشبيليا في البحر ، وأصدر الأمير محمد أوامره الى الأقاليم باستنفار المقاتلين . ووجه قوة كبيرة بقيادة عيسى بن الحسن الحاجب .

– نجحت زوارق ، النورمان في اقتحام الاندلس عند مصب نهر أشبيلية . وتم انزال القوات التي تقدمت حتى الجزيرة الخضراء وخاضت معركة مع

(١) وصف الشاعر عباس بن مرداس معركة « وادي سليط » بقصيدة منها :

ومؤتلف الاصوات مختلف الزحف	لهوم الفلا عبل القبائل ملتف
اذا أومضت فيه الصوارم خلتها	بروقاً تراءى في الغمام وتستخفي
كأن ذرى الأعلام في ميلاتها	قراقير في يم عجزن عن القذف
بكى جبلاً وادي سليط فأعولا	على النفر العبدان والعصبة الغلف
يقول ابن يوليس لموسى وقد تأتي	أرى الموت قدامي وتحتي ومن خلفي
قتلنا لهم ألفاً وألفاً ومثلها	وألفاً وألفاً بعد ألف إلى ألف
سوى من طواه النهر في مُسْلَحَبه	فأغرق فيه أو تدأدأ من جرف

ابن عذارى ٢ – ١٦٦

المسلمين أنتصر فيها النورمان . واعملوا في اشبيليا تدميراً واحراقاً وسبياً . ثم رجعوا الى ريف الاندلس وتجمعت قواتهم عند ساحل « تدمير »،ثم تقدموا منه الى حصن اوريولة ومنها الى افرنجة حيث شتوا بها واستباحوا الأموال والنساء والأطفال . وبعد ذلك رجعوا الى ريف بحر الأندلس ، وكانت البحريةالاسبانية تلاحق مراكب النورمان فاغرقت منها أربعين مركباً . وركب النورمان زوارقهم فطاردتهم قطع البحرية الأندلسية واستولت على مركبين قرب شذونة كانا مثقلين بالغنائم والاموال ، ومضت بقية المراكب ، وأمكن لها الفرار بعد أن تكبدت خسائر فادحة . ثم ظهرت مراكب النورمان في الشمال فقامت بانزال قريباً من بنبلونه ، ونجحت في أسر ، حاكمها غرسيه ، ولم تطلق سراحه الا بعد أن دفع فدية كبيرة . كما أغارت قوات منهم على الجزائر الشرقية « الباليثار » وعلى شواطىء بروفانس حيث عبروا وادي اردونة « الرون » ودمروا مدن آرل ، ونيقة « نيس » « وفالانس » [1] .

حـ - عمليات الردع في الشمال :

١ - أصبح تحالف غرسية اوجارسيا ملك نافار وأردون [2] ملك جيليقية يشكل خطراً على الحدود الشمالية للاندلس . وأفاد الأمير محمد من الضربة التي وجهها النورمان ضد نافار ، فنظم قوات كبيرة ووجهها عام ٢٤٦ هـ - ٨٦٩ م . بقيادة حاكم طرطوشة للقيام بمهمة الردع في مملكتي نافار وجيليقية . [وخرج حاكم طرطوشة بجيشه خروجاً لم يخرج قبله مثله جمعاً وكثرة وكمال عدة وظهور هيبة] وانطلق في اقاليم بنبلونة متردداً فيها اثنين وثلاثين يوماً يخرب المنازل ويقتحم الحصون وفي طليعتها أهمية حصن « قشتيل » حيث أسر فيه

---

(١) ابن الاثير ، احداث سنة ٢٤٥ هـ ، وابن عذارى ٢ - ١٤٦ ، ونفح الطيب ١ - ٣٥٠ .
(٢) هو اردن ، أو ، اردون بن الفونس Ordano

فرتون بن غرسية المعروف « بالأنقر » وقدم به الى قرطبة فأقام بهـــا نحواً من عشرين سنة ثم رده الأمير الى بلده .

٢ ـ وفي عام ٢٤٧ هـ ـ ٨٦١ م : أراد الأمير محمد متابعـة أعمال الردع في جيليقية فكتب له عامله موسى بن موسى طالباً تقدم الصائفة عن محور غير محور تطيلة نظراً لما أصاب قوات موسى من إرهاق وخسائر في عملياته السابقة ونظراً لما تعرض له اقليمه من دمار وخراب بسبب وقوع الحرب في اقليمـه فاستجاب الأمير محمد لطلب واليه موسى بن موسى ووجه جيشاً كبيراً بقيادة محمـد بن سليم ، ونجح جيش قرطبة بانزال فادح الخسائر باقليم جيليقية .

٣ ـ وفي عام ٢٤٨ هـ ـ ٨٦٢ م : تقدم موسى بن موسى [١] لمقاتلة ابن سالم

(١) موسى بن موسى بن فرتون بن قسي « القسوي » وكان جدهم الاعلى الكونت قسي Kasi من أشراف القوط ، وكان جدهم الأعلى هذا وقت الفتح من حكام الثغر الأعلـى « أراجون » فاعتنق الاسلام حتى يحتفظ بمكانته وأصبح اولاده من بعده زعماء المولدين في الثغر ، وكانت لهم باستمرار علاقات مصاهرة مع جيرانهم من أمراء البشكنش النصارى وغيرهم (المقتبس ، ابن حيان القرطبي ١٦و١٧) . كان موسى بن موسى ، ينـزع الى الاستقلال باقليمه بحيث لم تكن علاقته بأمير قرطبة تتجاوز حدود الولاء الاسمي وقد رضي الامير عبـد الرحمن ومن بعده الأمير محمد بذلك للافادة منه ، كقاعدة متقدمة في مواجهة الشمال . وكانت علاقات موسى بن موسى بملك ليون ـ اردونيو ـ تتأرجح بين الخصومة والتحالف وفقاً للظروف ، ذلك أن اردونيو كان ينظر الى نمو جاره في الغرب ـ موسى ـ بعين القلق . وكان موســى في الوقت ذاته يحرص على تحصين ثغوره المتاخمة لمملكة ليون . فتوجه عام ٢٤٨ هـ ـ ٨٦٢ م الى الغرب لتحصين قواعده ومعه صهره جارسيا امير نافار فحاول « اردونيو » ردع ، موسى ، وهاجم بعض الحصون التابعة لموسى وفي مقدمتها حصن « البلوة » . ونشبت بـين الفريقين معركة ضارية قتل فيها جارسيا كما اصيب ذاته بجراح توفي على أثرها .

ـ خسرت قرطبة بوفاة موسى عاملا قوياً ، كان يحفظ لها الشمال الشرقي ، ويقف سداً في وجه كل عدوان فلما توفي أعلن ابنه « لب » خضوعه لاردونيو ملك ليون ، وتحالف معه ضـد

في وادي الحجارة ، وخاض معركة ضارية اصيب فيها بجراح لم يلبث أن توفي على أثرها .

٤ – وفي عام ٢٤٩ هـ – ٨٦٣ م ، توجـه عبد الرحمن بن الأمير محمد على رأس جيش كبير بقيادة عبد الملك بن العباس ، في اتجاه الشمال ، ووصـل إلى اقليم « البه والقلاع » وطبق في عملياته « استراتيجية الأرض المحروقة » فدمر الحصون ، وأحرق المزارع والقرى ومزق كل مقاومة جابهته ، وعندما وصل جيش المسلمين الى « مضيق الفج » وهو محور التقدم إلى قلب جيليقية إصطدم بقوات الجيش الكبير الذي وجهه ملـك جيليقية « أردون بن ألفونس » بقيادة أخيه ، ووقعت معركـة طاحنة أظهر المسلمون فيها قدراً كبيراً من الصبر والتصميم حتى استطاعوا انتزاع النصر ، ونجح القائد عبد الملك في تمزيق جيش جيليقية وكبده فادح الخسائر وكان من بين قتلى العدو تسعة عشر كونتـاً – قومساً – . وأمضى الأمير عبد الرحمن السنة التالية في اعادة تنظيم القوات والاستعداد ، ثم وجه جيشه بقيادة ابنه عبد الرحمـن لمتابعة أعمال الردع في الشمال .

٥ – وقعة الخندق – بمركوين – ٢٥١ هـ : ٨٦٥ م :

– أفاد رودريك من الهدوء الذي تميز به عام ٢٥٠ هـ بسبب عدم توجيـه جيش من قرطبة إلى جيليقية ، فعمل رودريك على تحصين حدود اقليمه وسخر أهل مملكته لاقتطاع أطراف الجبال عند المضائق وجعلها قائمة يصعـب على الفرسان تسلقها ، ثم حفر الخنادق عند محاور الطرق وفي الوقت ذاته ضمن حماية جبهة بلاده باقامة تحالف بين حكام القلاع وتوته وبرجيه ومسانقه .

....

المسلمين وزحف الى وادي الحجارة بهدف الاستيلاء عليه ، فتصدى له ابن سالم والحق بـه الهزيمة وأصابه بجراح توفي بعدها فانتهى الأمر لاخوته الثلاثة اسماعيل ، ومطرف وفرتون . واصبحت الولايات الشمالية ، مصدر الاضطرابات مما فرض على امير قرطبة تركيز جهد خاص بها.

ـ في بداية صيف عام ٨٦٥م ، قاد عبد الرحمن بن الأمير محمد قوة الصائفة ووصل بها حتى نهر دوبره ، وانضمت اليه قوات دعم كبيرة من الأقاليم كلها ، فأعاد تنظيم قواته ، ثم تقدم حتى مضيق « برذيش » او فج برذيش » حيث وقع الصدام الأول مع حاميات الحصون والقلاع ، ونجح عبد الرحمن في الاستيلاء على أربعة منها ودمرها واباد الحاميات المدافعة عنها ، ثم استأنف تقدمه مدمراً التحصينات التي جابهته حتى لم يبق في الأقاليم الأربعة موضع للمقاومة إلا وأصابه الدمار . وبذلك أصبح الطريق إلى جيليقية مفتوحاً ، فتقدم جيش المسلمين إلى « الملاحة » وكانت من أكثر أقاليم جيليقية أهمية ، فأعمل فيها تدميراً واحراقاً وعندما وصل في تقدمه الى « مضيق المركوين » تصدت له الحامية المدافعة عن محور الطريق ، لكن قوات المسلمين نجحت في ازالة المقاومة بسرعة وارغمتها على ترك مواقعها . وتوقفت قوات المسلمين أمام الخندق .

ـ أرسل عبد الرحمن مفارز الاستطلاع لتحديد مواقع الكمائن المعادية وقوتها عند جانبي الطريق وفي العمق . ثم قام بتنظيم هجومه الحاسم على ضوء المعلومات الدقيقة التي أمكن الحصول عليها ، ودارت معارك قاسية بين قوات الطرفين وقعت خلالها خسائر فادحة من قوات المسلمين وخصومهم على حد سواء ، لكن قوات المسلمين استطاعت في النهاية أن ترغم جيش جيليقية على ترك مواقعه الحصينة والانسحاب حتى التلال الواقعة على مسافة بعيدة خلف الخندق .

ـ أصدر قائد الجيش ، عبد الرحمن ـ أوامره بالتوقف ، واقامة معسكر للمسلمين بهدف اقناع خصمه بعدم جدوى المقاومة ، وتعريفه بتصميمه على البقاء حتى احراز نصر حاسم . وتابع قائد الجيش في الوقت ذاته توجيه الاغارات في الوقت الذي كان يتم فيه ردم الخندق وتسوية المواقع وازالة العقبات ، وعندما

انهى المسلمون استعدادهم ، نظم قائد الجيش هجوماً حاسماً استطاع أن يمزق به قوات خصمه التي أخذت في الفرار بعيداً عن ميدان المعركة دون نظام .

طارد فرسان المسلمين فلول قوات جيش رودريك حتــى الأهزون ، واقتحموا عليهم نهر ابرة فالقى عدد كبير منهم أنفسهم بالنهر وماتوا غرقاً.

– وفي الوقت ذاته انطلقت مجموعات أخرى من الفرسان لمطاردة الهاربين في الجبال والغياض وأبادوا منهم مجموعات كبيرة .

– كانت معركة الخندق « في مركوين » من المعارك الكبرى بحيث وصل عدد قتلى العدو إلى ٢٠٫٤٧٢ عشرين ألفاً وأربعمائة واثنين وسبعين قتيلاً [١] .

٦ – ٢٥٢ هـ – ٨٦٦ م : وجه الأمير محمد حملة أخرى إلى الشمال بقيادة الحكم بن محمد مغاث في أرض النصارى ، واستولى على بعض الحصون وكانت هذه الغزوات المتوالية قد استنزفت قوة الامارات المستقلة في الشمال فركنوا حيناً إلى السكينة والهدوء وفي هذه السنة ، ٨٦٦ م ، توفي ملكهم اردونيو فخلفه ولده الفونسو الثالث الذي عرف فيما بعد باسم الفونسو الكبير .

– في الوقت الذي كانت قوات الحكم تقوم بعملياتها في جيليقية كان أسطول المسلمين يقلع من موانئه ، غرب الأندلس ، ويسلك محوراً موازياً للساحل عبر المحيط الأطلسي متوجهاً من الجنوب نحو الشمال حتى وصل مصب نهر منهو ، بقيادة أمير الماء « عبد الحميد بن مغيث » ولكن قوات الاسطول لم تنجح في تنفيذ عملياتها بسبب العواصف القوية التي مزقت قطع الأسطول وأغرقت قسماً كبيراً منها في مياه المحيط . ولكن هذه التجربة كانت رائدة في هذا المجال ، فقد استطاع المنصور بن أبي عامر ، اعادة العملية ذاتهـا عام ٣٨٧ هـ – ٩٩٧ م

....

(١) ابن عذارى ٢ - ١٤٩ ووضع ابن الاثير هذه الاحداث في سنة ٢٥١ هـ وذكر الخسائر ٢٤٩٢ قتيلا ، وقد يكون هذا الرقم اقرب الى الدقة .

ونجح بواسطتها في احتلال جيليقية كلها وتدمير المقاومات ، وفتح سنت ياقب [1] .

لم يتمكن الامير محمد من متابعة عملياته بعد ذلك في الشمال بسبب الثورات المضادة التي استمرت طوال عهده واستنزفت قوة الدولة وامكاناتها ، ورغم انه لا علاقه لفن الحرب بهذه الثورات ، لكنها كانت ذات تأثير غير مباشر ، في استنزاف قوة العرب ، المسلمين في الاندلس ولهذا فسيتم ايجازها فيما يلي نظراً لما كان لها من دور خطير ستظهر نتائجة في مستقبل مسيرة العمليات .

***

(١) ذكر ابن عذارى هذه المعركة في احداث سنة ٢٦٦ ﻫ .

د – الثورات المضادة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن

كان من أبرز هذه الثورات ثورة عمر بن حفصون ، ونظراً لامتداد هذه الثورة حقبة طويلة من الزمن فسيتم ايجازها بصورة منفصلة ،في حين سيتم ايجاز بقية الثورات فيما يلي :

التسلسل	تاريخ الثورة	قائدها	مكان تمركزها	الاجراءات	النتيجة
١	٢٥٤هـ – ٨٦٨م	عبد الرحمن بن مروان وابن شاكر وابن مكحول	مارده	قاد الأمير محمد جيشاً بنفسه	القضاء على الثورة وحمل قادتها إلى قرطبة .
٢	٢٥٥هـ – ٨٦٩م	سليمان بن عبدوس	مريه	توجيه مجموعة قتالية بقيادة الحكم ابن الأمير محمد .	القضاء على الثورة وحمل قائدها إلى قرطبة .
٣	٢٥٦هـ – ٨٦٩م	لب بن زكريا بن عمروس	وشقه	توجيه عدة مجموعات قتالية .	القضاء على التمرد وقتل لب بن زكريا بن عمروس
٤	٢٥٧هـ – ٨٧٠م	زكريا بن عمروس	سرقسطه	توجيه عبد الفاخر ابن عبد العزيز حاكم تطيله للقضاء على التمرد .	قتل ابن عمروس وأهله وأنصاره..
٥	٢٥٨هـ – ٨٧١م	مطرف واسماعيل أولاد لب بن زكريا ابن عمروس ومعهم يونس بن زنباط.	سرقسطه وتطيله	قاد الأمير محمد الجيش بنفسه في السنة التالية إلى طليطله وبنبلونه	اخضاع التمرد وقتل عدد من الثائرين وفرار البعض الآخر .

ت	تاريخ الثورة	قائدها	مكان تمركزها	الاجراءات	النتيجة
٦	٢٦٠هـ - ٨٧٣م	ثورات الثغور	سرقسطه وبنبلونه	توجيه المنذر بن محمد والقائد هاشم ابن عبد العزيز	إخضاع الأقاليم الثائرة وتدميرها.
٧	٢٦١هـ - ٨٧٤م	ابن مروان الجليقي	قلعة حنش بماردة	قاد الأمير محمد الجيش بنفسه	اخضع التمرد ووافق على طلب الثائر ابن مروان الاستقرار في بطليوس والاقامة فيها ..
٨	٢٦٢هـ - ٨٧٥م	هرب ابن مروان الجليقي مرة أخرى	بطليوس	أرسل الأمير قوة بقيادة وزيره هاشم ابن عبد العزيز	هزيمة جيش قرطبة ووقوع هاشم بن عبد العزيز أسيراً.
٩	٢٦٣هـ - ٨٧٦م		بطليوس	وجه الأمير قوة بقيادة ابنه المنذر	هرب ابن مروان إلى الشمال والتجأ إلى «بلاد العدو».
١٠	٢٦٤هـ - ٨٧٧م	استمرار تمرد بني موسى في الثغور	سرقسطه وجبليقيه	حارب المنذر بن محمد في سرقسطه ثم انتقل الى تطيله ودخل البراء بن مالك الى جبليقية	تدمير الأقاليم المتمردة.

الأعداد	تاريخ الثورة	قائدها	مكان تمركزها	الاجراءات	النتيجة
١١	٢٦٥هـ - ٨٧٩م	يحيى المعروف بالجزيري	ريا وتاكرنا والجزيره	قام الوزير هاشم ابن عبد العزيز بقيادة الهجوم .	اخضاع التمرد وحمل زعيم الثورة إلى قرطبة .
١٢	٢٦٩هـ - ٨٨٣م	تمرد الثغور	كورة ريا وكورة البيره	قام الوزير محمد بن أمية بن شهيد بقيادة الهجوم .	اخضاع التمرد ونقل قبائل عربية منها بني رفاعه وغيرهم، واستمرت العملية حتى العام التالي[١] .

٥ - ثورة عمر بن حفصون

ينسب عمر بن حفصون إلى أسرة تزعم انها تنحدر من نسل نبيل قوطي يدعى الفونسو ، وكان جعفر والد جد الثائر أول داخل في الاسلام .

وذكر ابن عذارى نسبه كما يلي :

عمر بن حفصون المعروف بحفص بن جعفر بن شيتم بن ذبيان بن فرغلوش بن اذفونش - الفونس - من مسالمة الذمة ، ومن كورة تاكرنا التابعة لرنده ، وكان الذي اسلم منهم جعفر بن شيتم ففشا نسله في الاسلام[٢] .

(١) لمطالعة تفاصيل حركات الثورة المضادة في البيان المغرب ٢ / ١٤٩ - ١٦٦ ، وتاريخ العرب في الاندلس محمد عبد الله عنان « عهد الفتنة الكبرى » . وتاريخ المسلمين في الاندلس - دوزي - ٣٥٦ - ٣٦٢ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ٢ - ١٥٦ .

كان حفص والد الثائر ذا مال ووجاهة فأضاف الى اسمه « ون » للتأكيد على اصالته فأصبح يعرف باسم حفصون . وترك ثلاثة أولاد أكبرهم عمر الذي تميز عن أخويه بمزاجه الحاد وشراسة طبعه فقتل وهو في حداثة عمره جاراً له مما دفعه إلى الهروب نحو الجبال حيث ألف حياة العصابات ومارس أعمال السلب فقبض عليه وكان عامل الاقليم يجهل ماضيه فأشفق على حداثه سنه ولم يقتله كما كان يفعل مع الخارجين على القانون وانما اكتفى بجلده ثم اطلق سراحه. وخاف عمر بن حفصون افتضاح أمره فهرب الى افريقية ، واستقر بتاهرت وعمل عند خياط من أهل جلدته وتعرف عليه أحد شيوخ المولدين ، وخاف الوشاية فرجع مرة أخرى الى الاندلس ولجأ الى بربشتر ، حيث بدأ ظهوره فيها ..

كان عمر بن حفصون شجاعاً ، كريماً ، شديد البأس على أنصاره ، يلزمهم بطاعته طاعة عمياء ، ويقتل منهم كل خارج على تعاليمه ، فانتشر الأمن في الربوع التي سيطر عليها وكان في ذلك مصدر قوته حيث خضع له الأغنياء لحمايتهم ، وأطاعه المشردون لتأمين موارد حياتهم ، وضم في صفوف أنصاره مجموعات متناقضة يجمعها عامل واحد هو الحقد على « الحكم الأموي » فكان بين المقاتلين من جموعه العرب والبربر والمولدين والمستعربين والنصارى والمسلمين .. ولعل أفضل وصف له : [.. انه ، امام الثائرين وقدوتهم ، وهو أعلاهم ذكراً في الباطل ، وأضخمهم بصيرة في الخلاف ، واشدهم سلطاناً واعظمهم كيداً وأبعدهم قوة ...] [1] .

---

(١) ابن حيان ـ المقتبس ١٩ .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
١	ربيع ٢ ٢٣٨	ايلول ٨٥٢	**وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم « الاوسط » وخلافة محمد بن عبد الرحمن .**
	٢٦٧	٨٨٠	جمع عمر بن حفصون حوله أربعين رجلاً ، وجعل من ببشتر [1] قاعدة له واستقطب حوله العصاة والثائرين فسيطر بهم على المناطق الجبلية الوعرة بين رندة ومالاقا .
٢	٢٧٨	٨٨٠	حاول عامل رية القضاء على الثورة في مهدها فتوجه إلى ببشتر ، لكن ابن حفصون انتصر عليه ، فعزل الامير محمد العامل المهزوم وعين عاملاً جديداً لم يتمكن من اخضاع ابن حفصون فاكتفى بعقد هدنة معه ، وعندما وجه الأمير محمد وزيره ، هاشم بن عبد العزيز على رأس جيش كبير فشدد الوزير هاشم قبضة الحصار على ببشتر وأسر عدداً من أنصار ابن حفصون وارغمه في النهاية على الاستسلام وحمله إلى قرطبة ومعه سائر عصابته فعفى عنه الأمير محمد وضمه إلى جيشه .

....

(١) ببشتر Bobastro ، من أمنع حصون الأندلس، على بعد ٥ كم الى الشمال الغربي من بليش حالياً (Velez de Malaga) على الساحل الجنوبي للاندلس ..

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٣	٢٧٠	٨٨٣	توجه المنذر إلى الثغر الأعلى لقتال محمد بن لب « من بني قس المولدين أيضاً ». وكان ابن حفصون من كبار قادة جيش المنذر، بيد أنه لم يكن راضياً كل الرضى عن منصبه فلم يلبث أن فر تحت جنح الليل ومعه نفر من أصحابه وعاد إلى بربشتر حيث استأنف ثورته، وانضمت اليه جموع الخوارج والمتمردين .
٤	٢٧٣	٨٨٦	خرج المنذر لقتال ابن حفصون وبدأ عملياته بالتوجه إلى الحامة شمال مالاقا حيث الثائر ابن حمدون حليف ابن حفصون فأسرع ابن حفصون لنجدة حليفه وحاصر المنذر « الحامة » مدة شهرين، وعندما أشرفت المدينة على الاستسلام وقد نفذت مؤنها، خرج الحليفان ابن حفصون وابن حمدون للقاء المنذر ودارت معركة طاحنة انتصر فيها المنذر وهزم الثوار وجرح ابن حفصون، وارتد مع فلول أصحابه إلى الحامة واعتصم بحصونها من جديد . وبينما المنذر مقيم على حصار الحامة . علم بوفاة أبيه فاضطر لرفع الحصار والعودة إلى قرطبة .
	٢٩ صفر	اول تموز	**وفاة محمد بن عبد الرحمن وخلافة المنذر :**
	٢٧٣	٨٨٦	أفاد عمر بن حفصون من فترة انتقال الحكم للمنذر،

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			فسيطر على القواعد والحصون الجنوبية كلها . وخضعت له كورة رية وأرشذونة ومالاقا وجيان واستجة وغيرها واجتمع اليه الخوارج والمغامرون من جميع أنحاء الأندلس ، وأخذ يطمح في الاستيلاء على الاندلس كلها. وأظهر الدعوة لبني العباس ، وكاتب « ابن الأغلب » ، وجعل من بربشتر قاعدة له بعد أن طرد عامل أمير قرطبة منها وسبى جاريته وتزوجها وكانت هذه أم ولده الأكبر سليمان الذي قاد ثورته بعد وفاة أبيه .
٥	٢٧٤	٨٨٧	قاد المنذر بنفسه جيشاً كبيراً ، وأظهر تصميمه على سحق تمرد ابن حفصون فتوجه إلى رية وحاصر أرشذونة الواقعة غرب لَوْشة حتى خضعت له ، وافتتح حصون « باغة »[1] وقبض على عيسون حاكم أرشذونة ، وبني مطروح حلفاء ابن حفصون في باغة وبعث بهم جميعاً إلى قرطبة حيث قتلوا جميعاً وصلب مع عيسون خنزير وكلب امعاناً في التمثيل به ، ثم تابع المنذر تقدمه حتى وصل بربشتر فحاصرها وعزلها عن كل ما يحيط بها وضيق عليها، وعندما اشتد الأمر على ابن حفصون لجأ إلى الحيلة فطلب الصلح وعرض التسليم وأعلن عزمه على السير إلى قرطبة بأهله

(١) باغه ، أو بريجو Priego .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			ولده ، فأجابه المنذر ، وأمده بما طلبه من غذاء ودواب ولباس ، فبعث بهـــا ابن حفصون إلى قلاعه وقفل المنذر بجيشه يتبعه ابن حفصون الذي استطاع الهرب من جديد والعودة الى بربشتر ، فعاد المنذر وهو أكثر تصميماً على سحق الثائر لخيانتـــه وغدره ، وحاصر بربشتر معتزماً ألا يبرحها حتى يقبض على الثائر . واستمر الحصار ثلاثة وأربعـين يوماً ، ومرض المنذر ، فاستقدم أخاه عبد الله من قرطبة ليتابـع الحصار عوضاً عنه ، وتوفي المنذر تحت أسوار بربشتر ..
٦	منتصف صفر ٢٧٥	حزيران يوليو ٨٨٨	**وفاة المنذر وخلافة اخيه عبد الله ..**
	٢٧٥	٨٨٨	طلب ابن حفصون الصلح من الأمير عبدالله حتى تتاح له فرصة اعادة تنظيم قواته ، ووافق الأمير عبد الله في انتظار انهاء استعداده ، ثم لم يلبث ابن حفصون طويلاً حتى نكث بوعده وأخذ في توسيـع نطاق عملياته .
٧	٢٧٦	٨٨٩	قاد الأمـــير عبد الله جيشاً لاخضاع ثورة ابن حفصون ، ونجح في تدمير الاقليم ولكنه لم ينجح في اخماد الثورة ، مما ضاعف من قوة ابن حفصون حتى أصبح يهدد قرطبة وينازع أميرها سلطته .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٨	٢٧٨	٨٩١	– معركة بلاي – كانت بلاي من أمنع حصون قبره ، وقد وجه الأمير عبد الله قوة مكونة من ١٨،٠٠٠ مقاتل بقيادة قائد الفرسان عبيد الله بن محمد بن أبي عبيدة ، والتقت هذه القوة بجيش ابن حفصون الذي ضم ٣٠،٠٠٠ ثلاثين ألف مقاتل ، وتجاه هذا التفوق ركز قائد الفرسان عبيد الله ثقل هجومه على الجناح الأيسر لقوات ابن حفصون فسحقه ، ثم نقل مركز ثقل الهجوم إلى الجناح الآخر وأمكنه تدمير العدو المتفوق فانسحبت فلول جيش ابن حفصون من بلاي إلى بربشتر ، وتابع عبيد الله تقدمه حتى وصل استجه فأخضعها وأرسل زعماء الثورة إلى قرطبة [١] .
٩	٢٨١	٨٩٤	توجه المطرف ابن الأمير عبد الله الى بربشتر ، وحاصرها ، ودارت معارك طاحنة قتل خلالها حفص بن المره أشجع قادة ابن حفصون ، واستولى على استجه للمرة الثانية ..
١٠	٢٨٤	٨٩٧	– استطاع ابن حفصون اعادة سيطرته مرة أخرى على استجه .

(١) كافأ الامير عبيد الله قائد فرسانه بتعيينه وزيراً بعد هذا النصر الحاسم،وهناك قصيدة رائعة تشيد بنصر معركة بلاي في المقتبس ـ ابن حيان ص ٩٧ ـ ١٠٠ .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
١١	٢٨٥	٨٩٨	- أرسل الامير عبدالله جيشاً كبيراً بقيادة ابنه، ومعه أحمد بن أبي عبيدة لقتال ابن حفصون، وقام هذا الجيش بجولة واسعة في اقليم ريه ومالاقا، وخاض معارك ثانوية لكنه لم يحقق انتصاراً حاسماً .. - عقد ابن حفصون في هذه الفترة حلفاً مع محمد ابن لب - القسوي - وأرسل محمد بن لب ابنه « لبّا » في بعض قواته الى ابن حفصون بهدف توثيق عرى التعاون بينهما، ولكن لبا تلقى بعد فترة قصيرة نبأ وفاة أبيه محمد، أمام أسوار طليطلة فغادر ببشتر، دون أن يبرم أمراً مع ابن حفصون وفشل التحالف وهو في بدايته[1].
١٢	٢٨٦	٨٩٩	**اعلن ابن حفصون اعتناقه وسائر أفراد أسرته النصرانية واستبدل اسمه باسم « صامونيل » وفاوض الفونسو الثالث ملك ليون وبنو قسي، كما فاوض بعض امراء المغرب.** وكان اشهاره النصرانية سبباً في تخلي عدد كبير من المسلمين عن نصرته والامتناع عن تأييدهم له.

(١) المقتبس ١٢٧ .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
١٣	٢٨٨	٩٠٠	- تحالف ابن حفصون مع سيد اشبيلية ابراهيم ابن حجاج ، وحاول أمير قرطبة الوصول الى صلح مع ابن حفصون لكن هـــذا امتنع ، ولم تستمر الهدنة بينهما طويلاً ..
١٤	٢٨٩	٩٠١	- وجه الأمير عبد الله جيشاً كبيراً لقتال ابن حفصون ، فأرسل عمر بن حفصون قواته يدعمها فرسان ابراهيم بن حجاج والتقت قوات الطرفين عنـــد مدينة استبه على مقربة من نهر شنيل ودارت رحى معركة رهيبة انتهت بانتصار جند قرطبة ، وأعدم الأمـــير عبد الله رهائن ابن حفصون فخاف ابراهيم بن حجاج أن يعمـل الأمير عبد الله على اعدام ابنه عبد الرحمن الذي كان يحتفظ به أمير قرطبة رهينة عنده ففاوض الامير عبد الله في الصلح ، واستجاب الامـــير لطلبه وأطلق سراح عبد الرحمن وأعاده مكرماً فعـاد ابراهيم الى سابق عهـده وولائه لأمير قرطبة .
١٥	٢٩٥	٩٠٨	- وجه الامير عبد الله جيشه إلى بربشتر، حيث معقل الثائر ابن حفصون ، وعاث جند قرطبة في الاقليم ، لكنهم لم يحققوا انتصاراً حاسماً على خصمهم ..

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
١٦	٢٩٧	٩١٠	– توجهت حملة قوية بقيادة أحمد بن أبي عبيدة الى « كورة ريه » واشتبكت مع قوات ابن حفصون في عدد من المعارك الثانوية التي لم تحقق نصراً حاسماً .. **واستمر توجيه الحملات بعد ذلك في كل عام دون الوصول الى نتيجة ..**
	ربيع أول ٣٠٠	تشرين الأول ٩١٢	**– وفاة الأمير عبد الله وخلافة عبد الرحمن الناصر « الثالث » .**
١٧	شعبان ٣٠٠	آذار مارس ٩١٣	– قاد الأمير عبد الرحمن بنفسه الجيش المتوجه لحرب ابن حفصون، وأنقذ مدينة ريه من الحصار الذي كان قد نظمه ابن حفصون ، ثم انتزع منه حصون منتلون و شمنتان ومنتيشه وغيرها ، وتابع تحرير المدن الموالية لابن حفصون في كورة البيره وتطهيرها من أنصاره ، وتوجه بعد ذلك الى وادي آش ، فاحتل الحصون والقلاع المنتشرة فيه وأوغل في تقدمه عبر شعاب جبل الثلج « سيرانيفادا » وعاد الى قرطبة بعد ثلاثة أشهر من العمليات المستمرة ..
١٨	٣٠١	٩١٤	– تقدم الامير عبد الرحمن في غزوته الثانية لحرب ابن حفصون ، وسلك محور وادي ريه ، ووقعت معركة بينه وبين ابن حفصون أمام

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			قلعـة طرش قتل فيها عدد كبير من جنـد ابن حفصون وحلفائه النصارى ، واستطاع أسطول عبد الرحمن أن يستولي على مجموعـة من السفن المحملة بالمؤن والامـداد من عدوة المغرب لدعم ابن حفصون وعمل على احراقها .. سار الأمير عبد الرحمن بعد ذلك الى شذونه ومنها الى قرمونه وحاصرها حتى استسلمت له.
١٩	٣٠٥	٩١٨	**– وفاة عمر بن حفصون ، وقد خلف أربـع أبناء هم جعفر وعبد الرحمن وسليمان وحفص وابنة هي « أرجنتا » ، فقام جعفر مكان ابيه في بربشتر . واستقـل عبد الرحمن في حصن طرش . بينما تمركز سليمان في ابـده ..**
٢٠	٣٠٥	٩١٨	– وجه الامير عبد الرحمن جنـد الاندلس الى ابده ، فاستولى عليها وأخـذ سليمان أسيراً إلى قرطبة ، فأكرمه الأمير عبد الرحمن وعفا عنه وضمـه الى جيشه ، واستسلم عبد الرحمن بن حفصون دون قتال .
٢١	٣٠٨	٩٢٠	– قتل جعفر في بربشتر ، فقام أخوه سليمان مكانه وأقره عبد الرحمن على ولايته ولكنه نكث عهد الطاعة فسار الامير عبد الرحمن لحصاره فامتنع في حصونه ..

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٢٢	٣١١	٩٢٣	– قاد الامير عبد الرحمن جند الاندلس لحصار بربشتر ، لكنه لم ينجح في اخضاعها .
٢٣	٣١٤	٩٢٦	– أرسل الامير عبد الرحمن جند الاندلس بقيادة وزيره عبد الحميد بن سبيل الى بربشتر ، وخرج سليمان بن عمر بن حفصون للقائه ، فهزمت قوات ابن حفصون وقتل سليمان ، وقدم حفص أخاه مكانه ، واستمر على المقاومة ، لكنه اضطر في النهاية الى الاستسلام ، فأخذ أسيراً الى قرطبة فعفى عنه الامير عبد الرحمن وضمه الى جيشه ..
٢٤	٣١٦	٩٢٨	– سار عبد الرحمن الى بربشتر ، وعين والياً لها ، وأمر باخراج رفات عمر بن حفصون وولده سليمان وأرسلهما الى قرطبة لتعليقهما على أبوابها ، وهدم جميع الكنائس والأديرة التي ابتناها الثائر ابن حفصون في تلك المنطقة واستولى على المعاقل والحصون جميعها وطهرها من آثار الثورة الأخيرة.
	٣١٩	٩٣١	– اصدر امير قرطبة ، الخليفة عبد الرحمن الناصر ، أوامره بالقبض على « ارجنتا » ابنة عمر بن حفصون واعدامها لارتدادها عن دين الاسلام . ونفذ الحكم [١] .

(١) البيان المغرب ٢ / ١٩١ – ٢٠٩ ، وابن خلدون ٤ / ١٣٥ .

حروب الاستنزاف
واستمرار الثورات المضادة

تميزت الفترة الأخـيرة من حكم محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ٢٣٨ – ٢٧٣ هـ – ٨٥٢ – ٨٦٦ م . وفـترة حكم المنذر ٢٧٣ – ٢٧٥ هـ – ٨٨٦ – ٨٨٨ م . وفترة حكم عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ٢٧٥–٣٠٠هـ – ٨٨٨ – ٩١٢ م .

كانت هذه الفترة من حياة الاندلس الاسلامية حافلة بالاضطرابات الكثيرة ، والثورات المضادة والحركات الاستقلاليه مما أضعف الحكم الأموي في قرطبة ، وجعل الحكام في حالة عجز تام عن مجابهة أعداء الشمال ..

ورغم ان عمليات قمع حركات التمرد ومقاومة الثورات قـد نفذت وفق مخططات عسكرية دقيقة ، لكنها لم تتميز بملامح جديدة ولم تحدث تطوراً جديداً في فن الحرب ولهذا فان دراستها تشكل موضوعاً مستقلاً يمكن وضعه في اطار « الثورات المضادة » وهو ما يخرج عن موضوع الدراسة الحالية .

ولهذا ، ورغم ان هذه الدراسة بعيدة عن موضوع الكتاب فانه قد يكون من الضروري التعرض لبعض ملامحها وذلك :

١ً – لاظهار الصورة العامة للموقف خلال هذه الفترة ..

٢ً – لما كان لها من اثر في استنزاف قوة الدولة وقدرتها ..

٣ً – لما كان لها من اثر في نمو دول الشمال وتعاظم قوتها وانتقالها الى مراحل متطورة ساعدت بالمقابل على تطوير أعمال الردع والهجمات الوقائية خلال المرحلة التالية وهي التي تعاقب فيها ثلاثة من الحكام ، وهم : عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم وأبي عامر « المنصور » ..

عناصر الثورات المضادة

أ – مراكز القوى في الشمال ..

ان استعراض مسيرة الأحداث ومطالعة تطورات الثورات المضـادة يظهر بوضوح ان حركات التمرد الخطيرة هي تلـك التي تمركزت في الشمال واستندت بصورة أساسية الى العناصر غير العربية ، من مولدين ومستعربين وبربر ، وكان القاسم المشترك بين هؤلاء جميعـاً حقدهم على العنصر العربي في البداية ثم تطور الحقد – بتأثير الكنيسة – الى كراهية للعرب ودين العرب .

وقد تم في الصفحات السابقة ذكر بعض الاسباب التي دفعت عناصر الثورة المضادة الى التمركز في الشمال ، والتي يمكن ايجازها وجمعها بما يلي :

١ً – وجود طليطلة عاصمة « القوط » في الشمال ، كمركز للاشعاع المضـاد ولاستقطاب العناصر الثائرة .

٢ً – استيطان العرب في الجنوب بالدرجة الاولى ، بسبب قربه من عدوة المغرب ، وبسبب طبيعته المماثلة لطبيعة المشرق ، والرغبة في الاستيطان عنـد المناطق الخصبة والابتعاد عن المناطق الجبلية الوعرة في الشمال وذلـك على نحو يشابه تماماً ما فعله العرب المسلمون عند احتلالهم الشام واستيطانهم فيها . وكان لهذا الاستيطان محاسنه ومزاياه أيضاً بالنسبة لتوفير الامكانات الضرورية لتنظيم الدولة وبناء القوات المسلحة وحشد القوات في موقع متوسط ، ولا ريب ان قلة العنصر العربي كان من الاسباب الرئيسية التي حالت دون الاستيطان في الشمال، وبالتالي السماح للعناصر المضادة بالعمل في مناخ من الحرية المطلقة ..

٣ً – أفادت مراكز القوى في الشمال من بعدها عن العاصمـــة ومن وعورة محاور التقدم لتدعيم مواقعها وبناء قوتها الذاتية كما أفادت من قوة تحصيناتها وطبيعة مواقعها الصعبة لبناء قوتها الدفاعية ، وبذلك استكملت مراكز القوى هذه كل الضرورات الاساسية للقيام بحركاتها الاستقلالية .

٤ – وأفادت مراكز القوى من مواقعها القريبة الى الدول النصرانية فيما وراء البيرنيه ومن دول الشمال النصرانية لتلقي الدعم الضروري لنجـــاح الثورات المضادة واستمرارها ، وقد مر هذا الدعم بمراحل :

أ – اقتصر في البدايات الاولى على تبادل الرسائل ، وتنسيق التعاون بـين الهجمات الخارجية والحركات الداخلية .

ب – تطوير التعاون الى دعم كامل بالقوات بين حركات التمرد وبين جيوش دول الشمال .

جـ – الانطلاق من قاعدة قوية وذلك باللجوء الى الدول النصرانيـة في حال الفشل من أجل الاستمرار في الصراع ضد العرب ـ المسلمين ..

د – وضع المخططات لتنسيق التعاون بين الحركات المضادة وذلـك لتبادل الدعم فيما بينها مع نقل أعمـــال التمرد حتى الجنوب لاضعاف الدولة وجعلها عاجزة عن مجابهة تطورات الشمال ..

وان خير من يمثل هذا الاتجاه في الواقع ويصوره بوضوح تام ، زعيم حركة التمرد الكبرى ـ عمر بن حفصون ـ الذي قاد ثورة استمرت فترة طويلة حتى امكن القضاء عليها في عهد عبد الرحمن الناصر[١] ، وكذلك ثورة بنو قسي في الثغر الأعلى « سرقسطه » الذين كانوا يرتبطون برباط المصاهرة مع حكام مملكة نافار « البشكنش » .

ب ـ مراكز القوى في الاقاليم الجنوبية والمدن :

– استوطن العرب والبربر في الاندلس وفق نظامهم القبلي ، فكانت لكل قبيلة كبيرة أو عصبية من العصبيات مركزها في مدينة معينة أو اقليم محدد ، وكانت هذه العصبيات في حد ذاتها مراكز للقوى يمكن لهـــا دعم الحكومة المركزية في قرطبة أو اضعافها ، وفقاً للظروف وطبعاً لتطور الاحداث .

....

(١) سيأتي فصل خاص يتم فيه استعراض ثورة عمر بن حفصون وذلك في الصفحات التالية .

– ولم يكن بالمستطاع ، حشد جميع المقاتلين في معسكرات منفصلة ، كما لم يكن بالمستطاع جعل هذه المعسكرات في منطقة واحدة ، فكان لكل اقليم جيشه الصغير الخاص به ، وكان حجم هـــذا الجيش يتراوح في زيادة ونقصان حسب طبيعة الاقليم وحسب الكثافة السكانية ودرجة الاستيطان فيه ، ونظراً لطبيعة مسرح العمليات ومتطلبات القتال فقد كان يتم الاعتماد بالدرجـة الأولى على قوة الفرسان ، ولهذا كانت مجموعات فرسان الأقاليم هي التي تشكل مجموعة القوة الضاربة الرئيسية لجيش قرطبة . وعندما كان يتم التحرك للصائفـــة أو لردع العدوان أو للقيام بهجوم وقائي ، كان الخليفة يعمل على تعيين منطقة الحشد وموعد وصول القوات حيث تتم في منطقة الحشد عملية اعادة التنظيم وتبـــدأ مرحلة الانطلاق الى مسرح العمليات ..

– ونتيجة لوجود روح العصبية المتفجرة بين العرب والبربر على حد سواء ، ونظراً لوجود جيش مستقل في كل مدينة واقليم فقـــد أصبح بالامكان لزعماء الاقاليم الاستقلال بأقاليمهم ، وكان هذا الاستقلال يتأرجح زيادة ونقصاناً حسب قوة الحكم في قرطبة ، وحسب درجة التعاون والتوافق بين أمير قرطبة وأمراء الأقاليم ، فاذا حدث تنافر ، أو اختلاف ، كان الاقليم مهيئاً لاعـلان الثورة والانفصال .. ولكن وفي كل الظروف ، فان مراكز القوى هـــذه لم تكن في خطورتها تعادل خطورة مراكـز قوى الشمال نظراً لرفض العرب – بصورة عامة – فكرة التعاون مع « الافرنج » ضد أبناء عصبيتهم العربية وضد اخوان عصبيتهم الدينية ، ولكنها تبقى في كل الاحوال مصـدر استنزاف لقوة العرب المسلمين في الاندلس ..

ولعل خير من يمثل مراكز القوى هذه ابراهيم بن حجاج « حاكم اشبيليا » الذي اصبح في فترة من ايام حكم العرب للاندلس منافساً قوياً لحاكم قرطبة الامير الاموي ، وقد يكون من المناسب ذكر لمحة عنه لاظهار خطورة مراكز القوى هذه واثرها في تمزيق قوة العرب المسلمين واضعافها ..

- كانت زعامـــة اشبيليا لابراهيم بن حجاج والأخوين كريب بن خلدون وخالد بن خلدون وكان جميعهم على اتصال بالأمير عبد الله ، وشعر ابراهيم بن حجاج بخطورة ابنـاء خلدون على مركزه وقدرتهم على منافسته فدبر مؤامرة قتل فيها الأخوين كريب وخالد وطلب من أمير قرطبة الاعتراف بسلطته على اشبيليا ، ولم يكن باستطاعة الامـــير عبد الله وهو يجابه حركات « الثورات المضادة » في كل اقليم إلا الاعتراف واقرار ابراهيم بن حجـاج على سلطته ؛ وأصبحت زعامة اشبيليا له دون منازع .. فاجتبى الأموال واصطنع الرجال وارتقى في الأحوال ، وارتفع ذكره وبعد صيته واتخذ لنفسه جنداً ورتب لهم الأرزاق كفعل السلطان ، فكان في مصافـــه خمس مائة فارس وكان له في بلده اشبيليا قاضٍ يقوم بالحكم وصاحب مدينـة يقيم الحـدود - محافظ - وكان لابراهيم بن حجاج في بساط السلطان بقرطبة قوم يقفون في حقه ويعلمونه بما عند السلطان من حاله وينصحونه في أمره ..

- وكان ابراهيم بن حجـاج - أبا اسحاق - فظاً على أهل الريب ، قاطعـاً لأهل الشر ، منتجعاً على البحر والبر ، مقصوداً بالغرائب والطرف ، وكانت له باشبيليا طرز يطرز فيها على اسمه كفعل السلطان إذ ذاك ، وكانت قرمونه تحت مملكته وهو الذي حصنها وحسن بنيان سورها وفيها كانت مرابط خيله المتخذة لركوبه وبينها وبين اشبيليا كان ترداده سائر أوقاته ، وكان جواداً ممدحاً يرتاح للثناء ويعطي الشعراء ويضاهي في فعله كبار الأمراء ويعقد أهل البيوتات والشرف بالعطاء ، وقد امتدحه أبو عمرو أحمد بن عبد ربه ووصف تنقله بـــين اشبيليا وقرمونه بقصيدة منها الأبيات التالية :

فاشبيلية الزهراء تزهو بوجهه — وقرمونة الغراء ذات الفضائل
اذا ما تحللت تلك من نور وجهه — غدت هذه للناس في زي عاطل
وان حل هذي فهو يوحش هذه — فتهدى برســل نحوه ورسائل

وسمع ابراهيم بن حجاج بجارية بغدادية اسمها قمر[1] فوجه بأموال عظيمة إلى المشرق في ابتياع هـــذه الجارية إلى أن استقرت بدار مملكته اشبيلية .. وبقيت في رغد من العيش طوال اقامتها في اشبيليا . وتوفي ابراهيم بن حجاج في عام ٢٨٨ هـ - ٩٠٠ م وخلفه ابنه عبد الرحمن الذي توفي في بداية عهد الناصر ٣٠١ هـ - ٩١٣ م ..

- كانت مراكز القوى هذه منافساً قوياً لأمير قرطبة ، وقد اندلعت فيها الثورات المضادة وحركات التمرد طوال الفترة الأخيرة من حكم محمد بن عبد الرحمن وفترة حكم المنذر وأخيه عبد الله ، ولم يتم اخضاع هذه المراكز إلا في عهد عبد الرحمن الناصر - الثالث - .

- وقبل الانتقال إلى العمليات القتالية في عهد عبد الرحمن الناصر ، وبهدف ايضاح الصورة العامة للموقف ، قد يكون من المناسب تلخيص بداية ظهور دول الشمال النصرانية ومراحل تطورها وما كان لها من دور كبير في استنزاف قوة العرب في الاندلس .

....

(١) البيان المغرب ، ابن عذارى ٢ / ١٩٠ - ١٩٢ وفيه : كانت قمر كالبـــدر المنير ، ذات بيان وفصاحة ومعرفة بالألحان والغناء ، فوجدها ابراهيم بن حجاج قمراً عند اسمها ، وكان لها شعر يستحسن ويستحلى منه :

قالوا أنت قمر في زي أطمار	من بعدها هتكت قلبـــاً بأشفار
تمشي عل وحل تغدو عل سبل	تشق امصار أرض بعد أمصار
لا حرة هي من أحرار موضعها	ولا لها غـــير ترسيـــل وأشعار
لو يعقلون لما عابوا غريبتهم	لله من أمـــة تزري بأحرار
ما لابن آدم فخر غير همته	بعد الديانة والاخلاص للباري
دعني من الجهل لا أرضى بصاحبه	لا يخلص الجهل من سب ومن عار
لو لم تكن جنـــة الا لجاهلة	رضيت من حكم رب الناس بالنار

ب – نشوء مملكة نافار – أو – « البشكنش »
ثم تحولها الى مملكة اسبانيا ..

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			نشأت مملكة نافار ، في منطقة البشكنش ، غرب البيرنيه ، وكانت عاصمتها – او قاعدتها – بنبلونه . ويحيط الغموض اصل هـذه المملكة النصرانية ..
	١٨٠	٧٩٦	– وفاة هشام بن عبد الرحمن وخلافة الحكم ابن هشام « الربضي » .
١	١٨٣	٧٩٩	– ظهر في نافار زعيم قوي يدعى « ازوار » واستقل بامارته وأخذ في بناء قوته الذاتية وتنظيم امارته ..
	٢٠٦	٨٢٢	– وفاة الحكم وخلافة عبد الرحمن بن الحكم « الأوسط » .
٢	٢٢٢	٨٣٦	– توفي ازوار وخلفه في الامارة أخوه سانشو ؛ لكن أميراً آخر هو « جارسيا انيجيز بن أنيجو أريستا » انـتزع الامارة من سانشو ، وتذكر المصادر الاسلامية هـذا الأمير باسم « ونقة بن شانجة » ملك البشاكسة ،وارتبطت هذه الامارة في مرحلة نشوئها مع امارة اسلامية مجاورة لهـا يحكمها المولدون وهي امارة « بني قسي » سادة

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	توقيت الاحداث
			الثغر الأعلى ، وجاء هذا الارتبـاط عن طريق المصـاهرة حيـث تزوج انيجو اريستا بأرملة موسى بن فرتون بن قسي ، وتزوج موسى ابن موسى من ابنـة جارسيا انيجيز ، وتزوج جارسيا واخوته من بنـات لب بن موسى بن فرتون ، وتزوج بعض اخوة موسى وأبنائه من بنات أمراء نافار فتوطـدت روابط التحالف والمصاهرة بين الأسرة النصرانية والأسرة المسلمة « من المولدين » .. ـ أظهر جارسيا نزعاته العدائية للدولة المسلمة عندما عمل على دعم ثورة عمر بن حفصون ، المولدين .. ـ كما أن العلاقة بين نافار وجارتها الكبيـرة « ليون » لم تكن حسنة بسبب مطامـع مملكة ليون في ضم مملكة نافار الصغيرة اليها ..
	٢٣٨	٨٥٢	**ـ وفاة عبد الرحمن بن الحكم وخلافة محمد بن عبد الرحمن .**
٣	٢٤٨	٨٦٢	ـ ظهر العداء الواضح بين ليون ونافار فزحف أمـير نافار ـ جارسيا انيجيز ـ ومعـه صهره موسى بن موسى لدفـع عدوان ليون ووقعت معركة طاحنة في « البلدة » قتل فيهـا جارسيا

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
			ثم خلفه ابنه فرتون ، الذي بقي فترة طويلة في أسر أمير قرطبة ، ثم خلفه ولده « سانشو جارسيا » وهو أول من تلقب من « أمراء نافار » بلقب الملك وبه تبدأ مملكة نافار الحقيقية .
	٢٧٣	٨٨٦	**– وفاة الامير محمد وخلافة المنذر بن محمد .**
	٢٧٥	٨٨٨	**– وفاة الامير منذر وخلافة أخيه عبد الله ابن محمد ..**
٤	٢٩٥	٩٠٧	– قتل لب بن موسى على أبواب بنبلونه خلال الصراع الطويل والمرير بين سانشو وبين « بنو قسي » ..
	٣٠٠	٩١٢	**– وفاة الامير عبد الله وخلافة عبد الرحمن الناصر « الثالث » .**
٥	٣١٤	٩٢٦	– توفي سانشو ، وقامت بالأمر زوجته « طوطه » وصية على ولده جرسيا وأظهرت ولاءها لأمير قرطبة ..
	٣٢٥	٩٣٦	– نقضت طوطه عهد الناصر ، فغزا الناصر بلادها ، وضرب نواحي بنبلونه فجاءته طوطه بطاعتها وعقد لابنها غرسيه « جرسيا » على بنبلونه .
	٣٥٠	٩٦١	**وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر وخلافة الحكم ابن عبد الرحمن المستنصر بالله ..**

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
	٣٦٦	٩٧٦	**– وفاة الخليفة الحكم بن عبد الرحمن وخلافة هشام بن الحكم في وصاية الدولة العامرية .**
	٣٨٥	٩٩٥	– حكم غرسيه سانشيز .
	٣٩١	١٠٠٠	– وفاة غرسيه سانشيز ، وخلفه ولده سانشو الكبير .
٧	٤٢٧	١٠٣٥	– وفاة سانشو الكبير ملك نافار بعد أن أوصى بتقسيم مملكته على النحو التالي : ١ – فرناندو : ملكاً على قشتاله وليون وجيليقية . ٢ – غرسيه : أكبر أولاده ، ملكاً على نافار ، الوطن الأصلي . وهو يمتد من غرب البيرنيه حتى منابع الايبرو – نهر ابره – . ٣ – راميرو : ابنه غير الشرعي ، ملكاً على اراغون ، التي تمتد في حيز ضيق موازية لنافار بداية من « باب شيزروا » . ٤ – كونزالو : ملكاً على ولايتي سوبراني وريبا جرسا في أواسط البيرنيه .
٨	٤٢٧	١٠٣٥	على أثر وفاة سانشو الكبير – ملك نافار – أو ملك اسبانيا كما أصبح يلقب نفسه ، توجه برمودو الملك الشرعي لمملكة ليون – اشتوريش – الى مملكته واستطاع استرجاع جزء من أملاكه ،

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			وأقام بلاطاً لمملكته ودارت بينه وبين صهره فرناندو ملك قشتاله حرب طويلة استمرت فترة عامين كاملين .
٩	٤٢٩	١٠٣٧	دارت رحى معركة نهائية وحاسمة بين ملك ليون ، وملك قشتاله انتصر فيها فرناندو ، وقتل برمودو في « تامارون » ونظراً لعدم وجود وريث شرعي ، فقد استولى فرناندو على مملكة ليون بحكم المصاهرة والوراثة وأصبح ملكاً على قشتاله وليون الموحدة ..
١٠	٤٣٠	١٠٣٨	قتل كونزالو – غيلة – وهو عائد من رحلة صيد ، ونادى سكان سوبراني وريباجرسا بأخيه « راميرو » ملكاً على الامارتين فضمها اليه وتوحدت الامارتين والمملكة تحت حكم ملك اراجون ..
١١	٤٣٤	١٠٤٢	وقعت معركة بين راميرو ملك اراغون وأخيه غرسيه ملك نافار بسبب رغبة راميرو في ضم ملك أخيه لمملكته ، لكن المعركة انتهت بهزيمة راميرو ، وفراره ..
١٢	٤٤٦	١٠٥٤	– وقعت معركة بين غرسيه ملك نافار وأخيه راميرو ملك اراغون منجهة ضد أخيهما فرناندو ملك ليون وانتهت المعركة بانتصار فرناندو

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			ومقتل غرسيه واختار فرناندو ابن أخيه غرسيه لملك نافار ولم يقتطع من مملكته شيئاً سوى تعديل بعض القلاع على الحدود .
١٣	٤٤٩	١٠٥٧	عبر فرناندو الأول ملك قشتاله وليون نهري دويره وتورمس واجتاح لوزيتانيا،قاصية أراضي المسلمين من الشمال الغربي وكانت تابعة لمملكة بطليوس ، فاستولى عليها ..
١٤	٤٥٤	١٠٦٢	قام فرناندو الأول بعدوان جديد على بلاد المسلمين وأغار على مدينة سالم واوسيدا وطلمنكه ووادي الحجارة وقلعة النهر ، فاستغاث أهلها بالمأمون ابن ذي النون صاحب طليطله فجمع المأمون مقادير كبيرة من الذهب والفضة وفاخر الأقمشة وسار بنفسه الى معسكر الملك النصراني وقدم اليه الهدايا وأعلن اعترافه بطاعته وتعهد بأداء الجزية – وكانت المرة الأولى التي يدفع فيها حكام المسلمين الجزية لملوك الافرنج في الاندلس .
١٥	٤٥٥	١٠٦٣	عاد فرناندو الأول لتنفيذ عدوان آخر ، فهاجم مملكة اشبيلية وأرغم المعتمد بن عباد على أن يحذو حذو المأمون فيعترف بسيادته ويدفع له الجزية .
١٦	٤٥٦	١٠٦٤	سقطت قلمريه في قبضة فرناندو الأول .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
	٤٥٧	١٠٦٥	**توفي فرناندو الأول بعد ان قسم مملكته على النحو التالي :**
			١ – سانشو – ولده الكبير – ملكاً على قشتاله وحقوق الجزية على سرقسطه .
			٢ – الفونسو : ملكاً على ليون ، واشتريش وحقوق الجزية على طليطله .
			٣ – غرسيه – ولده الأصغر – ملكاً على جيليقيه والبرتغال وضمهما في مملكة واحدة مع حق الجزية على مملكتي اشبيليا وبطليوس . كما عين لابنتيه قلعتين صغيرتين تحكمانهما بشكل مستقل .
١٧	٤٦٤	١٠٧١	استولى سانشو على ليون وطرد أخاه الفونسو الذي هرب الى طليطله ، وعاش تحت حماية المسلمين .
١٨	٤٦٥	١٠٧٢	استولى سانشو على جيليقية وضمها إلى مملكته .
١٩	٤٦٥	١٠٧٢	دبرت اوراكا مقتل أخيها سانشو ، وساعدت الأخ الثاني الفونسو على استعادة ملكه ، فأصبح الفونسو ملكاً على قشتاله وليون وجيليقيه باسم الفونسو السادس ..
٢٠	٤٧٨	١٠٨٥	استولى الفونسو السادس على طليطله ..
	٥٠٣	١١٠٩	توفي الفونسو السادس .

جـ - نشوء مملكة جيليقيه - اشتوريش - ثم ليون

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			بدأ اسم جيليقيه يتردد في التاريخ الاسلامي منذ الفتح حيث التجأ إلى الجبال شاب ثائر يدعى - بلاي - رفض الخضوع للعرب المسلمين وطارده المسلمون حتى لم يبق معه سوى ثلاثون رجلاً وامرأة ، ثم أخذ في استقطاب المقاومة وتنظيم القوات في معاقله الجبلية وأفاد من فترة حكم - الأمراء - وما رافق ذلك من فتن داخلية فأعاد تنظيم أمور الاقليم الذي يحكمه وكان له مع المسلمين معارك مستمرة ، وعندما توفي تابع صهره ثم أبناؤه دورهم القيادي .
١	١٧٥	٧٩١	تولى حكم جيليقيه الملك العفيف باسم - الفونسو الثاني - وأطلق على مملكته - في الشمال الغربي من الجزيرة - اسم مملكة جيليقيه أو اشتوريش - استورياس - ونقل عاصمة مملكته من الجبال إلى اوفيدو ، وأصبحت حدود المملكة تمتد من غسكونيا شرقاً الى المحيط الأطلسي غرباً ومن خليج غسكونيا شمالاً حتى نهر دويره جنوباً ، ثم استقلت عنها نافار أو - بلاد البشكنش - .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			في عهد هشام بن عبد الرحمن
٢	١٧٩	٧٩٥	– حدثت معركة الصخرة بين العرب المسلمين وقوات جيليقيه وانتهت بهزيمة الفونسو الثاني هزيمة ساحقة .
			في عهد الحكم بن هشام
٣	١٩٣	٨١٠	– عبر الفونسو الثاني بقواته نهر دويره ، وغزا الأراضي الاسلامية ووصل قلمريه واشبونه ..
٤	١٩٤	٨١١	– رد الحكم بهجوم مضاد ، فتقدم عبر وادي الحجاره ، وأخضع جيليقيه .
			في عهد عبد الرحمن بن الحكم
٥	٢٠٨	٨٢٣	– غزا عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث البه والقلاع وأوقع بقوات جيليقيه هزائم منكرة ..
	٢٢٨	٨٤٢	توفي الفونسو الثاني وخلفه ولده راميرو الأول ، رذمير عند مؤرخي العرب .
	٢٣٦	٨٥٠	توفي راميرو الأول وخلفه اردونيو ملكاً على اشتوريش وبردوليا – قشتالة – . وعمل أردونيو على بناء وتحصين ثغور بلاده فأقام – تودة ، وليون ، واسترقة .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٤	٢٥٢	٨٦٦	توفي أردونيو وخلفه ابنه البكر «الفونسو» الذي عرف باسم الفونسو الثالث «أو» الفونسو الكبير. ودفع الفونسو الثالث حدود مملكته حتى جبال البيرنيه شرقاً كما عبر نهر دويرة مرات كثيرة لغزو بلاد المسلمين.
٥	٢٥٨	٨٧١	عقد مؤتمر كهنوتي في « اوفيدو » لاعادة تنظيم الكنيسة الاسبانية.
٦	٢٩٧	٩١٠	تنازل الفونسو عن الحكم لأبنائه بعد سلسلة من المؤامرات ، فكان توزيع السلطة ونظام الحكم كما يلي : ١ ــ جارسيا » أو « غرسيه » الإبن الأكبر « وصياً على العرش. ٢ ــ أردونيو « اردن » ابن الفونسو « ملكاً على جيليقية. ٣ ــ فرويلة « ملكاً على أشتوريش. ــ توفي الفونسو الثالث «بعد ذلك بفترة قصيرة. وأجري تعديل على اسم المملكة فأصبحت تعرف مملكة ليون عوضاً عن جيليقية وأشتوريش. ونقل ابنه « جارسيا » قاعدة المملكة من أوفيدو إلى ليون لموقعها المتوسط بين جيليقية واشتوريش.

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٧	٣٠٢	٩١٤	قـــام أردونيو ، أرذن ، بالاغارة على الحدود الاسلامية ووصل في تقدمه حتى ماردةواستولى على بعض قلاعها . كما احتل أيضـــاً بعض قلاع بطليوس .
٨	٣٠٤	٩١٦	وجـه الخليفة عبد الرحمن الثالث جيشاً بقيادة وزيره أحمـد بن أبي عبدة لغزو مملكة ليون ، فدمر جيش المسلمين الحصون والقلاع وقضى على المقاومات التي جابهته .
٩	٣٠٥	٩١٧	قاد ، اردونيو الثاني ، قواته وهاجم اقليم طلبيرة تالافيرا ، وأحرق مدنه ، فجاء رد الخليفة عبد الرحمن بارسال جيش قوي ، لكن هذا الجيش لم ينجح في اخضاع ليون ، ولحقت بـه الهزيمة وقتل قائده أحمد بن أبي عبده ومعه مجموعة من أفضل القادة. وتعرف هذه المعركة باسم «موقعة شنت اشتبين أو ، سنت استيفان »
١٠	٣٠٦	٩١٨	عاد أردونيو الثاني ، ملك جيليقية وحليفـــه سانشو ملك نافار لغزو ثغور المسلمين .
١١	محرم ٣٠٦	أوائل تموز ٩١٨	قاد الخليفة عبد الرحمن بنفسه جيشـاً كبيراً ، فوصل مدينة أوسمة « وخشمة » فأحرقهـا ، وانتقل إلى قلونية ، فدمرها وأحرقها وتابـع تقدمه ، وسانشو ينسحب بقواته حتى عبر الخليفة

السنة الهجرية	النسة الميلادية	موجز الاحداث
		عبد الرحمن نهر ايبرة، ابرة. فقام سانشوبهجوم مباغت ، لكن الخليفة عبد الرحمن احبط هذا الهجوم وهرب جيش ليون إلى الشمال واعتصم بالمواقع المنيعة ، ولجأ سانشو إلى حليفه أردونيو فجمع الملكان قواتهما، وعندما وصل الخليفة عبد الرحمن في تقدمه حتى مضائق جبال البيرنية ، انقضت قوات جيش ليون ونافار وأوقعا بعض الخسائر في مؤخرة جيش المسلمين ، فانسحب الخليفة عبد الرحمن إلى السهل ، وأقام معسكره ، وتقدمت قوات ليون ونافار ، وخاضت مع المسلمين معركة ضارية انتهت بانتصار المسلمين الذين تابعوا أعمالهم القتالية بتدمير المواقع والمناطق المحصنة .
٣١٣	٩٢٥	توفي أردونيو الثاني ملك ليون وخلفه أخوه فرويلا .
٣١٤	٩٢٦	توفي فرويلا وتنازع الملك ولدا – أردونيو – وهما سانشو والفونسو وشغلت ليون بحروب أهلية استمرت أعواماً .
٣٢٠	٩٣٢	استطاع روميرو انتزاع السلطة وجلس على العرش باسم روميرو الثاني .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٣٣٩	٩٥٠	توفي روميرو الثاني ملك ليون وثارت الحرب بين ولديه ـ أردونيو وسانشو .
٣٧٢	٩٨٢	استولى على حكم ليون برمودو الثاني .
٣٩٠	٩٩٩	توفي برمودو وخلفه ابنه الفونسو بوصاية منديث كونثالث .
٤١٦	١٠٢٥	شكل الفونسو الخامس مجلساً دستورياً لوضع دستور للمملكة ووضعت القوانين التي أصبح بموجبها الحكم وراثياً .
٤١٨	١٠٢٧	توفي الفونسو الخامس فخلفه ولده برمودو الثالث.

* * *

القسم الرابع

الفصل الثالث

عصر القوة في الاندلس

الردع في عهد عبد الرحمن الثالث

١ ـ غزاة موبش :

١ً ـ الوضع العام : آ ـ الموقف في الشمال .

ب ـ الموقف في الدولة العباسية .

ج ـ الموقف في بيزنطه .

د ـ الموقف على الحدود الجنوبية للاندلس .

٢ً ـ الوضع الخـاص .

٣ً ـ غزوة موبش ـ مسيرة العمليات .

٢ ـ غزوة بنبلونه :

١ً ـ الوضع الخـاص قبل المعركة .

٢ً ـ مسيرة الأعمال القتالية .

٣ ـ معركة الخنـــدق « غزاة القدره » .

ـ موجز الأحداث .

١ً – الوضع العــام .
٢ً – الوضع الخـاص .
٣ً – مسيرة الأعمال القتالية .
٤ً – نتائج المعركـــة .

الردع في عهد « الحكم المستنصر »

١ – الوضع العـــام .
آ – الموقف في دول الشمال .
ب – الموقف في الجنوب .
٢ – الوضع الخـاص .
٣ – الأعمال الاستفزازية وعمليات الردع المضاد .
٤ – احباط غزو النورمان .
٥ – عملية الردع في غزو « غرماج » .
آ – التحـــدي .
ب – الهجوم الغادر الثاني .
ج – مؤتمر الحرب .
د – العرض والاستعراض .
هـ – الاعداد للمعركة الحاسمة .
و – المعركة الحاسمـــة .
ز – استثمـــار الظفر .
ح – معركة ثانوية على أبواب سرقسطه .

تصعيد استراتيجية الردع في عهد الحاجب المنصور

١ – قتـــال مستمر .
٢ – غزوة شنت ياقب .
آ – الوضع العــام .

ب – الوضع الخــاص .

ج – مسـيرة العمليـات .

٣ – منجزات الحاجب المنصور وأسلوب عمله .

الغزو المضاد ما بعد المنصور ، وبداية حركة الاسترجاع

١ – ديركلوني قاعدة تنظيمية في الحرب الصليبية .

٢ – اجتماع كايرمونت واعلان الحرب الصليبية .

٣ – استراتيجية حركة الاسترجاع .

٤ – المنطلقات الأساسية لاستراتيجية الاسترجاع .

٥ – الحرب الصليبية في الشرق والغرب .

قراءات

– عبد الرحمن الداخل .

– هشام بن عبد الرحمن .

– الحكم بن هشـام .

– عبد الرحمن بن الحكم .

– محمد بن عبد الرحمن .

– المنذر بن محمد .

– عبد الله بن محمد .

– عبد الرحمن بن محمد .

– الحكم المستنصر .

– الحاجب المنصور .

الردع في عهد عبد الرحمن الثالث

٣٠٠ - ٣٥٠ هـ = ٩١٢ - ٩٦١ م

١ - غزاة موبش - ٣٠٨ هـ - ٩٢٠ م

١ - الوضع العام :

كان عهد عبد الرحمن الثالث الناصر هو عهد ازدهار الاندلس قوة وعمراناً وعلماً وعرفاناً ، واصبحت قرطبة في عهده عاصمة « الدنيا » يقصدها الملوك والأمراء ، وتحج اليها الوفود ، وينزل بها السفراء فيجدون فيها الحضارة والتطور ، وان معرفة هذه الفترة تتطلب استعراض الوضع العام في الدول المجاورة بالدرجة الاولى والدول الكبرى في تلك الفترة بالدرجة الثانية .

آ - الموقف في الشمال : تعاقب على حكم الدولة الكارولنجية خلال فترة الفتح الاسلامي للاندلس : شارل مارتل ٦٩ - ١٢٤ هـ - ٦٨٨ - ٧٤١ م ، وابنه بيبان الحاسم ١٢٤ - ١٥١ هـ = ٧٤١ - ٧٦٨ م ، ثم شارلمان الكبير ١٥٥ - ١٩٩هـ = ٧٧١ - ٨١٤م ، وجاء بعد ذلك لويس التقي١٩٩ - ٢٢٦هـ = ٨١٤ - ٨٤٠ م[١] ، وكان لويس ضعيفاً بحيث أخذت المملكة الكارولنجية تسير في طريق الضعف .. وعندما توفي لويس الضعيف « التقي » خلفه ابنه الأكبر لوثر[٢] فاتفق ضده اخويه لويس الجرماني[٣] وشارل الأصلع وحدثت بين

....

(١) لويس التقي Louis Le Pieux ، ويسمى لويس الأول لتمييزه عن لويس الثاني ٨٢٢ - ٨٧٥م والذي أصبح ملكاً لايطاليا عام٨٤٤م وامبراطوراً للغرب عام ٨٥٠ - ٨٧٥م وهذا ابن لوثر الأول ، ثم لويس الثالث « الأعمى » والذي أصبح امبراطوراً للغرب بين عام ٩٠١ و ٩٠٣م .

(٢) لوثر الأول : Lothaire 1er .

(٣) لويس الجرماني : Louie De Germanie .

الأخوين المتحالفين وأخيهما لوثر الأول معركـة في فونتينوي Fontenoy التي انتهت بانتصـــار الأخوين وارغام لوثر على تقسيم المملكة الكارولنجية بموجب اتفاقية فردان على النحو التالي :

– مملكة الفرنجة الغربية ،تحت حكم شارل الأصلع[1] وتضم حدود فرنسا الحالية باستثناء برجنديا والبروفانس والالزاس واللورين ..

– مملكة الفرنجة الشرقية ، تحت حكم لويس الجرماني وتضم حـدود المانيا الغربية حالياً .

– المملكة الوسطى ، وبقيت تحت حكم لوثر وهي تضم القسم الأكبر من الأراضي المنخفضة واللورين وبرجنديا والنصف الشمالي من ايطاليا ..

– في عام ٢٤٢ هـ – ٨٥٥ م توفي لوثر الأول بعد أن قسم مملكته بـين أبنائه الثلاثة على النحو التالي :

١ – مملكة ايطاليا ، وملكهـا لويس الثاني الذي خلف والده لوثر في الامبراطورية .

٢ – مملكة لوتارنجيا[2] ، وملكها لوثر الثاني .

٣ – مملكة البروفانس وليون ، وملكها شارل (المصاب بالصرع) .

في عام ٢٥٦ هـ – ٨٦٩ م توفي لوثر الثاني ملك لوتارنجيا فقسمت أملاكه بين شارل الاصلع ولويس الجرماني بموجب اتفاقية تقسيم مرسين[3] وتم تنفيذ ذلك في عام ٢٥٧ هـ – ٨٧٠ م ، كما انهما اقتسما أيضاً بالاتفاق فيما بينهما قسماً كبيراً من الاراضي التي كانت من نصيب شارل « المصاب بالصرع » والتي سبق تقسيمها بين لويس الثاني ولوثر الثاني ..

....

(١) شارل الأصلع : Charles Le Chauve أو شارل الثاني .

(٢) لوتارنجيا : Lothairingia .

(٣) مرسين : Partition of Meersen .

في عام ٢٦٢ هـ - ٨٧٥ م توفي لويس التاني ، وحاول كل من شارل ولويس الجرماني الحصول على التاج الامبراطوري ، وقد نجح شارل في هـذه المحاولة .

وفي عام ٢٦٣ هـ - ٨٧٦ م توفي لويس الجرماني فأسرع شارل في محاولتـه للحصول على نصيبه من اقليم لوتارنجيا ، ولكن ابن لويس «لويس الثاني الصغير» هزمه في اندرناخ ، وأحبط له محاولته ..

في عام ٢٦٤ هـ - ٨٧٧ م توفي شارل وخلفه ابنـه الضعيف « لويس الثاني المتلعثم » الذي توفي بعد ذلك بعامين ، ثم لم تمض فترة طويلة حتى توفي لويس الثاني (ولويس الثالث وكارلومان) أبناء لويس الثاني فتم انتخاب شارل البسيط أو شارل البدين وهو أخ لويس الثاني امبراطوراً على كل من مملكتي الفرنجـة الشرقية والغربية ..

في عام ٢٧٤ هـ - ٨٨٧ م ، قامت ثورة عامة في مملكتي الافرنـج انتهت بانتخاب أرنولف الكارنثي ملكاً على المانيا ، وأود ملكاً على شمال فرنسا ، كما أقيمت ممالك مستقلة في كل من بروفانس وبرجنديا وايطاليا [١] .

ان الاستعراض السريع للمراحل السابقة يظهر [**بدايـــة ظهور اوربا ومعاناتها من الانقسام والتجزئة . وبديهي ان هذه التطورات لم تمر دون صدام مسلح بين افراد العائلات المالكة ، مما جعل دول الافرنج اكثر اهتماماً بأمورها الداخلية مما كان يجري حولها . وكانت السلطة الوحيدة التي تتابع التطورات بحذر ويقظة هي السلطات الكنسية . فهي التي كانت تحاول باستمرار ايقاف الصدام ضمن حدود ضيقة ، وتذكر بالاخطار الخارجية ، وتحاول تكتيـــل القوى ضد العرب المسلمين في الاندلس .**]

ب - الموقف في الدولة العباسية :

في عام ١٩٣ هـ : توفي هارون الرشيد ، وكان عهده يمثل الفترة الذهبية في

(١) المصدر : Nouveau-Larousse Illustré-1653 .

حياة الدولة العباسية ، ولم تلبث الامور أن تطورت بعد وفاته الى حرب بين الاخوين المأمون والأمين .

في عام ١٩٨ هـ - ٨١٣ م : قتل الأمين بن هارون الرشيد ، وانتصر المأمون وكان انتصاره نجاح كبير للعنصر الفارسي وهزيمة للعنصر العربي .

- وفي عام ٢١٨ هـ - ٨٣٣ م : توفي المأمون وخلفه المعتصم فاستعاض عن العنصر الفارسي بالعنصر التركي .

- وفي عام ٢٢٧ هـ - ٨٤١ م : توفي المعتصم وخلفه الواثق بالله .

- وفي عام ٢٣٢ هـ - ٨٤٦ م توفي الواثق بالله وخلفه المتوكل على الله .

- وفي عام ٢٤٧ هـ - ٨٦١ م : قتل المتوكل وخلفه المنتصر بالله .

- وفي عام ٢٤٨ هـ - ٨٦٢ م : توفي المنتصر وخلفه المستعين بالله .

ولا حاجة بعد ذلك لمتابعة مسيرة الاحداث في بغداد ، وسامراء . فقد شغلت الدولة العباسية بمتاعبها الداخلية والثورات المضادة التي اشتعلت في كل مكان والتي انتهت بتمزيق الدولة العباسية الى ممالك وامارات مستقلة حتى لم يبق للخليفة العباسي من الخلافة سوى اسمها .

كان من أهم الأحداث التي جابهتها الدولة العباسية في هذه الفترة ، ثورة الزنج طوال الفترة بين ٢٦٢ - ٢٧٠ هـ - ٨٧٥ - ٨٨٣ م .

ثم ظهور القرامطة ٢٧٧ هـ - ٨٩٠ م وتزايد قوتهم بحيث سيطروا على شبه الجزيرة العربية ووصلوا مكة عام ٣١٧ هـ - ٩٢٩ م مع تعاظم نفوذ بيزنطة ، وتصعيد عملياتها في الشام .

نتيجة لذلك فانه لم تعد لدى الدولة العباسية القدرة على تشكيل خطر يتهدد الامويين في الاندلس ..

ج - الموقف في بيزنطة :

استمرت « استراتيجية المحاور » التي وضعها شارلمان سارية المفعول فكانت

الاتصالات تستأنف بين فترة وأخرى تبعاً للظروف ، والمواقف، وحسبما تكون عليه بيزنطة من القوة ، فاذا أصبحت قوة بيزنطة تشكل تهديداً للغرب ، وكان الحكم العباسي قوياً تزايدت روابط الصداقة قوة بين الغرب وبغداد وتعود لتدعيم محور « حلفها » فتعمل القسطنطينية بالمقابل على تدعيم روابطها بالأندلس لتشكل تهديداً موجهاً ضد جنوب أوربا مع توفير مناخ الحرية للعمل ضد « بلاد الشام » ولتوجيه ضربات قوية في اتجاه الثغور مع تطوير العمليات إذا كان الموقف ملائماً للتوغل الى قلب بلاد الشام والجزيرة .

د - الموقف على الحدود الجنوبية للاندلس :

- كانت افريقية والمغرب الأقصى منها بصورة خاصة مصدر تهديد قوي ضد الاندلس في مرحلة نشوئها وتطورها ولكن هذا الخطر أصبح ضئيلاً بعد أن تكونت قناعة عند الدولة العباسية بفشل محاولاتها ، وبعد أن شغلت الدولة العباسية بشؤونها الداخلية ومتاعبها الخاصة . ولكن ومع زوال هذا الخطر ، ظهر خطر جديد هو انتشار الدعوة الشيعية في المغرب وكان خطر هذه الدعوة يتهدد بصورة غير مباشرة الاندلس مما سيحمل الأمراء والخلفاء الأمويين في الاندلس على توجيه قسم من مجهودهم نحو الجنوب لضرب حركة الشيعة في المغرب وعدم السماح لها بالوصول إلى الأندلس .

٢ً - الوضع الخاص :

تسلم الأمير عبد الرحمن الثالث حكم الاندلس، والبلاد في حالة من الفوضى، فالتمزق الداخلي قد جعل من كل مدينة دولة مستقلة ، ومن كل اقليم امارة منفصلة ، وكانت الحروب الداخلية التي استمرت طوال عهدي المنذر وأخيه عبد الله ٢٧٣ - ٣٠٠هـ = ٨٧٦ - ٩١٢ م قد أرهقت البلاد وأفقرتها واستنزفت كامل قوتها .

وكانت الدول النصرانية في الشمال (« ليون - أو - جيليقيه » و « نافار

ـ أو ـ البشكنش ») تتابع مسيرتها نحو بنـــاء قوتها الذاتية مستفيدة من التناقضات الداخلية وعاملة على دعم « الثورات المضادة » ضـد دولة قرطبة .. وكانت دولة ليون ـ أو ـ جيليقيه ، قد أصبحت من أقوى دول الشمال ، بحيث شملت حدودهـا المنطقة الشمالية الغربية من الاندلس بـين المحيط ونهر دويره ، ولهذا فقد أخذت هذه الدولة على عاتقها زعامة الدول الشمالية لممارسة عمليـــة الصراع ضد العرب المسلمين ، وكانت أول خطواتها تحرير الثغور والمدن المتاخمة لحدودها بحيث لم يبق في مـدن استورقه وسموره وشلمنقه وشقعوبيه وميرانده وغيرها وجود للعرب المسلمين .

وأقام « الفونسو الثاني » مجموعة من القلاع والتحصينات على امتداد حدود بلاده لمجابهة الأعمال الهجومية للعرب المسلمـين والانطلاق من هـــذه القلاع والتحصينات – في الوقت ذاته – لضم أقاليم جديدة وانتزاع بـلاد أخرى من العرب المسلمين .. وقد اتبع « الفونسـو الثاني » ومن بعده « غرسيه » أسلوباً خاصاً لمجابهة المسلمين في الثغور ، وكان هـــذا الأسلوب يعتمد في أساسه على « استراتيجية الأرض المحروقـة » وقتل النساء والأطفـال والشيوخ في اغارات قصيرة وحاسمة ، واخضاع السكان لظروف نفسية قاسية يستحيل عليهم معهـا البقاء على حدود الشمال ، والاستمرار في الاستيطان عند الثغور ..

كان الأمير عبد الرحمن يفضل دونما ريب عدم الدخول في معارك مـع دول الشمال حتى يتفرغ لتصفية أعمال التمرد في الجنوب بحيث يستطيع تركيز جهده بكامله للانطلاق في عمليات حاسمة ضد الشمال ، والدليـل على ذلك هو قيادته بنفسه لبواكير العمليات ضد حركات التمرد ولما يمض على تسلمه السلطـة سوى أشهر قليلة لكن دول الشمال لم تترك له هذه الفرصة ، وبدأت على الفور ممارسة عمليات « السبر » ثم طورت عملياتها فانطلق « اردونيو الثاني » ملك ليون بهجوم كبير في عام ٣٠٢ هـ – ٩١٤ م ، ووصل بهـــذا الهجوم حتى مدينة

« مارده » فاستولى على بعض القلاع وأباد الحاميات المدافعة عنها وسبى النساء والأطفال ثم تابع تقدمه حتى « بطليوس » فأرسل أهلها وفداً محملا « بالفدية » مظهراً الطاعة وعاد « اردونيو » من هجومه مثقل بالغنائم دون أن يصطدم بقوة حقيقية .

– كانت منطقة مارده من المناطق الثائرة باستمرار ، ووجد الأمير عبد الرحمن الفرصة مناسبة لاظهار التلاحم بين المسلمين في الأندلس ضد عدوهم المشترك فوجه جيشاً بقيادة وزيره وقائده أحمد بن أبي عبده مع بداية عام ٣٠٤ هـ – ٩١٦ م وذلك بمهمة « ردع العدوان » والهجوم على مملكة « ليون » .

– انطلق أحمد بن أبي عبده بجيشه الكبير ، واصطدم بجيش ليون في مجموعة من المعارك الثانوية التي نجح في تحقيق انتصارات متتابعة خلالها وغنم غنائم كثيرة وعاد من عملياته بعد أن ألحق أضراراً كبيرة في ممتلكات ليون وأراضيها .

– في عام ٣٠٥ هـ – ٩١٦ م : قاد اردونيو الثاني من جديد جيشاً كبيراً وركز جهده على اقليم « طلبيره – تالفيرا » ولم يغادر الاقليم إلا بعد أن ترك المدن حرائق مشتعلة والقرى ركاماً من الدمار ، وحدثت نتيجة لذلك نقمة عامة ضد قرطبة لعجزها عن القيام بهجوم وقائي ، يوفر للسكان الحماية والأمن ..

– أمام هذا الموقف وجد الأمير عبد الرحمن نفسه مرغماً على تركيز الجهد في عمليات الشمال ، فوجه جيشاً قوياً بقيادة أحمد بن أبي عبده أيضاً ، ولممارسة الواجب ذاته ..

– كانت قلعة « كاسترو موروس » قاشتر – مورش » أو سنت استيفان من أقوى قلاع الشمال وأكثرها تحصيناً ، ولهذا أراد القائد أحمد بن أبي عبده احراز نصر حاسم في عمليات الردع وذلك باحتلال هذا الثغر ، فتوجه بجيشه وحاصر قلعة سنت استيفان ، ومضت فترة أوشكت فيه الحامية على الاستسلام وفي هذه المرحلة وصلت قوات ليون بقيادة اردونيو ، وكانت تتفوق على قوات

المسلمين تفوقاً ساحقاً .. وانطلق اردونيو بهجومه ، ولم ينجح جيش قرطبة أن يصمد لقوة الصدمة ، فبدأ بالتراجع والانسحاب وصمد القائد أبي عبده ومعه مجموعة من قادته واعداد قليلة من المقاتلين فأبيدوا ابادة تامة ، واستطاعت بقية القوات أن تنسحب بكامل قواتها وعتادها ، في حين تذكر المصادر الأندلسية ان هزيمة المسلمين في هذه المعركة كانت هزيمة منكرة بحيث غطت جثث قتلى المسلمين جميع السهول والتلال والغابات بين دويره و ايتنزا « انيشه »[1]...

كان انتصار اردونيو ملك ليون في « سانت استيفان » حافزاً لدفع سانشو « شانجه » ملك نافار ، للقيام بعمليات مماثلة ، وفي ربيع ٣٠٤ هـ - ٩١٨ م ، انطلقت قوات الحلف المكون من ملكي ليون ونافار ، للقيام بهجوم جديد قبل مضي أشهر قليلة على الهجوم السابق وقبل أن تتمكن قرطبة من تضميد جراحها . ووصلت قوات الشمال الى « ناجره ـ أو ـ ناجيرا » وطليطلة فأعملت في أقاليمها هدماً واحراقاً وسبياً واستولى « سانشو » على مدينة «بلتيره ـ أو ـ فالتيرا » فأحرق مسجدها وأذل أهلها قتلا وسبياً ، وأعمل في بنيانها تدميراً واحراقاً ..

– لم يكن باستطاعة عبد الرحمن الناصر ـ البقاء في مواقع السلبية – فوجه جيشاً كبيراً بقيادة حاجبه « بدر بن أحمد » بمهمة ردع العدوان ، ووجه رسائل الى الأقاليم لتوجيه القوات من أجل دعم الجيش ، وأسرعت حاميات الثغور وقوات الأقاليم في الانضمام الى الجيش .

– كانت مملكة ليون ومملكة نافار على علم بتحرك قوات المسلمين، وكانت قوات المملكتين قد أكملت استعداداتها وزجت بكل امكاناتها في انتظار وصول جيش قرطبة إلى حدود مملكة ليون ..

– اندفعت قوات المسلمين في اجتياز مملكة ليون كالسيل المدمر، فانسحبت

---

(١) البيان المغرب ٢ / ٢٦٠ - ٢٦٦ و
Histoire Des Musulman En Espagne II-P. 117.

مفارز الاستطلاع والمراقبة واعتصمت بالمواقع الجبلية الحصينة ، وأسرع فرسان المسلمين الى هذه القوات فمزقتها وأرغمتها على ترك مواقعها . ثم تقدم المسلمون حتى وصلوا الى مسافة قريبة من « مطونيه » حيث دارت رحى معركتين كبيرتين في يومي الثالث والخامس من ربيع الاول سنة ٣٠٦ هـ - ١٣ - ١٥ آب اغسطس سنة ٩١٨م ، وأظهرت قوات ليون تصميماً كبيراً لكن قوات المسلمين نجحت في احراز النصر وسحق قوات العدو وهزيمتها هزيمة منكرة بحيث لم تتمكن سوى مفارز قليلة في التخلص من ميدان المعركة والانسحاب بعيداً عن مسرح العمليات ، ثم عاد جيش المسلمين الى قرطبة وهو يرفع رايات النصر ..

- على الرغم من هذه الهزيمة ، فقد تابعت قوات ليون ونافار عملياتها العدوانية على الثغور والحدود الشمالية ، كما استمرت أعمال الردع ، ولكن هذه العمليات المحدودة والمستمرة لم تحقق نتيجة حاسمة في اقناع الشمال بايقاف أعماله العدوانية ، فقرر « الناصر » تصعيد عمليات الردع وقيادتها بنفسه ، لا سيما بعد أن وصلته رسائل من اردونيو ، تتهدده باجلائه عن الأندلس [**بمواعيد وعدها من نفسه ..**] فأظهر عبد الرحمن الناصر ، قبول التهديد ، وأضمر الكيد له ، وأخذ في الاعداد لمعركة حاسمة مع خصمه - ملك ليون - .

٣ - غزوة موبش - مسيرة العمليات - :

- في محرم ٣٠٨ هـ - حزيران ٩٢٠ م ، وبعد اتخاذ اجراءات العمليات ضمن نطاق محكم من السرية ، انطلق الأمير عبد الرحمن على رأس جيش المسلمين حتى وصل مخاضة الفتح بعد أربعة أيام من المسير المتصل .. وفي « مخاضة الفتح » استقبل عبد الرحمن الناصر كتاباً من عامل « مدينة الفرج » للاعلام عن قيام جيش « جيليقيه » بعدوان كبير على ريف « المدينة » وأنه استولى على ما فيه من خيول وماشية ، ثم تابعوا تقدمهم حتى وصلوا « حصن القليعه » الواقع على مسافة قريبة من « مدينة الفرج » ، وعند ذلك تم حشد كل الامكانات المتوفرة واندفع جميع أهل المدينة من فرسان ومشاة « رجاله » لمجابهة العدوان ودارت

معركة قاسية انتهت بانتصار المسلمين انتصاراً حاسماً وبدأ جيش جيليقيه بالانسحاب فاندفع فرسان المدينة لمطاردته واستمرت أعمال المطاردة وابادة قوات الخصم طوال النهار ..

– تابع عبد الرحمن الناصر تقدمه نحو الشمال ، في الوقت الذي كانت فيه الحشود وقوات الدعم تتلاحق بصورة مستمرة من سائر أقطار الاندلس، وتنضم الى جيش الناصر ، حتى وصل الى مدينة طليطلة ، فكان في استقباله لب بن الطربيشة على رأس حامية المدينة ، ثم انضمت قوات طليطلة الى جيش الناصر الذي استمر في تقدمه حتى وصل مدينة الفرج ، حيث توقف فيها لاعادة تنظيم قواته ، وتعبئة جيشه ، واستأنف بعد ذلك مسيرته فوصل مدينة سالم واحتلها وانطلق منها في اتجاه « البه والقلاع » [.. **وطوى من نهاره ثلاث مراحل.. حتى احتل بوادي دويره ..**]

– ارهقت هذه المسيرة المديدة جيش قرطبة ، وعلى الرغم من ذلك فقد أسرع عبد الرحمن الناصر لاعادة تنظيم قواته مستفيداً من التوقف الليلي ، ثم وجه مع أول ضوء قوة من الفرسان [**في جرائد الخيل وسرعان الفرسان**] بقيادة وزيره سعيد بن المنذر بمهمة احتلال حصن « وخشمه »[1] .

– كان ظهور قوة فرسان المسلمين في وادي دويره مباغتاً لقوات جيليقية ، وعمل سعيد بن المنذر على توجيه مجموعات صغرى من الفرسان في طرفي الوادي في الوقت الذي كان فيه أهل الوادي والمدافعين عنه على غير استعداد قتالي ودونما حالة انذار مسبق [**.. ففشيتهم الخيل المغيرة على حين غفلة وأصابوا نعمهم وسوامهم ودوابهم وهي مسرحة مهملة، فاكتسحوا جميع ذلك وانصرفوا الى العسكر سالمين غانمين ..**][2] .

– أفادت بقية قوات جيش قرطبة من نهار التوقف، ومن توفر الحماية بانطلاق

....

(١) وخشمة ، أو ، اكشومة Osma على نهر دويرة شرق شنت اشتبين .

(٢) البيان المغرب ٢٦٤/٢ .

مجموعة الفرسان الى وادي دويره ، فتمت اعادة التنظيم وأخذ الجميع قسطاً من الراحة وعندما عاد المنذر من عملياته في نهاية نهار يوم الخميس ١١ صفر ، اطلع الأمير عبد الرحمن الناصر على الموقف ، وفي صباح الجمعة ، انطلق فرسان المسلمين [.. **وهم في أكمل تعبئة وأهذب ترتيب وأوكد ضبط وأبلغ حزم .. الى حصن وخشمه ..**]

– لم تكن الحامية المدافعة عن حصن وخشمه تتوقع مثل هذا الهجوم المباغت وبمثل هذه القوة ، فعملت على اخلاء الحصن والانسحاب منه [**.. الى الغياض الأشبه والصخور المنقطعة ..**] واقتحم المسلمون الحصن فوجدوه خالياً فغنموا جميع ما فيه ، وأضرموه ناراً ، وانسحبوا منه ..

– توقف الناصر ليلة واحدة عند حصن وخشمه ، وفي صباح اليوم التالي انطلق الى « حصن قاشتر ـ مورش »[١] ، وكانت المعلومات قد تسربت عن سقوط «حصن وخشمه» ، ووجدت الحامية المدافعة عن قاشتر مورش ، انها لا تستطيع الصمود لزحف جيش المسلمين فقامت بالجلاء عن الحصن، وتخلوا عنه دون دفاع ، فدخله المسلمون ، وغنموا ما فيه ، وانطلقت مجموعات الى حصن القبيلة المجاور له ، فدمروه. وفي الوقت ذاته كانت بقية مجموعات الفرسان تنطلق في كل اتجاه لتدمير جميع الحصون والقلاع ، [**حتى لم يترك لأعداء الله في تلك الجهة نعمة يأوون اليها ..**]

– وفي صبيحة اليوم التالي ، انتقل أمير المؤمنين ، عبد الرحمن الناصر من شرق قلعة «قاشتر ـ مورش» الى غربيها وليس بين الموضعين سوى ميل واحد.. ونظم مجموعات الفرسان لمتابعة أعمال الاستطلاع ، ومطاردة فلول قوات العدو في كل اتجاه ..

(١) قاشتر مورش ، و، شنت اشتبين : San-Esteban . كان من الثغور الرئيسية الشمالية، وكانت القوات الشمالية تستخدمه للانطلاق في عملياتها الهجومية ضد ثغور المسلمين ومدنهم وتعرف أيضاً باسم : Castro-Muros .

– كانت « قلونيه »[1] من أمهـات المدن التي تستخدمها – مملكة نافار – للاغارة على حدود المسلمين ، فوضع المنصور مخططه للسير اليهـا وتدميرها ، وكانت هذه المدينة تقع على محور تحركه نحو تطيله التي أراد الناصر دعمهـا استجابة لطلب الحامية المدافعة عنها بعد أن تعرضت لكثير من هجمات نافار بقيادة « سانشو – شانجه » ملك نافار ..

– توجه عبد الرحمن الناصر بجيشه في اتجاه « قلونيه » ، فلم يصطدم بمقاومة كبيرة وتقدم عبر القرى المتناثرة ، فغنم جميع ما كان فيها ، وعندما وصـل المسلمون « قلونيه » كان أهلها قد تركوها، والتجأوا الى الجبال المجاورة،فانطلق الجند الى المنازل والأبنية والكنائس يدمرونها ويحرقونها ويغنمون ما فيهـا ، واستمرت أعمال التدمير طوال أيام ثلاثة [**بهـدف المطاولة لنكاية المشركين وانتساف نعمهم ..**]

– عرف الناصر ، ان عامل المباغتة قد زال تأثيره بدليل اخلاء المـدن والقرى التي سار خلالها بجيشه ، وعرف أيضـاً ان المسير المستمر طوال الفترة السابقة قد أرهق جنده ، فأخذ الناصر بالرفق في نهوضه .. وسـار على محور مواز لوادي نهر دويره حتى قطع صحراء الشمال في خمسة مراحل وصل بعدها الى اقليم تطيله حيث كان « محمد بن لب » عامل الاقليم في انتظاره ، فوجه مجموعة قتالية من الفرسان بقيادته للاغارة على حصن قلقره[2] .

– قاد محمد بن لب المجموعة القتالية الى حصن قلقره ، فوجـد أن الحامية المدافعة عنها قد غادرته ، فاحتله المسلمون ، وفي الوقت ذاته قاد الناصر بقيـة

....

(١) لم تحدد المصادر موقع هذه المدينة بدقة ، ولكن وصف مسيرة العمليات في البيان المغرب ٢٦٦/٢ ، مع تحديد مسافات السير ، يحمل على الاعتقاد بان قلونية هي قلعة النور ، الواقعة شمال شرق « وخشمة ، أو سمة » .

(٢) قلقرة ، أو ، ركلة Ricla في موقع متوسط بين روطة ، وقلعة أيوب على رافـد نهر ابرة .

الجيش الى حصن قلهره[1] ، ولم تحاول الحامية المدافعة عن الحصن مجابهة تقـدم المسلمين ، بل عملت على الانسحاب والجـلاء عن الحصن الذي دخله المسلمون ، وأخذوا في تدمير منشآته ومراكزه طوال يومين كاملين ..

- كانت العمليات السابقة كلها جنوب وادي « نهر ابره » ، وعنـدما تم للمسلمين تدمير قلهره ، أمر قواته بعبور النهر .. واندفعت المقدمة لحماية العبور في الوقت الذي استمر فيه تدفق القوات نحو الشمال. وفي هذه الفترة انطلق ملك نافار «شانجه» بهجوم قوي محاولاً تحطيم مقدمة المسلمين فاندفعت قوة الفرسان في المقدمة ، وجابهت الهجوم واستطاعت احباطه بسرعة ، فأخـذت قوات « سانشو - شانجه » بالانسحاب ، ولكن قوات المقدمة ألقت بثقلها في المعركة ونجحت في تحويل الانسحاب الى هزيمة وانطلق الفرسان في مطاردة فلول قوات العدو ، ثم عادت عناصر المقدمة عند توقف القوات بعد العبور ، لاعلام الأمير عبد الرحمن بما حدث واطلاعه على الموقف ..

- خلال هذه الفترة توفرت المعلومات عنـد الناصر ، حول اجتماع قوات مملكتي ليون ونافار ، واسراع « اردونيو الثاني » ملـك ليون و « سانشو شانجه » ملك نافار على زج قواتهما ، عبر المضائق الجبلية بهدف تحطيم المقدمة أو المؤخرة « الساقه » .. ونظراً لأن تقدم القوات سيتم في مناطق جبلية صعبة ، فقد أعاد الناصر تنظيم قواته [**وأمر بتعبئة قواته وضبط اطرافها ..**] وبعد أن أكمل الناصر دعم المقدمة ، والاجناب، والمؤخرة، ودفع مفارز الاستطلاع، انطلق في هجومه عبر اقليم نافار ..

- أوغل الأمير عبد الرحمن الناصر في تقدمه ، وكانت قوات ليون ، ونافار تحتل المرتفعات الشاهقة والمواقـع المحصنة ، وتتابع تحركات جيش المسلمـين ، وحاولت اخضاعهم لحرب نفسية لاضعاف روحهم المعنوية [**وجعلوا يتصايحون** ..

---

(١) قلهرة Calahoria غرب تطيلة على نهر « ابرة » . وفي البيان المغرب ٢٦٧/٢ . (وكان شانجة قد اتخذه معقلا ومسكناً) .

ويولولون ليضعفوا من قلوب المسلمين ..] ثم أخـــذت مفارز « الافرنج » تتعرض لأطراف المسلمين « العناصر الوقائية » واستمر الأمر كذلك حتى تجاوز الأمير عبد الرحمن المناطق الجبلية ووصل منطقة سهلية ، فأمر جيشه بالتوقف، واقامة المعسكر . وهنا أخذت القوات المعادية للمسلمين في التدفق عـبر المعابر الجبلية وبدأ القتـال ، ودارت رحى معارك كبيرة انتهت بهزيمـة قوات ليون ونافار [فهربوا لا يلوون على مكان مضطربهم ، ولا يهتدون لوجه منقلبهم ، والمسلمون على آثارهم يقتلون من ادركوا منهم حتى حجز الظلام بينهم ..]

— كان « حصن موبش » — القريب من ميدان المعركة — ينفرد بمـيزات دفاعية جيدة ، فهرب ما يزيد عن الألف مقاتل إلى هذا الحصن على أمـل أن يجدوا فيه الحماية اللازمة ، فأمر الناصر بدفع « المجانيق » الى الحصن، واستخدام أجهزة الحصار ، وتم تطويق الحصن من جميع جهاته، ثم اندفع المقاتلون فاقتحموا الحصن وقاتلوا داخله وتم استخراج جميع المقاتلين ، وقدموا الى الناصر ، حيث قتلوا جميعاً وغنم المسلمون ما في الحصن من أمتعة وحلية متقنة وآنيـة كثيرة وألف وثمانمائة فرس .. وتوقف الناصر في « المحلة » المجاورة للحصن فترة أربعة أيام [.. يغير جميع ما حواليها من نعم المشركين وثمراتهم ومزارعهم ..]

— كان ملك نافار « سانشو شانجه » قد عمـل على تحصين بقيره[1] ، فعمل الناصر على انهاء عملياته في التقدم الى حصن « بقيره »، ووجد ان الحامية المدافعة عن الحصن قد تركته دون قتال ، فأمر بهدمه ، وازالته ..

— توجه الأمير عبد الرحمن في طريق العودة الى حصون المسلمـين لتفقدها

---

(١) بقيرة : Vigura ، هي الآن تابعة لمدينة لكري أو لوجرونو Logrono ، وتسمى بقيرة أيضاً « فتورية » . وجاء في المقتبس ، ابن حيان ، تحقيق مكي ، ص ٢٠٦ ان موسى ابن موسى القسوي هو مؤسس بقيرة ، وهو الذي عمل على بنائها وتحصينها ثم ضمتها نافار الى بلادها ، وتقع بقيرة على بعد ٩١ كم ، شمال غرب تطيلة.

ودراسة متطلبات أهلها ، وتدعيم حامياتها ، وكلما ألفى بقرب حصون المسلمين معقلاً للمشركين أمر بهدمه واحراق ما يحيط به [.. **حتى لقد اتصل الحريق في بلاد المشركين عشرة اميال في مثلها ..**] واجتمع عند الناس من الأطعمة والخيرات ما عجزوا عن حمله .

– انتهت جولة الناصر في « انتيشه »[1] فتوقف بها يوماً واحداً ، اجتمع فيه الى قادة الثغور ، وأذن لهم بالتفرق والعودة الى قواعدهم بعد أن قدم لهم الهدايا المناسبة ، ثم دخل قرطبة بعد أن استمرت غزوته هذه ثلاثة أشهر ..

٢ – غزو بنبلونه – عاصمة نافار –
٣١٢ هـ – ٩٢٤ م

أ – الوضع الخاص قبل المعركة :

استطاع « سانشو شانجه » ملك نافار ، أن يعيد تنظيم قواته بسرعة ، ولا ريب في ان مملكة ليون قد قدمت له دعماً قوياً ليتمكن من التغلب بسرعة على الرواسب التي تركتها الهزيمة المنكرة في معركة « موبش »الكبرى .. وكان من بعض ما تركته هذه المعركة هو حدوث انهيار عند سكان الثغور المتاخمة لحدود بلاد المسلمين ، ولهذا فقد عمل « سانشو » على معالجة هذا الانهيار بممارسة أعمال عدوانية من جديد على حدود المسلمين فانطلق في عام ٣١١ هـ – ٩٢٣ م على رأس جيش كبير في اتجاه « بقيره » ..

– كانت الحامية المدافعة عن بقيره بقيادة « ابن لب » وكان مع ابن لب مطرف بن موسى ذي النون ، ومحمد بن محمد – ابن عمه – ووجوه رجالهم ..

---

(١) انتيشة Atienza ، غرب مدينة سالم وفي مدخل وادي الحجارة . ويذكرها بعض المؤرخين العرب باسم « انيجة » الروض المعطار ، (وفيها قتل الحافظ أبو الربيع الكلاعي عام ٦٣٤ هـ : ١٢٣٦ م عند الدفاع عنها قبل أن تسقط في يد الافرنج ، بصورة نهائية). النفح ٤/٤٧٣

– جاء هجوم جيش نافار بقيادة سانشو مباغتاً للحامية المدافعة عن حصن « بقيره » ورغم ذلك فقد استطاعت الحامية الصمود للعدوان لكنها لم تتمكن من الاستمرار في الدفاع ونجح «سانشو» في اقتحام بقيره فعمل على ابادة الحامية وقتل ابن لب وأبناء ذي النون جميعاً ..

– كان عبد الحميد بن بسيل وزير المال في بلاط الامير عبد الرحمن الناصر ، وقد عرف عن ابن بسيل الكفاءة في القيادة ، والقدرة على مجابهة العدوان ، فعمل الناصر على تعيين ابن بسيل لقيادة قوات كبيرة ، بمهمة ردع العدوان .. وقاد ابن بسيل جيشه حتى وصل الثغر حيث وصلت قوات الدعم من الثغر الأقصى أو الثغر الأعلى ، فدخل مدينة تطيله ، وجعلها قاعدة لعملياته .. ثم أخذ الأمير عبد الرحمن الناصر في الاستعداد لتصعيد عمليات الردع من جديد .

٢ – مسيرة الأعمال القتالية :

كانت عمليات الصوائف تبدأ في شهر حزيران – يونيو – وأراد الأمير عبد الرحمن تحقيق المباغتة والاسراع في تنفيذ عملية الردع ، والثأر لمقتل بني لب وبني ذي النون في حصن « بقيره » فخرج لغزوته مبكراً عن عادة تحرك الصائفة ، وغادر قرطبة على رأس جيشه الكبير في يوم الخميس ٣ ذي الحجة ٣١٢ هـ ، الموافق ١٢ شباط – فبراير ٩٢٤م ، وأقام معسكره قريباً من قرطبة وانصرف الى اعادة تنظيم القوات واعدادها للمعركة ، وبعد ٤٣ يوماً من الاستعداد ، وفي يوم ١٦ محرم – ٢٧ نيسان – ابريل ، غادر الجيش الكبير منطقة الحشد في قرطبة وتوجه الى « بالش »[1] حيث توقف فيها يومين .

اكتشف الامير عبد الرحمن الناصر تهاوناً في الاستعداد القتالي وقصوراً في الحماسة ، وأفاد من توقفه في « بالش » لمعالجة هذه الظواهر [.. وتوجيه اللوم

---

(١) بالش ، ابن عذارى ٢/٢٧٨ ، وفي المغرب ونفح الطيب « بليش » Velez-Malaga ، قريباً من مالاقا على البحر الأبيض المتوسط . اشتهرت بثمارها وتينها بصورة خاصة .

الى المجاهدين معه من أجناده ورعيته والمحشورين من أقطار كوره ..]

– لم يكن باستطاعة الناصر الانطلاق الى الشمال وتركيز الجهد على العدو الخارجي ، قبل تطهير الداخل من العصاة والمتمردين ومنهم في تدمير وبلنسيه عبد الرحمن بن وضاح ويعقوب بن أبي خالد التوبري ، وعامر بن أبي جوشن وأمثالهم . فتوجه الناصر بجيشه الى كورة تدمير وانطلق منها الى كورة بلنسيه ، فاستنزل العصاة من معاقلهم ولم يمتنع عليه سوى – محمد بن عبد الرحمن ابن الشيخ – الذي أصر على عناده وأظهر تصميمه على الاستمرار في التمرد ؛ فترك الأمير عبد الرحمن الناصر قوة لحصاره ، وانطلق بجيشه الى « ثغر تطيله » فانضم اليه جيش الثغور والتجيبيون وجميعهم في أكمل استعداد قتالي ، فتكون لديه جيش [كعدد الحصى ..]

– كان حصن « قلقره – أو – ركله » أول حصون دولة نافار ، فتقدم اليه المسلمون فوجدوا أن « سانشو – شانجه » قد أمر باخلائه ، فاحتله المسلمون وأمر الناصر بتدميره واحراق جميع ما فيه ، ثم انتقل منه الى حصن « بيتر – ألبه » وكانت حوله مجموعة من الحصون والقلاع ، فأخلاها جيش نافار ، ويظهر أن حركة الجلاء عن القلاع والحصون قد تمت بسرعة حتى أن الحاميات تركت في السهول جميع المتاع والطعام ففنم المسلمون ذلك كله ، وكان سكان السهول قد جمعوا أهلهم ، وانضم اليهم بعض الجند والتجأوا الى بعض المناطق الصعبة التي تتوفر فيها ينابيع المياه ، فتابع المسلمون تقدمهم حتى النهر – ابره – واشتبكوا مع الجند ، وأرغموهم على القتال ثم قام بعض المقاتلين بحركات التفاف حتى سيطروا على المرتفعات المحيطة بمواقع الجند ، وعملوا على ابادتهم [وسبوا النراري وغنموا الأمتعة، وهدموا الحصون التي كانت في تلك الجهة، ولم يبق منها صخرة قائمة ..] [1]

....

(١) ابن عذارى ٢/٢٧٧ - ٢٨٠ .

– توقف جيش قرطبة في هذه المنطقة – الفيران – يوماً واحداً ، وانتقلوا منه الى حصن « فالجش » حيث أضرموا ـ أرباضه ناراً ـ واستقصيت زروعه ونعمه انتسافاً وتغييراً ، وبعد أن تم انجاز عمليات التدمير ،انتقل جيش قرطبه الى حصن بقاليه ، وهو من الحصون المنيعة ،فتكررت عمليات التدمير والاحراق ذاتها بعد الاستيلاء على المواد التموينية التي تركها جيش نافار ـ سليمة ـ وتابع الجيش تقدمه الى حصن « قرقستال » على نهر أراغون .

– وضع الناصر مخططه للوصول الى بنبلونه عاصمة « نافار » وكان لزاماً عليه أن يعبر في تقدمه « فج المركوير – أو مضيق المركوير » بين السلاسل الجبلية الشاهقة ، والانتقال بعد ذلك الى وادي « هيفه » الضيق ، حتى الوصول الى بنبلونه ولم يكن هناك محور عمليات تبادلي يمكن اتباعه ..

– أعاد الناصر تنظيم قواته ، للتقدم في المناطق الجبلية ، ودعم المقدمة والمؤخرة والمجنبات بقوات الفرسان [**.. فأخذ في الحزم ، وعهد بضبط مجنبات العسكر ، وتقدم من فج المركوير في أتم تعبية ، وأهذب ترتيب ،وتقدم الجيش لحرق ما يصادفه ويدمر الحصون والمساكن حتى وصل قرية بشكونسه والتي ينسب اليها ملك نافار ، فهدمت مبانيها ، وأحرقت ..**]

– كان ملك نافار « سانشو – شانجه » قد حشد قواته في المرتفعات الجبلية الشاهقة وأخذ يتابع تقدم جيش قرطبة ، ويستطلع تنظيمه للعثور على ثغرة يمكن توجيه ضربة من خلالها .

[**.. جمع العلج شانجه ـ كفرته ـ واستمد بنصرانيته من كل مكان طمع أن يغاث منه حتى توافي له جمع رجا أن يكافح المسلمين به ..**]

– وكان الأمير عبد الرحمن الناصر يتابع تحركات فرسان خصمه على قمم الجبال ، فاتخذ الاجراءات الضرورية لتجنب وقوع أي مباغتة ، ودفع عناصر الاستطلاع في كل اتجاه ، واتخذ تدابير الأمن ، وأمر القادة بالحذر واليقظة ، ثم

استأنف تقدمه منذ الصباح المبكر عبر الوديان السحيقة وبين الجبال الشاهقة ، وعندما وصلت قوات المسلمين الى المضيق الصعب في وادي «هيفه» أخذ فرسان – جيش شانجه – في الهبوط من الجبال لاعاقة تقدم المسلمين ، وحدثت اشتباكات بسيطة فأمر الناصر بالاستعداد للهجوم ، وانطلق المسلمون في هجومهم ، وعبروا النهر اليهم ولم تتمكن الحامية المدافعة عن المضيق الصمود لثقل هجوم المسلمين ، فتراجعوا عن مواقعهم [**واقتلعوهم عن موضعهم ووضعوا سيوفهم ورماحم حتى اضطروهم إلى مرتقى وعر وجبل منقطع . فتقحم المسلمون عليهم . وبسطت الأرض باجسادهم . واستمرت الخيل المغيره في بسيطهم فاصابت الغنائم والدوائم وضروب النعم ، وانصرفوا سالمين لم يصب منهم غير يعقوب بن ابي خالد التوبري ، ونفر قليل ..]** .

– لم يبق أمام جيش قرطبة ما يعيق انطلاقته بسرعة فتوجه الى « محلة لنبيره » ومنها الى « لفين » ثم الى بنبلونه ، والجيوش لا تمر بموضع إلا دمرته ، ولا بزارع إلا أحرقتها ولا بقرى إلا هدمتها ، وأزيلت المواقع المحصنة .

– عندما وصل جيش قرطبة الى « بنبلونه » كان أهلها قد غادروها ، كما كانت الحامية المدافعة عنها قد غادرتها ، فدخلها الأمير عبد الرحمن الثالث ، وأمر بتدميرها وتخريب مبانيها ..

– كان ملك نافار « سانشو – شانجه » قد شيد « في صخرة قيس » كنيسة كبيرة ، وبذل كثيراً من تأنيقها ، وحصن المدينة تحصيناً كبيراً ، كما عمل سانشو ، على حشد قوات كبيرة في الجبال والمرتفعات المشرفة على صخرة قيس ونظم جيشه للدفاع عنها ..

بعد انهاء عمليات التدمير في بنبلونه وجه الناصر جيشه نحو « صخرة قيس» فاقتحمها ، وأخذ الجند في تدمير المدينة وتخريبها ، فقاد « سانشو » جيشه للدفاع عن المدينة وتصدت له قوات المسلمين وبعد معركة قصيرة وحاسمة حقق

المسلمون انتصارهم .. [وفي لحظة طرف اقتلع - المسلمون - جيش - نافار - وصرعوا من فرسانه ووجوه اصحابه من كان عن « سانشو » محامياً ودونه مستهلكاً ،واخربت الكنيسة وما احيط بها ، وعادت القرية ناراً لاهبة ..].

- انتقل جيش قرطبه الى « محلة اساريه » عبر فج ضيق يسمى « فج هرقلة » واراد جيش « نافار » اغتنام فرصة مرور الجيش بمناطق شديدةالوعورة لتوجيه ضربة اليه .. [... فأمر الناصر بالتعبئة والاحتراس ونهض على اتم التحفظ والضبط حتى جاوزت العساكر ذلك المضيق وخرجت منه ..]

واستندت قوات جيش نافار الى الجبال لحماية مؤخراتها وانطلقت في هجوم مباغت لضرب مؤخرة جيش المسلمين فتصدت قوة الفرسان لهجوم جيش نافار والحقت به هزيمة منكرة وكبدته خسائر فادحة،وارغمته على الفرار .. ثم تابع الجيش مسيرته في اتجاه العودة على محور أسارير - مينير - ذي شره - وهي قلاع صغيرة ، ثم وصل الى « شنت - اشتيبين » ، حيث كان ملك نافار قد جعلها مستقراً له ، وموضعاً يلجأ اليها للراحة ، وأمر الناصر بتدميرها ..

كان ملك نافار - أثناء هذه العمليات - يتابع تنظيم قواته ، وطلب الدعم من ألبه ، والقلاع ، فوصلته قوات الدعم ، وقام بتنظيم هجوم على جيش المسلمين عند الوصول الى « شنت - اشتيبين » فتصدى لهم جيش المسلمين ودارت معارك قاسية كانت روح المسلمين فيها عالية جداً بسبب ما حققوه من انتصارات متلاحقة وما ألحقوه بمملكة نافار من تخريب وتدمير ، فاستطاع جيش المسلمين الحاق الهزيمة بجيش « سانشو » وأرغموهم على الفرار الى مرتفعات الجبال [فتفرقوا في الأرض الكثيرة الشجر وذات الغابات المتصلة] واستمر فرسان جيش قرطبة في مطاردة خصومهم .

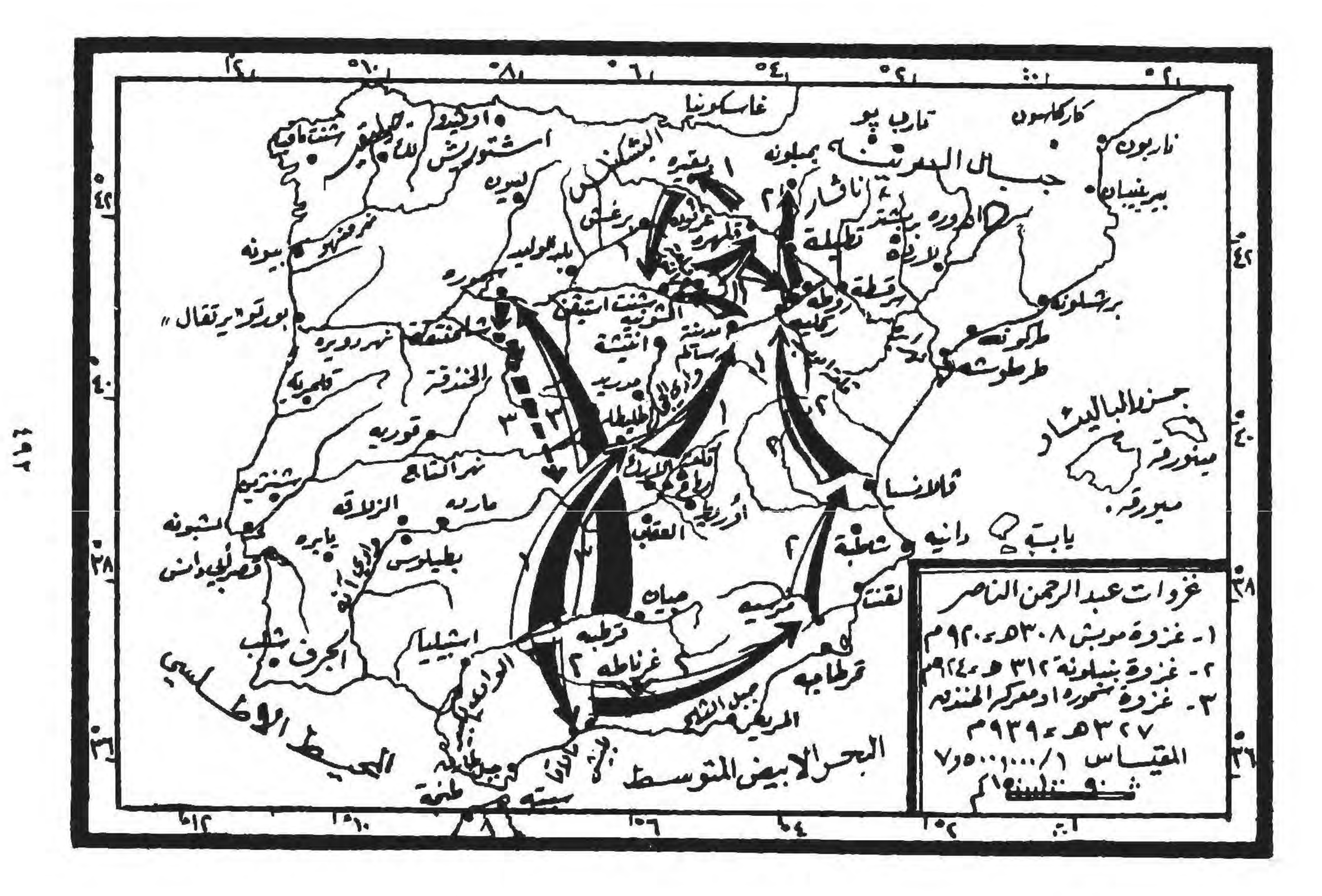
- انتقل الناصر بعد ذلك الى « رابية سريه » في طريقه الى « قلهره » ،

فتصدى سانشو بجيشه لجيش المسلمين ـ مرة ثانية ـ مستفيداً من سيطرته على المرتفعات فأسرعت بجموعات الفرسان الى السباق نحو تسلق المرتفعات وأمكن تدمير بعض قوات جيش نافار وارغامه على الانسحاب .

– وصل جيش قرطبة الى قلهره ، وكانت الحامية المدافعة عنه قد انسحبت فأمر الناصر بهدمه وانتقل منه الى حصن « بلتيريه » وهو من حصون المسلمين المجاورة لحصون ـ المشركين ـ فعهد بادخار الأطعمة عندهم ، وتفريق الأموال فيهم واحتل بمدينة تطيله وأقام بها يوماً واحداً .

– كان لهذه الانتصارات صداها في الاندلس ، وعند مرور الناصر في طريق عودته على بني ذي النون ، استسلموا اليه ، وكان من بينهم يحيى بن موسى ، ويحيى بن أبي الفتح ، وعندما دخل الناصر قرطبة كان قد مضى على غيابه عنها أربعة أشهر ، مرت كلها في مسير متصل ومعارك متلاحقة ، وكان النجاح حليفاً لهذه العمليات كلها بحيث لم تتكبد القوات خسائر تذكر وكان عدد الحصون التي تم فتحها في هذه الغزوة ثلاثون حصناً .




غزوات عبد الرحمن الناصر
١ - غزوة موبش ٣٠٨هـ - ٩٢٠م
٢ - غزوة بنبلونة ٣١٢هـ - ٩٢٤م
٣ - غزوة شنت مانكش ومعركة الخندق ٣٢٧هـ - ٩٣٩م
المقياس ١ / ٧٥٠٠٠٠٠
البحر الابيض المتوسط
المحيط الاطلسي
جبال البرتات
جزر البليار
ميورقة
منورقة
يابسة
دانيه
شاطبة
بلنسية
مرسية
قرطاجنة
قرطبة
غرناطة
اشبيلية
طليطلة
سرقسطة
تطيلة
بنبلونة
برشلونة
طرطوشة
طركونة
غاسكونيا
نربونة
قرقشونة
بيزيه
قورية
بطليوس
باجة
شلب
طنجة
سبتة

٣ – معركة الخندق « غزاة القدرة »

٣٢٧ هـ – صيف ٩٣٩ م [١]

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
١	٢٩٥–٣٢٢	٩٠٧–٩٣٣	خلافة المقتدر بالله العباسي في بغداد .
٢	٣٠٠–٣٥٠	٩١٢–٩٦١	خلافة عبد الرحمن ـ الناصر ـ « الثالث » .
٣	٣١٣	٩٢٥	وفاة اردونيو الثاني ملك ليون وخلافة أخيه فرويلا .
٤	٣١٤	٩٢٦	وفاة فرويلا ، والنزاع حول العرش بين ولدي اردونيو : سانشو[٢] والفونسو ، ثم استمرار الصراع طوال أعوام حتى وفاة سانشو وتجدد الصراع بعد ذلك بين الفونسو وأخيه راميرو ، وهو الصراع الذي انتهى بانتصار راميرو الذي جلس على العرش في مملكة ليون باسم « راميرو الثاني » عام ٣٢١ هـ – ٩٣٢ م .
٥	ربيع ٢–٣١٨	مايس ٩٣٠	تمردت طليطلة ، فوجه الناصر وفداً من العلماء لاقناع زعمائها بالعدول عن الثورة ، وعندما فشلت المحاولات السلمية وجه الناصر جيشاً لاخضاع طليطله الثائرة ..

(١) نفح الطيب ١ – ٣٦٣ .
(٢) سانشو أو شانجه Sancho .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٦	٣٢٠	صائفة ٩٣٢	معاودة غزو طليطلة ، وقد توجـه روميرو بجيشه لدعم ثوار طليطلة وتجاوز مدريد فتصدت له قوات المسلمين شمال طليطلة وأحبطت هجومه ، ووجد أهل طليطلة أنفسهم أمام موقف خطر بعد أن فقدوا كل أمل في الدعم الخارجي فاستسلموا ودخل عبد الرحمن طليطلة ظافراً .
٧	٣٢١	٩٣٣	توجه « راميرو الثاني » الى وخشمه [1] واحتلها وأبعد المسلمين عنها .
٨	٣٢٢	٩٣٤	قاد الخليفة عبد الرحمن الصائفة لاخضاع وخشمه ـ او سمه ـ فتركها أهلها واعتصموا بالجبال وحاول عبد الرحمن دفع خصمه « راميرو الثاني » على ترك مواقعه الجبلية والدخول معه في معركة حاسمة ولكن راميرو تجنب الصدام مع جيش قرطبة .

(١) وخشمه Osma .

٣ - معركة الخندق « غزاة القدره »

أ - الوضع العـــام :

افاد الخليفة عبد الرحمن الناصر من الحرب الأهلية في مملكة ليون خلال الفترة بين عام ٣١٣ - ٣٢٠ هـ = ٩٢٥ - ٩٣٢ م وذلك التركيز الجهد على البناء الداخلي وقمع الثورات المضاده ، مع العمل في الوقت ذاته على تأمين الجبهة الجنوبية وذلك بالقضاء على الدعوة الفاطميه في المغرب الأقصى. وعندما انتهى الأمر في مملكة ليون الى « راميرو الثاني » بدأت مرحلة صراع جديد في الشمال ، فقد عرف عن راميرو الشجاعه والعناد والتصميم على مناهضة المسلمين. فأخذ في اذكاء عوامل الفتنة الداخليه والافاده من التناقضات لاستنزاف قوة المسلمين في الاندلس مع العمل في الوقت ذاته على تنظيم الاعمال الهجوميه في محاولة لانتزاع بعض الاقاليم الشماليه وتدمير ثغور المسلمين .

- وكانت مملكة نافار .. بلاد البشكنش قد التزمت بالهدوء وعدم الاعتداء على حدود المسلمين خلال الفترة الأولى التي اعقبت وفاة سانشو ملك نافار وقيام أرملته «تيودا» التي تذكرها المصادر الاسلاميه باسم «طوطه»[1] وصيه على ابنها غرسيه « أو جارسيا » - ولكن تيودا لم تلبث ان بدأت في ممارسه الاعمال العدوانيه ضد ثغور المسلمين وذلك في عام ٣٢٦ هـ - ٩٣٧ م .

كان عبدالرحمن الناصر يتبع سياسة حازمة وقوية في اخضاع حكام الأقاليم ويعمل على تحطيم « مراكز القوى » بعد ان اثبتت هذه المراكز انها مصدر تهديد دائم لوحدة الدولة ، فخاف حكام الأقاليم التقليديين من زوال سلطتهم ونفوذهم فتظاهر بعضهم بالخضوع والاستسلام بينمـــا اعلن بعض حكام الشمال استقلالهم مستفيدين من قوة مواقعهم وتحصيناتهم ومن قربهم الى

....

(١) طوطة Teoda ، وفي تاريخ بروفنسال ٢/٧٣ : Toda .

بلاد الافرنج ، مما يسمح لهم بالتعاون مع المماليك والامارات النصرانية واللجوء اليها عند الضرورة ـ .

ـ كان يحكم سرقسطه محمد بن هشام التجيبي ، كما كان يحكم قلعة أيوب مطرف بن مندف التجيبي وكلهم من بني هاشم ، وعندما اندلعت نيران الحرب بين « راميرو الثاني » وعبدالرحمن الناصر ، تم عقد اتفاق سري بين راميرو الثاني وبين التجيبيين ـ على اساس اعتراف حاكم سرقسطه محمد بن هشام التجيبي بالولاء لحاكم ليون مقابل دعم هذا لاستقلال سرقسطه وظهرت آثار هذا التحالف عام ٣٢٣ هـ ـ ٩٣٤ م حينما كان عبد الرحمن الناصر يزحف بقواته لتدمير مملكة ليون حيث اعلن بنو هاشم تمردهم ضد قرطبه ودعمهم للملك ليون « راميرو » وحالوا التأثير على حكام بعض الحصون الشمالية لكن هؤلاء رفضوا خيانة قومهم فوجه راميرو الثاني جيشاً لدعم محمد بن هشام التجيبي ونجح جيش ليون وقوات التجيبيين في الاستيلاء على بعض المواقع والحصون وضمها الى سرقسطه ثم تطور هذا الحلف عندما انضمت اليه « طوطه » ملكة نافار « البشكنش » وهكذا توحد الشمال كله ضد قرطبة وكان تحالفاً قوياً يشكل خطورة كبرى ضد الخليفة عبد الرحمن الثالث .

٢ ـ الوضع الخاص :

لم تقف قرطبه موقف المتفرج من تطور احداث الشمال ، فأسرع الخليفة عبد الرحمن الثالث نحو الشمال يقود جيشاً كبيراً في عام ٣٢٦ هـ ـ ربيع عام ٩٣٧ م ، وبدأ الخليفة عبد الرحمن عملياته بحصار قلعة ايوب التي تصمد طويلا للحصار ، فاقتحمها جيش قرطبه ، واعدم الخليفة عبد الرحمن قائد القلعة « مطرف بن مندف التجيبي » وقتل معه قادة قوات الدعم التي ارسلها راميرو الثاني لمساعدة مطرف ، وتابع جيش قرطبه تقدمه حتى وصـــل اقليم البا « ألفا » واقتحم مجموعة من القلاع والتحصينات ثم وصل الجيش الى سرقسطة

وترك قوة لحصارها بقيادة قريبه قائد الفرسان « احمد بن اسحاق » وعينه حاكماً للثغر .

ـ كان احمد بن اسحاق وزيراً لعبد الرحمن وكان له اتصالات مع الفاطميين في عدوة المغرب للتآمر معهم ضد حكومة قرطبه ، وعندما عينه الخليفه حاكماً للثغور وسرقسطه وجد احمد بن اسحاق الفرصة مناسبة لمتابعة تآمره ، فأظهر تهاوناً في الحصار ، وشعر الخليفة عبد الرحمن بموقفه ثم وقف على جلية أمره ، فأصدر اوامره باعدامه ، وعلم أمية بن اسحاق باعدام اخيه احمد فتابـع ثورته في «شنترين » ، « سنتاريم » في غرب الاندلس ، ولكن احد القادة من انصار الخليفة تصدى لمقاومة التمرد ، وأرغم امية بن اسحاق على الفرار فالتجأ الى « راميرو الثاني » .

– تابع جيش قرطبة حصاره لسرقسطه ،وأخذت القلاع والحصون تتساقط تباعاً في قبضة جند قرطبة ثم سقطت سرقسطه وأسر فيها محمـد بن هشام التجيبي ، كما سقطتأمنع حصون الثغور وأقواها وهو حصن « روطه» وأسر فيه يحيى التجيبي ، وبذلك انهارت ثورة التجيبيين ، وتقدم محمد التجيبي من الناصر بطلب العفو فعفى عنه وأعاده الى منصبه حاكماً لسرقسطه فاستمال اليـه « بنو هاشم » وأمن عصبيتهم .

– في الوقت الذي كان فيـه جند قرطبة يخضعون تمرد سرقسطه ، كان جيش عبد الرحمن الناصر يتابع عملياته في نافار ، ووصـل الى عاصمة الاقليم « بنبلونه» مدمراً في طريقه كل الحصون والحاميات المدافعة عنها ، وتمزق جيش البشكنش ووجدت « طوطه » انها عاجزة عن الاستمرار في المقاومة ، فقررت الاستسلام للخليفة الناصر ، وتقدمت اليه بطلب الخضوع والطاعة ، فقبل الناصر طلبها وأقر ولدها « غرسيه ـ جارسيا » ملكاً على نافار .

كان من نتيجه سياسة الناصر الداخليه ،ظهور طبقة من «الانتهازيين» امثال نجدة الحميري واصحابه – ممن ترك لهم الناصر المجال لتقلد الامور في الدوله

والجيش لضرب زعماء العرب واخضاع اصحاب العصبيه . وتغلب اصحاب الولاء الشخصي على اصحاب النفوذ المتوارث . وكان لذلك اثره في مسيرة الاحداث التاليه[1].

٣ - مسيرة العمليات :

بعد نجاح الخليفة عبدالرحمن الناصر في تمزيق شمل التحالف الثلاثي : ليون - نافار - التجيبيين - واخضاع شمال شرق الاندلس لسيطرته ، لم يبق أمامه سوى شمال - غرب الاندلس حيث خصمه العنيد « راميرو الثاني » ملك ليون ، فأخذ في الاستعداد وحشد القوات للمعركة الحاسمة ونظم جيشاً وصلت قوته حتى مائة الف مقاتل ..

- لكن هذا الجيش على كبره ، وقوته الخارجية ، كان مفكك الأوصال في الداخل ، فقد استولى العجب على الناصر ، فاستمد بغير الكفاة وأغاظ الأحرار باقامة الانذال .. والجأ اكابر الاجناد ووجوه القواد والوزراء من العرب وغيرهم الى الخضوع له والوقوف عند أمره ونهيه ..] ..

وعندما انهى الناصر استعداده انطلق من قرطبة في احتفال كبير ، فسميت الغزوة هذه « بغزاة القدره » لاحتفاله فيها وعظيم مشهدها[2] ، واسند قيادة الجيش الى نجدة الصقلبي .

- كانت سموره[3] هي القاعدة المتقدمة لدولة ليون ، وهي من أقوى الثغور تحصيناً ، وقد أحيطت بسبعة أسوار وبين الأسوار خنادق واسعة وعميقة تغمرها المياه ، وكانت بها حامية قوية للدفاع عنها ، ولهذا جعل الناصر هدفه الأول الاستيلاء على « سموره » ..

---

(١) ابن الاثير ٦/٢٧١ احداث سنة ٣٢٧ ، نفح الطيب ١/٣٥٤ - ٣٥٥ ابن خلدون ٤/١٤٠ - ١٤٢ . تاريخ المسلمين في الأندلس ، دوزي /١٤٨/ .

(٢) أخبار مجموعة ١٥٥ .

(٣) سمورة Zamora .

- وصل جيش قرطبة الى هدفه الأول ، وأحاط المسلمون بالمدينة ونجحوا في اقتحام السور الأول والثاني ، وخفت حدة هجوم المسلمين ، وحانت الفرصة المناسبة أمام القادة الذين تنقصهم الحماسة ، فعمدوا الى الاسترخاء والتهاون في متابعة دفع الهجوم .

- أفادت الحامية المدافعة عن المدينة من هذه الفرصة فنظموا هجوماً مضاداً قوياً أمكن لهم بواسطته تحطيم قوة الهجوم ، وانزال الاضطراب بالتنظيم القتالي للمسلمين . فبدأت الهزيمة . وأفاد منها راميرو فتحول انسحاب المسلمين إلى هزيمة منكرة .. وكان ذلك في شوال ٣٢٧ هـ - تموز - يوليه ٩٣٩ م .

- توقف الناصر عند شلمنقه[1] وحاول اعادة تنظيم قواته مرة أخرى عند شاطىء نهر دويره . ولكن جيش نافار - البشكنش - بقيادة طوطه وجيش ليون بقيادة « راميرو الثاني » لم يتركا الفرصة الكافية ودارت معركة ثانية في يوم ٥ آب - اغسطس ٩٣٩ م .. وهنا .. (**تواطأ أهل الحفاظ من رجال - جيش عبد الرحمن - ووجوه اجناده على ما كان من انهزامهم**) وانسحب جيش عبد الرحمن مرة أخرى ، وبدأت قوات الشمال أعمال المطاردة ووصل المسلمون الى « الانديجا - أو - الخندق جنوب سلمنقه . وحاول المسلمون تنظيم صفوفهم والانطلاق بهجوم جديد ، ولكن هذا الهجوم لم ينجح ، ولم يتمكن المسلمون من مجابهة قوة صدمة جيش الشمال ، الذي أخذ في تطوير عملياته حتى تحول انسحاب المسلمين الى هزيمة وتحول تقدم جيش الشمال الى مطاردة [.. **بحيث لم يكد ينج منهم الا قوم جمعوا اصحابهم على ألويتهم وتخلصوا من القتال وانسحبوا الى بلدانهم** ..] وخلال هذه العمليات من

---

(١) شلمنقة ، أو ، سلمنقة Salamanca على نهر دويرة .

(٢) الخندق Al Handeca « جنوب شرق شلمنقة وعلى نهر دويرة أيضاً » .

المطاردة قتـــل قائد الجيش « نجدة الصقلبي »[1] وأسر محمـد بن هشام حاكم سرقسطه الذي كان يقاتل الى جانب الناصر وحمل الى ليون ، كما أصيب الخليفة عبد الرحمن بجراح ، فولى شطر قرطبة في ثلة من الفرسان ، ولم ينج من الأسر إلا بأعجوبة ..

– حاول راميرو الثاني الاستمرار في المطاردة حتى الوصول الى قرطبـة ، ولكن الدم العربي ثار في قلب « أمية بن اسحاق » فنجـح في خداع « راميرو » وحـــذره من احتمال وجود كمائن في الطريق ورغبه بما حصل لديه من غنائم فتوقفت عملية المطاردة ، ثم ان اميـة بن اسحاق استأمن الناصر « فأمنه وعفا عنه وأكرمه » وعمل الناصر بعد ذلك على افتداء محمد بن هشام حاكم سرقسطه ، فأفرج عنه ملك ليون بعد أن لبث في السجن ثلاثة أعوام تقريباً ..

(١) كانت كلمة الصقالبة في الاندلس تعني جميع الأسرى والخصيان من الأجناس الصقلبية، السلافية ، الجلتيقية ، ثم أصبحت تطلق على جميع الأجانب الذين يضمهم القصر ، من جلالقة وألمان وفرنسيين ولومبارديين وايطاليين ، وكان معظمهم يحملون صغاراً بواسطة «خوارج البحر» القرصان ، وتجار الرقيق . وكانوا يختارون من الجنسين ويربون منذ الحداثة تربية عربية حسنة ويلقنون مبادىء الاسلام وقد نبغ بعضهم في النثر والنظم وألفوا الكتب والقصائد ثم تعاظـم نفوذ الصقالبـة في عهد الناصر لسيطرتهم على شؤون الادارة والحكم والقصر ، وصارت اليهـم المناصب الكبرى في الدولة والجيش . وتزايدت أعدادهم ، وامتلكوا الضياع وأصبح لديهـم أموال ضخمة . وكان الناصر يدعم سلطانهم ونفوذهم ويرغم زعماء العرب وأشرافهم على الخضوع لهم ، فكان منهم قائد الجيش نجدة الصقلبي وصاحب الخيل ، قائد سلاح الفرسان - أفلح ،كما كان منهم صاحب الشرطة « ودري » بالاضافة إلى ياسر وتمام صاحبا النظر في الشؤون الخاصة . وهذا ما أضعف الروح المعنوية للجيش وساعد على التمزق الداخلي ، وفقد الحماسة للقتال فكانت كارثة الخندق - الانديجا - .

البيان المغرب ٢/١٢٣ ، نفح الطيب ١/٣٦٣ . أخبار مجموعة ١٥٥ ، دولة الاسلام في الاندلس/ عنان/ ١٠٥ – ١٠٦ وتاريخ المسلمين ، دوزي .
Histoire des Musulmans de l'Espagne Dozi. Paris 1932. II p. 153.

٤ - نتائج المعركة :

١ - تمزق جيش المسلمين ، وسقط في المعركة الاولى عند حصون سموره اربعين ألف مقاتل ، وتذكر بعض المصادر ان الخسارة وصلت الى خمسين الف قتيل . كما استمرت الخسارة خلال المعارك التالية ، وتذكر بعض المصادر انه لولا نصيحة امية بن اسحاق لايقاف المطاردة لكان الفناء التام مصير الجيش الاسلامي في هذه المعركة .

٢ - كان وقع الهزيمة كبيراً في العالم القديم كله ، وبصورة خاصة في اوربا فقد استقبلت اوربا اخبار الهزيمـــة بفرحة كبرى وهناك بعض المؤرخين الذين يعتبرون معركة الخندق هي بداية مرحلة الغزو المضاد [١] . في حين يجعل بعض المؤرخين ، فتح طليطلة ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م ، هو بداية الغزو المضاد ..

٣ - اما على الصعيد المحلي ، فان هذه الهزيمة لم تغير كثيراً من واقع دولة قرطبة ، فقد اسرع الناصر لاعادة تنظيم قواته ، وتطهير جيشه من عوامل الضعف واعاد الثقة الى الاكفاء من قادته ، واعتمد على اهل الخبرة ممن لديهم كفاءة قيادية ، وعلى الرغم من توقف عبد الرحمن عن الغزو بنفسه ، الا انه تابع ارسال البعوث والغزوات ، فوجه في عام ٣٢٩ هـ - ٩٤١ م ، ولما يمض على كارثة الخندق اكثر من عامين قوة كبيرة استطاعت ان تقتحم حدود مملكة ليون وتعمل فيها تدميراً وتخريباً .

٤ - وفي الوقت ذاتـــه عمل الناصر على زيادة الكفاءة القتالية لحاميات الحدود ، فحصن مدينة سالم « مدينا سالي » وأقام بها حامية قوية للدفاع عنهـا وجهزها بكل ما هو ضروري للدفاع وكذلك فعـــل بالنسبة لبقية المراكز الدفاعية المتقدمة - الثغور - .

---

(١) الغزو المضاد أو سياسة الاسترداد ترجمة للاصطلاح الاندلسي : La. Reconquista

الردع في عهد « الحكم المستنصر »

٣٥٠ - ٣٦٦ هـ = ٩٦١ - ٩٧٦ م

١ - الوضع العام :

توفي عبد الرحمن الناصر ، وترك دولة وطيدة الاركان ثابتة البنيان ، فقد استطاع خلال فترة حكمه أن يضع الأسس الثابتة لدولة الامويين في الاندلس حتى وصلت في عهده الى ذروة مجدها ورفعتها ، ونجح الناصر في القضاء على ثورات المولدين وتمرد العرب والمستعربين ، وألزم دول الشمال بالتوقف عن الاعمال العدوانية فعادت الاندلس الاسلامية الى مثل ما كانت عليه أيام الفتح الأولى ، وعاشت الاندلس في حياة الناصر أيام سلم واستقرار وأمن لم تعهدها من قبل. وعندما تولى الحكم المستنصر الخلافة عام ٣٥٠ هـ ، سار على خطوات أبيه ، واتبع طريقته في الحكم والقيادة .

—*—

أ - الموقف في دول الشمال :

كان الناصر قد أعان سانشو الأول - شانجه بن أردونيو الثالث بالمال والجند من أجل استرجاع عرشه وذلك قبيل وفاته بفترة قصيرة ، وهرب ابن عمه ومنافسه أردونيو الرابع الى برغش في عام ٣٤٩ هـ - ٩٦٠ م ، وكانت شروط الناصر مقابل هذا الدعم تتلخص في التزام « سانشو » بهدم القلاع والحصون المتاخمة لحدود المسلمين وتسليم بعضها الآخر اليهم ، وعندما توفي الناصر نكث سانشو العهد ورفض تنفيذ مواعيده .

- كانت قشتاله تابعة لمملكة ليون ، واقليماً من أقاليمها ، وخلال هذه الفترة ظهر في قشتاله زعيم قوي ، طمح في الاستقلال بإقليمه ، والتفت حوله العناصر المتطرفة والمناوئة لسياسة سانشو في التقارب مع دولة قرطبة ، ولم يلبث هذا الزعيم « فرنان كونتالث » حتى أعلن عن استقلاله ، وانطلق في اغاراته على

الثغور والأقاليم المتاخمة لحدود قشتاله . ويظهر أن هـــذه الحركة لم تكن إلا تعبيراً عن الصراع الداخلي بين انصار المدنة مع دولة قرطبة الاسلامية وبـين أنصار الكفاح المسلح المستمر ضدها .

– أفاد ازدونيو الرابع من هذا الموقف فلجأ الى الحكم المستنصر بهـــدف الحصول على الدعم لاسترداد سلطته والحصول على تأيـيـده في العودة الى عرشه ضـــد ابن عمه « سانشو الأول » « شانجه » ملك ليون ، واستقبلت قرطبة « اردونيو الرابع » استقبالاً رائعـاً ترددت أصداؤه في قلب العاصمـة ليون ، فأسرع سانشو الى ارسال وفد بهدف التقرب من الخليفة الحكم المستنصر ، وضم هذا الوفد مجموعة من القسس وذوي السلطة في مملكة ليون . وقد وعد سانشو بتنفيذ ما كان قد قطعه من وعود للخليفة الراحل – الناصر – مـع الاعتراف بالولاء للحكم المستنصر وتجديد العهود والمواثيق ..

– كانت هذه الظواهر السلمية ، تخفي وراءهـا النوايا العدوانية ، ولم تكن هذه النوايا غريبة على قرطبة أو مجهولة بالنسبة لهـا وهي التي تمرست بالصراع الدائم مع دول الشمال ، وقد تأكدت هذه النوايا العدوانية بدليل استمرار أعمال « الاستفزاز على الحدود » وهذا ما دفع الحكم المستنصر على اتخاذ تدابير الحذر ، واعلان حالة الطوارىء في البلاد وتوجيـه حملات الصوائف باستمرار لمتابعـة « أعمال الردع » ..

في عام ٣٥٦ هـ – ٩٦٦ م توفي « سانشو » ملك ليون مسموماً ، وخلفه ولده الطفل « راميرو الثالث » بوصاية عمته الراهبه « البيره »[1] فتجـــدد الصراع الداخلي ووقع التمزق في مملكة ليون ، وأعلن عدد من الزعماء تمردهم واستقلالهم .

وفي عام ٣٦٠ هـ – ٩٧٠ م توفي « فرنان – كونثالث » ملك قشتاله ، وخلفه

....

(١) البيرة ، أو ، حلويرة : Elvira وصية على راميرو الثالث ، أو ، رذمير بن شانجـــة Ramiro III ملك جيليقية « ليون » .

ابنه غرسيه فرناندز ، وتولى عرش نافار سانشو غرسيه الثاني بعد وفاة أبيه غرسيه فرناندز[1] ، واستمر على سياسة أبيه ولكنه عندما ظن أن الفرصة مواتية للغدر بدولة قرطبة ، بسبب انشغالها في حرب الشيعة في المغرب ، قام بعدوان على الحدود ، ووضع مخطط العدوان بدقة فأوفد إلى قرطبة « وفداً » للصداقة وجعل توقيت بداية العدوان مع مغادرة وفده لقرطبة بحيث يستطيع تحقيق المباغتة ، وقد وصل هذا الوفد فعلاً وأجري له استقبال حافل ، وتقدم رئيس الوفد من الخليفة الحكم بطلب السلم والمهادنة، فأجابهم الحكم إلى ماطلبوا، وما كادوا ينصرفون من قرطبة حتى جاءت الأنباء بوقوع عدوان على الحدود بقيادة غرسيه فرناندز ، فأسرع الحكم بارسال مندوب عنه لاستدعاء الوفد ، فأبوا عليه ، وهموا بقتله ، فرجع المندوب وأخبر الحكم ، الذي أرسل عندها « أفلح » الوكيل في دار الخيل ومعه سرية من وجوه الجند للقبض على سفراء قشتاله ، فهرعت في اثرهم واستطاعت أن تظفر بهم حيث أعيدوا إلى قرطبة وزجوا في سجن المطبق ، وذلك في عام ٣٦٣ هـ - ٩٧٣ م ..

ب - الموقف في الجنوب - المغرب :

ان دراسة الموقف في الجنوب تفرض بالضرورة العودة الى بداية الدعوة الشيعية - الفاطمية - .

- كان عبيد الله المهدي أول من حمل بين زعماء الشيعة في المغرب لقب الخليفة ، وقد استطاع الخليفة عبيد الله المهدي ان ينظم جيشاً قوياً جعل من تونس قاعدة له ، وأخذ في توجيه نحو المغرب ، ونحو مصر .. وقد اخذت دعوة المهدي تكتسح افريقية بسرعة كبيرة نظراً لعدم وجود مقاومة لها .

- كان هذا النجاح السريع للدعوة الفاطمية مصدر قلق كبير لحكام قرطبة الذين كانوا يعتبرون المغرب هي قاعدة العدوان عليهم وهي الخط الدفاعي الأول

---

(١) غرسية فرناندز Garcia ، Fernandez .

عن جنوب الاندلس . ومما كان يزيد من خطورة الموقف،ظهور الحركات المناوئة والثورات المضادة بصورة مستمرة ، واتصال قادة هـذه الحركات والثورات بالفاطميين ، والتآمر معهم ضد حكام الاندلس .

- أمام هذا الموقف ، وجه عبد الرحمن الناصر « الثالث » جيشاً قوياً ، وأسطولاً ضخماً لغزو المغرب وذلك في عام ٣١٩ هـ - ٩٣١ م ، وذلك للسيطرة على ثغر سبته ، وتحريرها من قبضة « بني عصام الموالين للفاطميين » فبادر زعماء البربر من الأدارسة - وزناته الى اظهار ولائهم للحكم الأموي والالتفاف حوله والقيام بالدعوة له فامتدت سيطرة هؤلاء الزعماء حتى فاس ، وأرسل موسى بن أبي العافية أمير مكناسه الى الخليفة الناصر يطلب دعمه والدخول في طاعته فأجابه الناصر ، ووفر له الدعم وبذلك استطاع الصمود في وجه الفاطميين الذين أرسلوا قوات لاخضاعه في عام ٣٢١ هـ - ٩٣٣ م ، فاستطاع الحاق الهزيمة بهم ، وتمزيق جيش عبيد الله الفاطمي ، وفي عام ٣٢٣ هـ - ٩٣٤ م توفي عبيد الله ، فسير ولده الخليفة القائم ، جيشاً الى المغرب بقيادة « ميسور الصقلبي » واستطاع هذا الجيش ارغام موسى على الفرار حتى الصحراء، واستولى الأدارسة - حلفاء الفاطميين في هذه المرة - على مملكته ، فاضطر عبد الرحمن خليفة قرطبة الى توجيه حملات متتابعة بمهمة ايقاف نفوذ الفاطميين وتدمير حلفائهم من الأدارسة وغيرهم .. واستمرت أرض المغرب مسرحاً للنزاع الذي وصل ذروته في عهد المعز - رابع الخلفاء الفاطميين - حيث وصلت الدولة الفاطمية أوج قوتها ، وأخذت أساطيلها في تصعيد عملياتها على جبهة بيزنطه وفي حوض البحر الأبيض المتوسط مما كان ينذر الدولة الأموية في الأندلس بأخطار كبيرة. وفي عام ٣٤٤هـ - ٩٥٥ م تحول هذا الانذار الى حقيقة واقعة ، فهاجم أسطول الفاطميين - ثغر المريه - أكبر الثغور البحرية للدولة الاندلسية الاسلامية ، وأحرقت القطع البحرية الراسية في الميناء وألحقت الدمار بمدينة المريه ذاتها فاضطر عبد الرحمن الثالث الخليفة الأموي في الاندلس أن يوجه قواته البحرية والبرية لغزو شواطىء

افريقية بقيادة أمير البحر « غالب » .. وانطلقت جيوش الاندلس الى تونس فوجهت ضربة مضادة للفاطميين . وبعد ذلك بثلاثة أعوام، وجه الخليفة الناصر أسطوله مرة أخرى بقيادة احمد بن يعلى وذلك بمهمة تهديد القوات الفاطمية التي كانت تتقدم على محور مواز للساحل الافريقي بقيادة « جوهر الصقلي » ، كما قامت بالعبور قوات أخرى فوصلت سبته وتمركزت في المغرب وبقيت فيها حتى تراجع الفاطميون عنها . استمر هذا الوضع في حكم الخليفة الحكم المستنصر.. ثم تصاعد الموقف خطورة في عام ٣٦١ هـ – ٩٧١ م عندما أظهر حسن بن قنون الحسني عداوة للحكم الأموي ومجاهرته الدعوة للفاطميين ، فأرسل الحكم المستنصر محمد بن قاسم الناصر الى سبته ، واستطاع الأسطول فتح طنجة بقيادة أمير البحر عبد الله بن رياحين ثم دارت معركة حاسمة بين قائد جيش قرطبة « محمد بن قاسم الناصر » وبين حاكم المغرب الفاطمي « حسن بن قنون الحسني » انتهت بهزيمة ابن قنون وفراره فطاردته قوات جيش قرطبة الى دلول ومنها الى أصيلا ، ثم قتل محمد بن قاسم عام ٣٦٢ هـ – ٩٧٢ م وهو في محصن مهران وقتل معه خمسمائة جندي اندلسي.. فاستدعى المستنصر بالله – غالب بن عبدالرحمن – كما جمع مستشاريه وأمرهم بالتأهب للغزاة في الأسطولين المجهزين – اسطول اشبيليا وأسطول المريه – .

[.. واقلع غالب بن عبد الرحمن من مدينة الجزيرة .. الى طنجة بعد ان استكمل اهبته فيها وقدم اجازة الاجناد والخيل والأثقال، وآلات الحروب..]

وفي الوقت ذاته وجه الحكم المستنصر ، جيشاً آخر بقيادة صاحب الشرطة وقائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بمهمة دعم غالب بن عبد الرحمن ..

[.. وغطى الحكم المستنصر البحر بينه وبين المغرب بأساطيل الأموال والأسلحة والعدد والاطعمة ..]

[ثم ارسل الحكم المستنصر بالله ، الوزير يحيى بن محمد التجيبي الى المغرب بعسكر مدداً للقائد غالب ..]

بدأ القتال بالمغرب ، وحدثت معارك متلاحقة كان النصر فيها الى جانب جيش قرطبة ، وانتهى الأمر عام ٣٦٤ هـ - ٩٧٤ م بتحقيق انتصار نهائي ، وخضوع حسن بن قنون لحكم قرطبه ، وقدومه وشيعته بنو ادريس ، الى قرطبه مع جيش غالب بن عبد الرحمن حيث أجري لهم استقبال رائع ..

- وضع الخليفة الحاكم المستنصر مخططه الجديد لاعادة الاستقرار في المغرب، فضم فرسانها وجيشها الي جيشه متبعاً في ذلك [سبيل سلفه بني مروان في احتوائهم ، للرغبة فيهم ... والاستكثار منهم ، فكان ذلك من بعده سبباً لتقلدهم طوائف الجند الأندلسي ..] [١] .

٢ - الوضع الخاص :

تابع الحكم المستنصر سياسة أبيه في بناء « القوة الذاتية » لدولة الاندلس الاسلامية ، وان مطالعة تقسيم الجند والأسلحة في عهد المستنصر ، تظهر مدى ما وصلته القوات المسلحة من تنظيم قتالي .

- كان التسلسل القيادي في جيش الأندلس يخضع لقيادة القائد الأعلى ، وكانت تتم تسمية هذا القائد لممارسة العمليات فيجبهة معينة وخلال فترة محددة، وكثيراً ما كان يضطلع بهذا المنصب الخليفة ذاته أو وزير من وزرائه أو قائد من كبار قادته . وكان يخضع لهذا القائد الأعلى «قائد» يمارس وظائف - قائد ثان - ثم يلي ذلك قائد البحر « قائد الماء » ، الذي يتبعه بدوره قادة الأساطيل ، وكانت الأساطيل الرئيسية هي أسطول اشبيليا وأسطول المريه ..

- كانت الاندلس مقسمة من الناحية العسكرية إلى « مناطق » وكان لكل منطقة جيشها الذي يخضع لأميرها أو واليها . وكانت هذه الجيوش في الحرب أو عند الخروج للصائفة تلتقي في منطقة معينة - منطقة حشد - ثم تقوم

---

(١) المقتبس ، ابن حيان القرطبي / تحقيق الحجي / ٨١ و ١١٥ و ١٨٩ و ١٩١ وكذلك ابن عذارى ٢/٣٦٤ - ٣٧١ ، ونفح الطيب ١/٣٨٥ و ٣٩٧ :

بعملياتها تحت قيادة القائد الأعلى ، وعند انتهاء العمليات ، تفترق في المنطقة التي يحددها القائد الأعلى حيث تعود بعد ذلك إلى أقاليمها . وإذا ما وقع عدوان مباغت فان واجب الدفاع يقع على عاتق القوات المنتشرة في المناطق ، فتكون هذه القوات بمثابة الخط الدفاعي الاول الذي يحمي الثغور خلال الفترة اللازمة لتقدم قوات الدعم ووصول الجيش الرئيسي .. وهكذا أمكن التمييز بين الجند الزاهريون – المقيمون بالزهراء – والجند القرطبيون – المقيمون بقرطبة – والجند المالقيون – المقيمون في مالاقا – وجند المريه – وجند طليطلة ، الخ ...

– كان الجيش في عهد الحكم المستنصر يضم طبقتين رئيسيتين : الأحرار والعبيد ، وفيهم الخمسيين والطنجيين ، وغيرهم ... وهؤلاء هم نواة الجيش العامل وكان ينضم اليهم في حالة العمليات : المرتزقة ، والمطوعة ، والملحقون من المماليك والصقالبة والأسرى ...

– أما التقسيمات داخل الجيش وحسب التوزيع على الأسلحة فقد وصل في عهد المستنصر الى مراعاة الاختصاص ، فكانت الأسلحة الرئيسية هي سلاح الفرسان وسلاح المشاة « الرجالة » .. وكان سلاح الفرسان ذاته يقسم حسب التسليح على النحو التالي :

١ – الفرسان أصحاب التجافيف .

٢ – الفرسان أصحاب الجواشن .

٣ – الفرسان المدرعين .

٤ – الفرسان المدرعين حاملي القنوات الناصلة .

٥ – الفرسان الطنجيين المدرعين .

٦ – الفرسان الخمسيين .

٧ – فرسان العبيد .

٨ – فرسان الرياضة .

كما كان سلاح المشاة يقسم أيضاً حسب الاختصاص بحيث امكن التمييز بين :

١ – رجالة الرماة .

٢ – رجالة الرماة الأحرار .

٣ – الرمـــاة .

٤ – الرماة الأحرار .

٥ – رجالة فرسان الرياضة .

٦ – رجالة الأرباض .

وقد روعي عند تنظيم الأسلحة – تقسيمات المناطق العسكرية – والتقسيمات القبلية ، فكان سلاح الفرسان مثلاً يضم : فرســان طنجه ، وفرسان قرطبة ، وفرسان الزهراء . و كذلك منهم العرب ، والبربر ، والصقالبة ، الخ ..

وكان يتم التمييز بين الأسلحة باللباس والتسليح .

– عندما تولى الحكم المستنصر خلافة قرطبة ، وجه اهتمامه الى الجيش [وأخذ في التأهب للحرب ، وأنفذ الكتب الى سائر الولاة والقادة بوجوب الأهبة والاستعداد للجهاد في سبيل الله ..] [١] .

– قامت دول الشمال كعادتها ببداية العدوان ، وقاد فرنان كونثالث ملك قشتاله قوات العدوان فاستولى على قاعدة « غرماج » ثم استردها جيش قرطبة في صائفة عام ٣٥٣ هـ – ٩٦٣ م وعملوا على تحصينها .. واستمرت بعد ذلـــك أعمال العدوان وأعمال الردع على نطاق محدود ..

وفي عام ٣٥٣ هـ أيضاً ، قصد الحكم المستنصر « ثغر المريه » للاشراف على تحصين المدينة واتخاذ ما هو ضروري لتجديد الأسطول وتعزيزه وتأمين متطلباته من الخشب والزفت والقطران من كورة جيان الى اشبيليا والجزيرة لصناعـــة السفن ، وكانت السفن الراسية في ميناء المريه يومئذ ثلاثمائة قطعة [٢] ..

---

(١) ابن عذارى ٢/٣٥٠ . (٢) الاحاطة ١/٤٨٧ .

- كما اهتم الحكم المستنصر بتحصين الثغور فأوفد أحمد بن نصر لبنيان مدينة بثغر طليطله وتشييدها وتوثيق أمورها وجعل بين يديه أحمال الأموال[1].

شغلت قرطبة بعد ذلك بما أصاب البلاد من قحط وبوقوع غزو النورمان ثم بحروب المغرب، فعملت دول الشمال على عقد حلف فيما بينها بزعامة مملكة ليون - قشتاله، لايقاف القوة المتعاظمة لدولة قرطبة فكان الرد هو تصعيد أعمال الردع، واقناع دول الشمال بعجزها عن متابعة العدوان ..

٣ - الاعمال الاستفزازية وعمليات الردع المضاد ٣٥٢ هـ - ٩٦٢ م :

عمليات العبر في بداية عهد الحكم المستنصر[2] :

أ - (... لأول وفاة الناصر، طمع الجلالقة « مملكة ليون » في الثغور، فغزا الحكم المستنصر بنفسه، واقتحم بلد فردلند بن غندشلب[3] فنازل شنت اشتبين[4] وفتحها عنوة واستباحها، فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه، ثم ب - أغزى غالباً مولاه بلاد جيليقية وسار الى مدينة سالم لدخول دار الحرب، فجمع له الجلالقة، ولقيهم فهزمهم واستباحهم وأوطأ العساكر بلد فرذلند ودوخها. ج - وكان شانجه بن رذمير ملك البشكنس قد انتقض فأغزاه الحكم التجيبي صاحب سرقسطه في العساكر، وجاء ملك الجلالقة لنصره فهزمهم وامتنعوا بقوريه وعاثوا في نواحيها وقفل. د - ثم أغزى الحكم احمد بن يعلى ويحيى بن محمد التجيبي الى بلاد برشلونه فعاثت العساكر في نواحيها، وأغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالباً الى بلاد

---

(١) ابن عذارى ٢/٣٥٢ .

(٢) ابن خلدون ٤/١٤٤، والمقري، نفح الطيب ١/٣٨٢ .

(٣) فردلند Fernando : Ferdinand وغندشلب، جنثالث Gonzola سبق الكلام عنه، باسم فرنان كونثالث .

(٤) شنت اشتبين : San-Esteban وقد سبق ذكرها أيضاً .

القومس ، فعاثا فيها وقفلا . وعظمت فتوحات الحكم وقواد الثغور في كل ناحية ، وكان من أعظمها فتح قلهره من بلاد البشكنش على يد غالب فعمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح قطوبيه على يد قائد وشقه[1] وغنم فيها من الأموال والسلاح والأقوات والأثاث وفي بسيطهـا من الغنم والبقر والرمك[2] والأطعمة والسبي ما لا يحصى ..)

ان ما سبق ذكره يوضح المعطيات التالية :

١ – قيام تحالف بين الجلالقة – مملكة ليون – ومملكة نافار – ومملكة برشلونة .

٢ – توجيه مجموعات قتالية مستقلة لكل اقليم ، وفي توقيت واحد بهدف عزل قوات التحالف وضربها كل بمعزل عن القوى الأخرى ..

٣ – وجود جيش قوي تحت سلطة الخليفة في قرطبة بحيث يستطيع ممارسة العمليات في أقاليم منفصلة ومتباعدة وعلى محاور مختلفة ..

٤ – تقدير حجم الردع بما يوازي العدوان ويعادله ..

استمرت أعمال الردع بعد ذلك .

ففي عام ٣٥٤ هـ – ٩٦٤ م [سار غالب بن عبد الرحمن الى البه ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون فابتنى حصن غرماج ودوخ بلادهم ...][3] .

---

(١) وشقة Huesca .

(٢) الرمك : نوع من البسط « السجاد » .

(٣) نفح الطيب ١/٣٨٣ وتاريخ ابن خلدون ٤/١٤٥ .

وحصن غرماج . Gormaz يقع على نهر دويرة في الشمال ، على مقربة من سنتاستيبين. استولى عليها فرنان كونثالث في عام ٣٥١ ثم استرجعه المسلمون ، وأعادوا تحصينه ، وسيأتي ذكره في المعارك المقبلة.

ثم تكررت هذه الأعمال ، واستمرت أعمال الصوائف في كل عام تقريباً ، وكان من أبرز الأعمال القتالية :

– احباط غزو النورمان .

– عملية الردع في غزوة « غرماج » ..

٤ - احباط غزو النورمان [١] ٣٥٥ هـ - ٩٦٥ م :

– قام النورمان بهجومهم الأول على ثغور الاندلس في عهد عبد الرحمن بن الحكم عام ٢٣٠ هـ – ٨٤٥ م ، وقد اتخذت الاجراءات منذ تلك الفترة لتحصين الثغور البحرية وتنظيم عمليات الدفاع الساحلية ..

– وفي عام ٣٥٥ هـ – ٩٦٥ م ورد كتاب الى الخليفة الحكم المستنصر من حاكم ثغر « قصر أبي دانس » [٢] الاعلام عن ظهور أسطول المجوس « النورمان» ببحر الغرب ، واضطراب أهل ذلك الساحل كله لذلك لتقدم عادتهم بطروق الأندلس من قبله فيما سلف وكانوا في ثمانية وعشرين مركباً ، ثم ترادفت الكتب من تلك السواحل بأخبارهم وانهم قد أضروا بها ووصلوا الى بسيط لشبونه [٣] وكان النورمان في هذه المرة من أهـــل الدانمرك بقيادة ريتشارد الأول دوق نورماندي وحفيد زعيمهم الأكبر – رولو – .

– أصدر الحكم المستنصر أوامره إلى القادة لاتخـاذ تدابير الحيطة واعلان حالة الطوارىء للدفاع عن الساحـــل . كما أمر قائد البحر « عبد للرحمن بن رماحس » بتعجيل حركة الأسطول ،وأمر أيضاً « ابن فطيس » باقامة الأسطول بنهر قرطبة واتخاذ المراكب فيها على هيئة مراكب المجوس – النورمان [٤] .

---

(١) ابن عذارى ٣٥٥/٢ ، ٣٥٦ و ٣٦٠ ، نفح الطيب ٣٨٣/١ – ٣٨٤ .وفي ابن خلدون ١٤٥/٤ ، انها كانت عام ٣٥٤ هـ .

(٢) قصر أبي دانس : Alcacer de Sal ، ميناء بحري على محيط الاطلسي جنوب لشبونة .   (٣) ابن عذارى ٣٥٦/٢ .

(٤) نفح الطيب ٣٨٤/١   وابن عذارى ٣٥٦/٢.

– التقت قوات المسلمين بقوات الغزو من النورمان في سهول لشبونه ودارت بين الطرفين معارك طاحنة تكبد فيها الطرفان خسائر فادحة في الأرواح وانتهت بهزيمة قوات النورمان ، الذين عادوا الى سفنهم ، وكان أسطول اشبيليا بقيادة أمير البحر عبدالرحمن بن رماحس قد خرج من اشبيليا عبر الوادي الكبير. وأخذ محوراً موازياً للساحل ، في مياه المحيط الأطلسي .

– كانت زوارق النورمان قد أبحرت ومعها الأسرى والغنائم في اتجاه الجنوب ، واصطدمت بالقوة البحرية للمسلمين عند وادي شلب ، فخسر « النورمان » عدداً من مراكبهم وقتل عدد كبير من جندهم ، وتم انقاذ أسرى المسلمين وانسحب النورمان لكن سفنهم تابعت جولاتها قريباً من الساحل ، « والمسلمون لهم بالمرصاد » بحيث لم ينجحوا في الاغارة ثانية على المدن الاندلسية . .

– في عام ٣٦٠ هـ – ٩٧٠ م ، وبعد خمسة أعوام من الغزوة السابقة ، ظهرت زوارق النورمان من جديد في مياه الأطلسي . وأخذت تهدد السواحل الغربية للأندلس ، فأصدر الخليفة الحكم المستنصر أوامره بزج القوى البحرية كلها فاجتمع أسطول المريه وأسطول اشبيليا لمواجهة قوات الغزو ، وعندما شعر النورمان بتفوق أسطول المسلمين الساحق ، انسحبوا دون قتال .

٥ – عملية الردع في غزو « غرماج » :

أ – التحدي :

[في يوم السبت ٨ بقين من ذي الحجة ٣٦٣ هـ – ٩٧٣ م ، ورد الخبر من الثغر الأوسط بفجأة انتكاث الطاغية [غرسيه بن فردلند بن غندشلب صاحب قشتالة – بعد اظهاره الرغبة في السلم والعمل على تحقيقه – وسرعة خروجه إلى بلد المسلمين واغارته الشعواء على حصن « دسه » وما يليه من عمل بني عمر بن تيملت ضحوة يوم الخميس لأحد عشر خلت من ذي الحجة منها ...] [١]

---

(١) ابن حيان – المقتبس – تحقيق الحجي – ١٨٨ .

وهكذا بدأ العدوان بصورة مباغتة فأغار ملك قشتاله فردلند جنثالث على حصن دسه[1] وأحرق المزارع وقتل من تصدى لمقاومته واقتاد الماشية وتراجع محاولاً الوصول الى بلاده بما كسبه من غنائم .

– كانت هذه المنطقة تابعة لولاية أبناء عمريل بن تيمرت ، فعمل زروال ، ومضا ابني عمريل على حشد بعض القوة ومحـاولة ضرب مؤخرة جيش قشتاله واستعادة الغنائم ، ونجحا في ذلك ولكن جيش قشتاله وضع كميناً لقوة ابني عمريل ، ونجح في قتل زروال مع نخبة من رجـاله على مقربة من حصن مضا وفي موقع يطلق عليه اسم « فحص البركه » ..

– وفي العام التالي وفد على الحكم أبناء زروال بن عمريل الخمسـة فأحسن الحكم المستنصر استقبالهم ، وأوصى بتقليدهم عمـل والدهم فقسمت بينهم المناطق والحصون على رضا منهم وبموافقتهم ، وبعـد استشارة غالب بن عبد الرحمن القائد الأعلى للجيش الذي شهد بكفاءتهم وحزمهم وقدرتهم على حماية الثغور ..

ب – الهجوم الغادر الثاني :

– لم تكن العملية سابقة الذكر سوى عملية سبر، هدفها رفع الروح المعنوية في قوات دول الشمال ، وحفز ملوك هذه الدول وأمرائها للعمل معاً ضـد دولة المسلمين في قرطبة ، وأمكن الافادة من هذا النصر الموضعي لتكوين التحالف الذي ظهرت بواكيره في عملية حصار « حصن غرماج » ..

– في منتصف شهر رجب ٣٦٤ هـ – ٩٧٤ م وصلت الى قصر الخلافة في قرطبة أخبار تفيد ان قوات كـبرى من دولتي « ليون ـ و ـ نافار ، الجلالقة والبشكنس » قد تقدمت الى حصن « غرماج » – ثغر مدينة سالم – وان هذه

---

(١) دسة : Deza . ومنطقة الحصن حالياً في منطقة سرية Soria على بعد ٥٠ كم شمال شرق مدينة سالم .

القوات تقدمت الحصن ولكنها اصطدمت بجيش الثغر ، وقوات المسلمين في الشمال ووقعت معركة استمرت يومين متتاليين وانتهت بهزيمة جيوش الشمال ، فأخذت في الانسحاب عبر وادي دويره ، وتابعت حصار حصن غرماج ،وطلبت الدعم من قياداتها ، مستفيدة من [... **اشتغال الجند بالحرب مع اهل العدوة - المغرب - وبعد المسافة عليهم في اللحاق بهم .. فحاصروا الحصن ووالوا أهله الحرب ..]** ..

أظهر أهل « حصن غرماج » والحامية المدافعة عنه ارادة صلبة للدفاع عن حصنهم ومواقعهم واستعداداً كبيراً للصمود والمقاومة ، وأخذوا في تنظيم الاغارات ، والهجمات على قوة أعدائهم بحيث لم يمض يوم واحد دون صدام أو مقاومة .

ج - مؤتمر الحرب :

- عندما توفرت الأخبار عن حجم العدوان وقوته أسرع الخليفة الحكم المستنصر الى توجيه قوات الدعم ، واعداد الصائفة للتحرك مع زيادة حجم قوة الصائفة ، وكان الوزير - القائد الأعلى - أبا تمام ، غالب بن عبد الرحمن قد عاد من حروب المغرب منتصراً ، فقرر الحكم تعيينه لقياده الصائفة وعمل على عقد مؤتمر للحرب حضره الوزير صاحب المدينة جعفر بن عثمان وبعض المستشارين وعرض الخليفة الحكم على قائده غالب بن عبد الرحمن، أمر تولي قيادة الصائفة بعد أن شرح له الموقف وضرورة الاسراع بالتحرك ، فتلقى الوزير غالب الأمر بالقبول [فعمل الحكم على تقليده سيفين من ذخائر سيوفه مذهبين حليتا غمديهما أثقل حلية بأغرب صنعة ... كما ضم الى ركابه فرس أشهب رائع من مقربات الخليفة بسرج معرق ، ولجام مفرغ ..] .. وغادر الوزير غالب - ذو السيفين - دار الخليفة ، وأسرع في الاستعداد لتنظيم قواته ومغادرة قرطبة .. وفي الوقت ذاته ، أصدر الخليفة الحكم الى وزرائه ومستشاريه العمل جميعاً لزج كل الامكانات الضرورية وجميع متطلبات قائد الصائفة ، الوزير غالب .. ولم يمض

سوى يومين فقط حتى انتهت الاستعدادات ، وأصبح باستطاعة الصائفة ان تتحرك الى وجهتها نحو ثغر الشمال ..

د - العرض والاستعراض :

وقف الخليفة الحكم المستنصر ، في الموعد المحدد لانطلاق الصائفة فوق المرتفع المشرف على ساحة العرض - في[7] السطح فوق باب السدة - وعندما أنهى الوزير غالب تفقد قواته ، أعطى أوامره ببداية التحرك ، وبدأ العرض حيث كانت تمر القوات أمام الخليفة الحكم ، تعبئة بعد تعبئة ، وترتيب بعد ترتيب من جيوش منتظمة ومقانب متصلة قد طبقت الأفق ، وأغصت الطرق وهي تمر على باب القصر بقرطبة ... والخلق يشيعونه الى أن فارق أبيات قرطبة ..

- توقف جيش قرطبة في نهاية مرحلةمسيره النهارية بوادي شوس أرملاط ، ثم ارتحل في غده ، يطوي المراحل ، ويسرع في تقدمه مع المحافظة على الاتصال بقرطبة ، وفي الوقت ذاته تابع الوزراء والمختصون في الدولة عملية حشد القوات والحاق المتخلفين بالجيش .

- بعد مغادرة الصائفة العاصمة قرطبة ، استدعى الخليفة الحكم صاحب الشرطة الوسطى عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي ، المقيم في قرطبة ، وأمره بالتوجه الى سرقسطه - بلده - بمهمة حشد القوات في الشمال ، ودعم عمليات الصائفة .

- طلب القائد الأعلى ، الوزير غالب ، توجيه قوات الدعم بقيادة « سهل - الفتى الكبير » وقاد سهل هذه القوات ومنهم العبيد الخمسين ، والرماة، والتحق بجيش الصائفة .

- وقبل مضي أسبوع واحد على مغادرة الصائفة قرطبة ، أصدر الخليفة الحكم أوامره الى محمد بن احمد بن أمية بن شهيد ، لحمل الأموال الضرورية واللحاق بالجيش وتأمين متطلبات القائد الأعلى غالب، والانفاق على جند الصائفة.

٥ ـ الاعداد للمعركة الحاسمة :

ـ مضت اسابيع ثلاثة على مغادرة الصائفة للعاصمة قرطبة ، ووصلت قوات المسلمين الى الشمال فاحتلت حصن « برهون » وتقدمت الى « ابرلنقه أو زلنقه » ثم الى « جبل الوسيط » جنوب حصن « غرماج » وأصبح نهر دويره حاجزاً بين قوات المسلمين وقوات خصومهم ، المحاصرين للحصن ..

ـ كانت قوات الشمال ، قد أقامت الحواجز والتحصينات في المناطق الصالحة للعبور من نهر دويره ، ودفعت نقاط الحراسة ومخافر المراقبة الى حافة النهر .. في حين كانت الحشود الكثيفة تحيط بحصن غرماج وتحدق به ..

ـ قام القائد الأعلى بجولة استطلاعية وتبين له صعوبة العبور من الحركة أو الدخول في معركة تصادمية مع قوات الخصم المتفوقة بأعداد كبيرة ، فقرر التوقف عند جنوب نهر دويره في موقع مقابل لقوات الشمال ، ولحصن غرماج ..

ـ استمر تدفق المتطوعين من أهل قرطبة بأعداد كبيرة لدعم جيش الصائفة وامداده وكانت قوات الدعم تصل تباعاً وبشكل مستمر .. وفي الوقت ذاته ، أعلن في قرطبة عن وضع عقوبات بحق المتخلفين من الجند النظاميين لاعذار مختلفة فتسابق هؤلاء نحو الشمال للالتحاق بالجيش .

خلال مرحلة التوقف ، حدثت بعض الاشتباكات الثانوية بين وحدات حراسة النهر « الحافظين للمخائض » ، وقد حاول جند الشمال العبور الى الجنوب والاغارة على جيش المسلمين بصورة مباغتة ، فتصدت لهم مفارز صغيرة من المسلمين وحدثت معارك قاسية ووصلت اخبار بعض الاشتباكات ـ في يوم ٧ رمضان مثلاً ـ الى القائد الأعلى الذي قاد قوة معه واقتحم بها المعركة ونجح في تحويل الموقف وتحقيق النصر ، وابادة العدد الأكبر من قوة العدو التي قامت بالعبور حتى بلغ عدد القوامس ـ الكونت ـ الذين سقطوا فوق أرض المعركة (٢٠ كونتاً) .

– على أثر هذه الاشتباكات ، قرر القائد الأعلى ، نقل المعسكر الى برهون والتوقف على مسافة مناسبة من العدو ، للأسباب التالية :

– اخفاء الاستعدادات للمعركة عن أنظار العدو وعناصر استطلاعه ..

– التوقف في منطقة مناسبة لاستقبال قوات الدعم واعادة تنظيمها .

– انتظار الفرصة المناسبة للقيام بهجوم حاسم وذلك بمتابعة استطلاع العدو .

– الابتعاد عن مواقع كمائن العدو ، لحماية قوات المسلمين ، والحفاظ على استعدادها القتالي وروحها المعنوية .

– انتقل القائد الأعلى بمعسكره الى « برهون » ووصل الفتى الكبير الجعفري من قرطبة ومعه كتائب من بقايا صنف الاجناد والعبيد والرماة والوفود ، بالاضافة الى ارتال متصلة من المواد التموينية والأعتدة والأسلحة والتجهيزات القتالية .

– كان التجاوب بين عمليات جبهة الشمال وبين جماهير الشعب قوياً ، وكانت تستغل كل مناسبة لاثارة الحماسة ودفع المتطوعين للالتحاق بجيش المسلمين حتى أن احد المشيعين لجنازة الزاهد المعروف بالحضرمي ، أفاد من الحشد الكبير الذي خرج لتشييع الراحل فوقف خطيباً وكان مما قاله :

[.. عباد الله ، أخلصوا دعاءكم وارفعوا اليه اصواتكم بالنداء والابتهال في حقن دماء اخوانكم المؤمنين وأوليائكم المسلمين اهل حصن غرماج الذين قد احاط بهم جمع المشركين واخذوا بمخنقهم واستطالوا عليهم بكثرتهم ..][1] .

– وكان من الطبيعي ان تتفاوت درجة الحماسة للمعركة في اوساط اجهزة الحكم ، ولمس الحكم المستنصر قصوراً عند البعض فأصدر أوامره بترفيع عبد العزيز بن حكم التجيبي من منصب قيادة الشرطة الوسطى الى قيادة الشرطة العليا ، كما تم عزل احمد بن سعيد الجعفري عن الشرطة العليا ويعلي بن احمد

....

(١) ابن حيان – تحقيق الحجي – ٢٢٩ .

ابن يعلي عن الشرطة الوسطى ، وصدرت الأوامر اليهما للالتحاق بجيش الصائفة كمقاتلين عاديين ليس لهمـا دور قيادي . وصدرت تعيينات اخرى لصالح العمليات في الشمال ..

و – المعركة الحاسمة :

– مضت فترة تزيد على الشهرين منذ بداية العمليات ولم ينجح جيش الشمال في تحقيق نصر حاسم ، واستبطأ ملك ليون الفتح ، فتوجـه بنفسه لقيادة العمليات ومعه عمته « حلوريه – أو – حلويره » ، ودارت معارك ثانوية ثم عقد اجتماع بين :

– ملك بنبلونه « نافار » شانجه بن غرسيه بن شانجه (ومعـه صهره « ملك قشتاله ») .

– ملك قشتاله – غرسيه بن فردلنذ بن غندشلب .

– أمراء البه والقلاع – بنو غومس .

– ملك ليون – رذمير بن شانجه .

وكانت القوات التي تحت قيادتهم ٦٠,٠٠٠ ستون الف مقاتل (وقيل اكثر) وفي هذا الاجتماع، وضعت خطة الهجوم للمعركة الحاسمة وحدد توقيتها لتكون في يوم ١٥ شوال ، أي بعد مضي اربعة وسبعين يوماً على بداية حصار « حصن غرماج » ..

– في الموعد المحدد ، قامت قوات التحالف بهجومها الكبير الذي وضعت فيه جميع الامكانات ، ولكن حصن غرماج والمواقع الدفاعية فيه صمدت لقوة صدمة الهجوم ، واستطاعت تحطيم انقضاض العدو،وامتصاص اندفاعته الأولى، ثم انطلقت الحامية المدافعة عن الحصن بهجوم مضاد على بعض نقاط العدو التي ظهرت ضعيفة ، وامكن تحقيق نصر حاسم في هذه النقاط وتم تصعيد عمليـة الهجوم المضاد حتى تحولت الى هجوم عام اشترك فيه كل قادر على حمل السلاح

في غرماج ، وبدأت قوات العدو في الانسحاب ثم تحول الانسحاب الى هزيمة منكرة ، ولم تتمكن حامية حصن غرماج من مطاردة فلول العدو واستثمار الظفر بسبب :

- التفوق العددي الساحق للعدو .
- الخوف من الكمائن التي يحتمل للعدو تركها لحماية انسحابه .
- الحفاظ على قوة الحامية لمواجهة احتمال « غدر العدو » .

- وجهت الحامية المدافعة عن حصن غرماج مفارز صغيرة من قوتها وذلك للاستيلاء على الأعتدة الثقيلة والمواد التموينية وغيرها مما تركه العدو - تخففاً منه - واستطاعت هذه المفارز الحاق بعض الأذى بمؤخرة العدو - ساقته - وتكبيده بعض الخسائر ..

ز - استثمار الظفر :

- اعلمت الحامية المدافعة عن المدينة ، عن تفاصيل المعركة ، وطلبت الى القائد الأعلى الوزير غالب التقدم الى « حصن غرماج » لمجابهة احتمال قيام العدو بهجوم جديد . وأسرع القائد الأعلى فألقى بثقل قواته في غرماج وكتب الى الخليفة الحكم يعلمه عن عزمه على متابعة التقدم حتى « شنت اشتبين » لمطاردة العدو ، ثم انطلق بجيش الصائفة في اثر العدو .

وصلت قوات المسلمين حتى سهل « برلنقه » قريباً من « شنت اشتبين » فاصطدمت هناك بجيش قشتاله الذي كان يقوده غرسيه بن فرذلند ، ودارت معركة قصيرة وحاسمة انتهت بهزيمة جيش قشتاله وتمزيقه حيث لجأت فلول المنهزمين الى الجبال ، وانطلق المسلمون يدمرون المعاقل ويحرقون المزارع المحيطة بقلعة شنت اشتبين ، وأزالوا كل مقاومة فيها ..

ح - معركة ثانوية ، على مقربة من سرقسطه :

كان ملك ليون - رذمير بن شانجه - يعرف أن قادة الثغور قد حشدوا

قواتهم كلهم في قلعة غرماج ، ولم يكن يتوقع انفصال حاميات الثغور وعودتها بسرعة الى اقاليمها ، وأراد الانتقام لهزيمته ورفع الروح المعنوية لقواته وذلك بتوجيه ضربة الى سرقسطه.. ولكن عبد الرحمن بن يحيى قائد شرطة سرقسطه انفصل بقوته بعد معركة « قلعة غرماج » مباشرة ، وسلك محور التقدم الى الثغر .

– خلال مرحلة التقدم في الشمال ، وجد قائد الشرطة عبد الرحمن بن يحيى ابن محمد بن هاشم التجيبي بعض الشواهد التي تشير الى تقدم العدو نحو سرقسطه ، فاتبع الأثر ، وأرسل الطلائع ، وعناصر الاستطلاع ، الى جبل بردنيه المشرف على نهر ابره ، وتوفرت المعلومات عن وصول العدو الى قرية استركور – أو – اشتركوي ، جنوب مدينة تطيله ، وعلى مسافة ميل واحد فقط على محور سرقسطه – الجنوب .. واصطدمت عناصر الاستطلاع بالعناصر الوقائية لجيش ليون، وبعد معركة قصيرة وصلت القوات الرئيسية للمسلمين واستطاعت تدمير العناصر الوقائية للخصم والحصول على بعض الأسرى ، ولدى استجواب هؤلاء تبين ان رذمير بن شانجه ملك ليون ، خرج من حصن شوش بقوة خمسمائة فارس ، وأنه دفع قوة الاغارة التي دمرتها قوات المسلمين وعددها مائتي مقاتل واحتفظ ببقية القوة في موقع قريب من نهر ابره .. وهنا أسرع قائد الشرطة التجيبي وقاد قواته نحو الموقع المحدد ، وعندما شعر رذمير ، باقتراب قوة المسلمين قام بانقضاض سريع ، وبعد معركة قصيرة وحاسمة ، مزقت قوات رذمير ، وسقط فوق أرض المعركة أفضل قادته مثل فرتون بن لب حاكم حصن شوس من قبل رذمير .. وفرتون محونس والدليل « نيقه بن بلشك » في حين هرب الملك رذمير مع قوة صغيرة من جنده ، وقام فرسان المسلمين بالمطاردة حتى ابتعد كل أثر لقوة ليون ، وعمل قائد الشرطة – التجيبي – على اعلام الخليفة الحكم بتفاصيل العملية .

- بهذه العملية امكن للحكم تمزيق قوة تحالف دول الشمال ، التي لم تلبث ان طلبت عقد الهدنة ، ثم وقعت بها احداث داخلية شغلتها عن الاستمرار في العدوان على ثغور المسلمين .

تصعيد استراتيجية الردع
في عهد الحاجب المنصور
٣٦٦ - ٣٩٣هـ = ٩٧٦ - ١٠٠٢م

١ - قتال مستمر :

أ - توفي الخليفة الحكم المستنصر ، وولي ابنه المؤيد هشام وهو غلام لا يزيد عمره عن تسع سنين، وقامت أمه صبح البشكنسية بالاشراف على الحكم وكان اعتمادها على وزيريها الحاجب المصحفي والحاجب ابو عامر محمد بن أبي عامر المعافري المعروف بالمنصور ..

- استقبلت دول الشمال وفاة الحكم المستنصر بالارتياح، وأسرعت كعادتها لاجراء عملية السبر، فتقدمت قوات ليون «جيليقية » حتى وصلت قلعة رباح ، وأحاطت بها ، فأظهر الحاجب المصحفي تخاذلاً في مجابهة العدوان.، وأفاد المنصور الحاجب من هذه الظاهرة لاثبات مقدرته القيادية وكفاءته في معالجة المواقف الخطرة ، واكتساب مزيد من ثقة والدة المؤيد « صبح البشكنسية » . فبينما كانت أوامر الحاجب المصحفي تتلخص بنصح أهل « قلعة رباح » بتدمير قناة المياه التي ترفد المدينة بالحياة - وذلك لحرمان العدو من استثمارها - واذا بالحاجب المنصور يصدر أوامره لحشد القوات وقام بقيادتها لردع قوات العدوان.

---

(١) المغرب في حلى المغرب ١/١٩٥ ، وفيه (.. كانت النصرانية قد جاشت بموت المستنصر وجاء صراخهم الى باب قرطبة . وظهر من المصحفي جبن وأمر أهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم يلتمس بذلك دفاع العدو عن حوزته ، فأنف ابن أبي عامر من ذلك وقام بأمر الجهاد ، ووعد من نفسه الاستقلال على أن يختار الجهاز ويعان بمائة الف مثقال. فلما قفل ظافراً وقد ملك الجند بما رأوه من حسن كرمه سمت همته وأخذ نفسه بالتغلب على مكان المصحفى ..) .

- لم يعمل الحاجب المنصور على مجابهة قوات العدوان في قلعة رباح بل عمل على نقل المعركة الى قلب بلاد العدو ، فقاد قواته الى حصن الحامه «في جيليقيه» فحاصره وسيطر بقواته على الاقليم كله وعزل الحصن عزلاً تاماً حتى نجح في اخضاعه. وبعد ثلاثة وخمسين يوماً من بداية انطلاق قوة الردع ، عاد الحاجب المنصور بالجيش وهو مثقل بالغنائم والسبي ، وعمل الحاجب المنصور على منح المقاتلين الهبات والهدايا الكثيرة فأحبه الجند والتفوا حوله ، واستعان بالوزير أبي تمام غالب الناصري ، فتم تقسيم قيادة القوات بحيث اصبحت قوات الثغور بقيادة غالب الناصر وقيادة الجيش في قبضة الحاجب المنصور[1] ..

ب - لم يمض على بداية الغزوة الاولى اكثر من ثلاثة اشهر ، وفي عام ٣٦٦ هـ - ٩٧٦م ايضاً ،قاد الحاجب المنصور جيش الحضرة الى الشمال والتقي بمدريد مع قائد قوات الثغر الوزير غالب ، وانطلقا معا ، وافتتحا عدداً من الحصون بينها « حصن موله » ، وكان اكثر الأثر فيها للوزير غالب الذي عمل على نسب الانتصارات لابن عامر بموجب اتفاق بينهما وذلك لتعزيز مكانة ابن عامر في قرطبة وتوفير الفرصة للتخلص من الحاجب المصحفي ،وعاد ابن عامر الى قرطبة محملاً بالغنائم الكثيرة والسبي الكثير .. ونجحت الخطة فتم اقصاء المصحفي وتولى ابن عامر ولاية الشرطة والجيش ، ولم يلبث ابن عامر حتى تزوج بأسما ابنة الوزير غالب الناصري .

- ومهما كانت طبيعة الحوافز التي دفعت الحاجب المنصور للغزو ، فقدكانت هذه البداية كافية لاشعار دول الشمال باستمرار الاستراتيجية التي طبقت في عهدي

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ٢ - ٣٩٤ ٣٩٥ . وفيه .. (لم يزل ابن أبي عامر يقوم بشأن ، الخليفة هشام ، ويخدمه داخل الدار عند السيدة أم هشام وسائر الحرم حتى تم مراده فيه كي يستعين به على اهلاك المصحفي فانهض غالباً الى خطة الوزارتين وانفذ اليه كتاب الخليفة بذلك وأمره بالاجتماع مع ابن أبي عامر على التدبير عل الصوائف ، على أن يدير ابن ابي عامر جيش الحضره ويدير غالب جيش الثغر .

عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر . واقناع ملوك هذه الدول بتوفـــر قيادة قادرة على ممارسة أعمال الردع ومجابهة كل عدوان .

ج - في عام ٣٦٧ ﻫ - ٩٧٧م : قـــاد الحاجب المنصور للمرة الثالثة جيش الأندلس ووصل طليطلة حيث اجتمع مع صهره الوزير غالب وسارت قواتهما معاً لاحتلال الحصون ، فتم لهما الاستيلاء على حصن المال وحصن رنيق وتابعت قواتهما تقدمها في مملكة ليون ، فسيطرت على اقليم (شلمنقة ـ سلمنقة) واستولـت على ما فيه من غنائم وسبي ، واعملت في الحصون تدميراً وفي المزارع احراقاً ثم عاد الحاجب المنصور الى قرطبة بعد أربعة وثلاثين يوماً من خروجه . وكان لمـا حققه من نصر في ردع دول الشمال وما أنجزه في سياسته الداخليـة من سيطرة قوية ونشر للأمن دور كبير في استلامه « خطة الوزارتين » واحتلال مركـــز السلطة في دولة الأندلس .

[.. انصرف الحاجب المنصور بعد ذلك الى توطيد سلطته والقضاء على منافسيه بضرب بعضهم ببعض وتصفيتهم واحداً بعد الآخر حتى لم يبق من مراكز القوى المناوئة له سوى الوزير غالب الناصري . فأخذ في الاعداد لذلك والاعتماد على البربر وتشجيعهم على الانتقال من عدوة المغرب والانضمام الى قوته ، (فانثالوا على ابن ابي عامر وما زالوا يتلاحقون وفرسانهـــم يتواترون .) ثم عين الحاجب المنصور وزيراً له من زناته وهو جعفر بن علي ابن حمدون وبذلك أصبحت سيطرة البربر كاملة على الدولة العامرية . واستطاع الحاجب المنصور أن يستعين بهم للقضاء على منافسيه جميعاً . كما اتبع الاسلوب ذاته في تصفية مراكز القوى بين البربر وذلك بضرب زعماء البربر بعضهم ببعض ، والافادة من التناقضات لتدعيم مركزه ، فأصبحـت سيطرته قوية على الداخل مما جعله قادراً على الانطلاق في اعمال غزو الشمال من قاعدة قوية ، وزج كل الامكانات والقوى في جبهة واحدة ...][1] .

---

(١) ابن الأثير ٧ - ٢١٧ حوادث سنة ٣٩٣ ﻫ وابن عذارى ٢ - ٤١٦ ونفـح الطيب ٣٩٧/١ ، وابن خلدون ٤ - ١٤٧ .

د – تابع الحاجب المنصور تنفيذ استراتيجية الردع فكان له في كل عام غزوتين أو أكثر بين صائفة وشاتية .

– ففي عام ٣٧١ هـ – ٩٨١م ، استولى الحاجب المنصور على سمورة ،وأعمل فيها احراقاً وتدميراً ، وسبياً .

– وفي عام ٣٧٣ هـ – ٩٨٣م ، انتقل أولاد زيري بن مناد ، وهم زاوي وجلاله وماكسن اخوة بلكين الى الاندلس فاستقبلهم الحاجب المنصور ، وطلبوا اليه السماح لهم بمشاركته شرف القتال ومما قالوه له : [**انما اخترناك على غيرك ، وأحببنا أن نكون معك نجاهد في سبيل الله ..**] واشترطوا الانفراد بالأعمال القتالية وحدهم ، فعمل الحاجب المنصور على تسليحهم وتزويدهم بالخيل والاموال والأدلاء . فاقتحموا حدود جيليقية ليلا وأقاموا كمائنهم في الحقول القريبة من المدينة وقتلوا كل من بها بهدف تحقيق المباغتة والمحافظة على السر ، فلما اصبحوا خرج جماعة من البلد فضربوا عليهم وأخذوهم وقتلوهم جميعهم فرجعوا ، وتسامع العدو ، فركبوا في أثرهم ، فلما أحسوا بذلك كمنوا وراء ربوة فلما جاوزهم العدو خرجوا عليهم من ورائهم وضربوا في مؤخرتهم – ساقتهم – وكبروا ، فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا أن العدد كثير ، فانهزموا وتبعهم جند صنهاجة فقتلوا خلقاً كثيراً وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا الى قرطبة . وأثارت هذه الغزوة حماسة العرب وهم ينطلقون بجموعهم الكبيرة التي تم حشدها من جميع الاقطار لغزو ليون .

هـ – غزوة ليون ٣٧٣ هـ – ٩٨٣م ، انطلق الحاجب المنصور بجيشه الكثيف الى ليون ، عاصمة مملكة ليون ، وعندما وصلها ضرب حصاراً حولها ، وطلب ملك ليون الدعم من الدول المجاورة ، فأمده الافرنج بجيوش كثيرة . ووقعت معارك ضارية اتصل فيها القتال ليلاً ونهاراً ، وأظهر الافرنج قدراً كبيراً من الصمود ، كما أظهر المسلمون ارادة أقوى على انتزاع النصر ، وخلال مراحل

الصراع استشهد عدد كبير من قادة الروم ، وأخذ الموقف في التحول لصالح المسلمين ..

[... وحمل المسلمون على النصارى فانهزموا الى بلادهم وقتل منهم ما لا يحصى وملك المدينة وغنم ابن أبي عامر غنيمة لم ير مثلها واجتمع من السبي ثلاثون ألفاً ، وأمر بالقتلى فنضد بعضها على بعض وأمر مؤذناً فأذن فوق القتلى المغرب .. وخرب مدينة ، قامونة - قد تكون سيمانقة - وعاد جيش الحاجب المنصور الى قرطبة ...][1] .

و - وفي عام ٣٧٦ هـ - ٩٨٦ م : قاد الحاجب المنصور جيشه ، واستطاع اقتحام أسوار برشلونه واحتلالها وفرض سيطرته عليها بعد أن طال انفصالها عن دولة الأندلس الاسلامية وخضوعها لملوك فرنسا - الكارولنجيين - بصورة اسمية .

ز - غزوة البياض ٣٧٩ هـ - ٩٨٩ م : أعلن عبد الله بن الحاجب المنصور تمرده على أبيه واعتصم بشنت اشتيبين « سان استيفان » ، فقاد المنصور الجيش وحاصر « شنت اشتبين » فهرب عبد الله والتجأ الى البشكنس « ووعده ملك البة والقلاع « غرسية بن فرذلند » بالحماية والدعم ، فتحرك الحاجب المنصور في اتجاه منطقة « البشكنس ، الباسك » وطالب غرسيه بتسليم ابنه عبد الله فرفض الملك غرسية ، فأقسم الحاجب المنصور ألا ينسحب أو يعود الى قرطبة قبل أن يتسلم عبد الله ، وتقدم نحو الشمال فاصطدم بمقاومة البشكنس ، ونجح في ازالة المقاومات الصغرى ثم جابه جيش البشكنس فمزقه وتابع تقدمه فاحتل حصن وخشمة « او سمة » وأنزل بها رابطة من المسلمين ، وعندما وصل الموقف الى هذه المرحلة من التدهور وأدرك غرسية أن الحاجب المنصور مصمم على الاستمرار حتى يحقق أهدافه أرسل اليه وفداً للتفاوض وأعلن عن استعداده لقبول شروط الحاجب المنصور جميعها ، ودفع عبد الله وغيره من اللاجئين الى « البشكنس » .

(١) الكامل ، ابن الاثير ٧ - ١٢٠ .

وتم الاتفاق على عقد الصلح وبعث المنصور من تسلم اللاجئين وأصدر أوامره بقتلهم بما فيهم ابنه عبد الله [1] .

ج - وعندما رجع جيش الحاجب المنصور ، أفاد « ملك ليون - قشتالة » فحشد قواته واندفع بقواته متجاوزاً الحدود فتصدى حاكم مدينة سالم « الوزير قند » للعدوان ، وتوجه بقواته الى حدود ليون فتجاوزها وأعمل في سهولها احراقاً وفي قلاعها تدميراً وحصل على غنائم كبيرة ثم اكتفى بهذا القدر من الردع وأخذ في الانسحاب والتراجع ، فعمل غرسية ملك ليون على قيادة قطعة مختارة من قواته محاولاً ضرب قوة الثغر التي يقودها الوزير قند . ولكن قوة الثغر جابهت محاولة غرسية بقوة ، وصمدت في القتال ونجحت في انتزاع النصر والحصول على عدد من الأسرى بينهم غرسية ملك ليون ، وكان غرسية جريحاً . فبذل الوزير قند العناية اللازمة ولكنه لم ينجح في انقاذ اسيره من الموت . فعمل على « حز رأسه » ووضعه في تابوت وأرسله الى قرطبة ، واحتفظ بجسده وأعلم الحاجب المنصور بمسيرة الاحداث ونتيجتها . وتولى شانجة بن غرسية الحكم ، فعقد الصلح مع الحاجب المنصور ، وطالب استلام جثة والده ، فتم ارسالها اليه [2] .

ط - وفي عام ٣٨٥ هـ - ٩٩٥ م: وجه الحاجب المنصور جيشاً كبيراً للغزو في مملكة ليون ، وحقق الجيش انتصارات كبرى ، وأمكن له أسر أعداد كبيرة كان فيهم غرسية بن شانجة بن غرسية ملك ليون ، الذي حمل إلى قرطبة وهو طفل فأقام في قرطبة فترة طويلة ، وتعهده الحاجب المنصور بالرعاية والعناية [3] .

وفي عام ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م : قام المنصور بغزو « شانت ياقب » في جيليقية . ونظراً لأهمية هذه الغزوة ، فسيتم استعراض احداثها ببعض التفصيل .

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ٢ - ٤٢١ .

(٢) ابن بسام - الذخيرة ، القسم الرابع ٣١ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ٧ - ١٧٣ .

٢ - معركة « شنت ياقب »

٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م

١ - الوضع العام :

استطاع الحاجب المنصور ، اخضاع شبه الجزيرة لحكمه ، ونجح في ردع المقاومات الشمالية ، ورغم ذلك فقد استمر الدور التآمري للكنيسة ضد دولة قرطبة ، وكانت مملكة - ليون قشتاله - كعهدها ، المركز الاساسي للتآمر ، بسبب قوتها وبسبب موقعها في مناطق جبلية صعبة ، وقد حاول اكثر من خليفة التوغل في اقاليمها ولكن جميع المحاولات لم تحقق نصراً حاسماً وهذا ما دعم من مكان مملكة ليون وزاد من قوتها حتى أصبحت معقد الآمال عند دول نصارى الشمال لضرب الحكم العربي الاسلامي وممارسة دور قيادي في اضعاف قوة العرب - المسلمين واستنزافها ..

- كانت « شانت ياقب » في جيليقية تحتل مكانة خاصة بسبب وجود قبر القديس يعقوب - احد الحواري الاثني عشر [.. **وكان أخصهم بعيسى عليه السلام .. وهم يسمونه اخاه للزومه اياه .. وكان اسقفاً ببيت المقدس فجعل يستقري الأرضين داعياً لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصيه ، ثم عاد الى ارض الشام ، فمات بها وله مائة وعشرون سنة شمسية ، فاحتمل اصحابه رمته فدفنوها بهذه الكنيسة التي كانت أقصى أثره ...**] [١] .

أخذ - موريفانو - بعد ذلك في اضفاء هالة حول مكانة القديس بطرس ، فتحولت مدينة « شانت ياقب »[٢] الى مدينة مقدسة يتوافد اليها الحجاج من اوربا كلها وتحتل المرتبة الثالثة بعد القدس ، وروما .. وعندما جاء الفونسو الثاني أعاد بعث أسطورة القديس يعقوب على اعتباره حامي جزيرة ايبيريا وسيدها

---

(١) نفح الطيب ١ - ٤١٤

(٢) شنت ياقب : Santiago de Compostela

وتعلقت الآمـال بحماية القديس لجزيرة الاندلس وتخليصها من المحن المدمرة التي تتعرض لها ، وقد وضعت طقوس خاصة وأناشيد حماسية لتمجيد القديس يعقوب ودفع النصارى الى التضحية والجهاد ضد الكفار - الذين هم المسلمون - .

- ونظـراً لوقوع « شنت ياقب » في أقصى الشمال الشرقي من الاندلس في وسط مناطق صعبة ، فقد استحال على قوات المسلمين فتحها والوصول اليهـا ، وبقيت معقل الثائرين وموئل المتمردين .

٢ - الوضع الخاص :

- وجد الحاجب المنصور ان اقنـاع مملكة ليون « اشتوريش » بالتوقف نهائياً عن ممارسة كل أعمال عدوانية يتطلب القيام بهجوم كبـير يصل حتى « شنت ياقب » ذاتها ، وكانت الأوضاع الداخلية ، والاستقرار ، وتعاظم قوة جيش الاندلس ، واخماد الفتن في عدوة المغرب من العوامـل المساعدة لاخراج مشروع الهجوم الكبير من « عالم الفكر » الى « واقع التنفيذ » فأصدر الحاجب المنصور أوامره بالاستعداد للعملية ..

- كان قصر أبي دانس[1] ، هو القاعـدة الرئيسية للأسطول على المحيـط الأطلسي فعمل المنصور على انشاء أسطول كبير في هذه القاعدة ووجـه اليها قوات كبرى من رجال البحرية وقوات المشاة « الرجالة » كما نقل اليها كميات كبرى من الأسلحة والأعتدة والأطعمة .. وأظهر اهتماماً خاصـاً بالوحـدات الهندسية لاقامة الجسور وتسوية الطرق وحفر الانفاق وجهزها بالأعتدة الثقيلة الضرورية للغزو ..

- في الوقت الذي كانت فيه الاستعدادات للتحرك البحري تسـير في قصر أبي دانس بخطوات متسارعة ، كانت قرطبة تشهد استعداداً مماثلاً في تجهـيز قوات الفرســان وحشدها من كافة أقاليم الأندلس ، وعندما انتهت مرحلة

(١) قصر ابي دانس : Alcacer - do - Sol ، مرسى الاسطول على ساحـل البرتغال جنوب لشبونه ..

الاستعداد ، أصدر الحاجب المنصور أوامره بالتحرك وبدأت جحافل الفرسان في الانطلاق من قرطبة بينما كانت الوحدات البحرية المحملة بقوات المشـــاة والمهندسين والشؤون الادارية تغادر ميناء قصر ابي دانس يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة هـ - ٩٩٨ م .

٣ - مسيرة العمليات :

كانت هذه الغزوة هي الثامنة والأربعون في سجل غزوات الحاجب المنصور ، وكان الصراع المستمر ، والقتال المتصل قد أكسب المقاتلين خبرات كبيرة ، كما كانت الانتصارات المتلاحقة قد أكسبت الجند روحاً معنوية عالية وثقة بقيادتهم وقدرتهم على انتزاع النصر ومجابهة التحديات جميعها .

- كانت المرحلة الاولى من تقدم القوات الضاربة - الفرسان - تهـدف الوصول الى قوريه[1] ، وفي هذه المدينة الواقعة على الحدود الجنوبية لمملكة ليون توقف الحاجب المنصور فترة قصيرة [.. **فوافاه عــدد عظيم من القوامس « جمع قومس - كونت » المتمسكين بالطاعة في رجالهم ، وعلى أتم احتفالهم فصاروا في عسكر المسلمين .. وركبوا في المغاورة سبيلهم ..**]

- تابعت القوات تقدمها في المرحلة الثانية ، وتم الوصول الى ميناء « بورتو - البرتغال »[2] على نهر دويره ، حيث تم وصول القوات البحرية وبدأت عمليـة انزال القوات ، وقامت وحدات الهندسة بدفع الاسطول في النهر الى الموضـع الذي تقرر العبور منه ، وعقد هناك جسر من هذا الاسطول على مسافـة قريبة من الحصن الذي يقف بأسواره لحراسة الاقليم في اتجاه المحيط ، وامكن احتلال الحصن بسرعة ، وتمت عملية اعادة تنظيم القوات والامداد بالأغذية والمتطلبات الادارية ثم انطلق الجيش الكبير نحو أهدافه .

---

(١) قوريه Coria : تقع على رافد من روافد التاج ، شمال مارده .

(٢) البرتغال - بورتو - Porto على نهر دويره Duero - Duoro .

تابع جيش المسلمين تقدمه على محور مواز لساحل المحيط الأطلسي، وتجاوز في تقدمه مجموعة من المواقع الطبيعية وعبر مجموعة من الانهار والخلجان المتصلة بالمحيط .. ثم وصلت القوات الى سهول « فرطارش – أو – فلطارش » الواقعة جنوب نهر « منهو »[1] ثم اصطدمت القوات بسلسلة الجبال الواقعة بين السهل وبين مجرى نهر منهو ، وحاولت عناصر الاستطلاع البحث عن محور للمرور ، وعندما لم تعثر الوحدات على الممر ، دفع الحاجب المنصور وحدات الهندسة [.. **فتقدم الفعلة بالحديد لتوسعة الشعاب وتسهيل المسالك الجبلية ..**] وعبرت الوحدات المضائق الجبلية ثم قامت بعبور نهر منهو ، واندفعت قوات الفرسان بعد ذلك في السهول الشمالية حتى وصلت دير قسطان[2] وسهل بلنبو[3] على المحيط الاطلسي وفتحت حصن سانت بلاي[4] وغنمت ما فيه ، ثم عبر الجند سباحة الى جزيرة قريبة لجأ اليها [.. **خلق عظيم من اهل تلك الناحية .. فسبوا من فيها ممن لجأ اليها ..**]

– وصل جند المسلمين في تقدمهم حتى جبل مراسيه[5] [المتصل من أكثر جهاته بالبحر المحيط .. فتخللوا أقطاره .. واستخرجوا من كان فيه وحازوا غنائمه ، ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليجاً في معبرين أرشد الأدلاء اليهما .. ثم نهر ايله[6] ، ثم افضوا الى سهول – بسائط – واسعة العمارة ، منها سهول اونبه وقرجيطه ودير شنت بريه ، ثم انتهوا الى موضع من مشاهد صاحب القبر ، تلو مشهد قبره عند النصارى في الفضل ، يقصد نساكهم له من أقاصي بلادهم ومن بلاد القبط والنوبه وغيرهما .. فغادره المسلمون قاعاً ..]

....

(١) نهر منهو أو منيه – ومنيو : Minho - Rio Mino .

(٢) دير قسطان او دير قسان .

(٣) نفح الطيب ١ / ٤٥١ وفي البيان المغرب – بلنبوط و « بيلنوا » .

(٤) وفي نفح الطيب شنت بلايه : San Pelayo .

(٥) جبل مراسيه : M. Morrazo .

(٦) نهر ايله : R. Ulla .

– وصل جيش الحاجب المنصور الى هدفه النهائي واندفعت القوات نحو « شنت ياقب » واقتحمتها ، وكان أهلها قد غادروها ، فحاز المقاتلون ما ضمته المدينة من غنائم ، وهدموا مصانعها وأسوارها و كنيستها ، وكلف الحاجب المنصور مفرزة بمهمة حماية قبر القديس يعقوب والمحافظة عليه ، واستمرت أعمال التدمير حتى تحولت المدينة الى مجموعة من الانقاض .. واندفعت بعد ذلك الى جزيرة «شنت مانكش» [.. **منقطع هذا الصقع على البحر المحيط، وهي غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ، ولا وطئها لغير أهلها قدم ، فلم يكن بعدها للخيل مجال ولا وراءها انتقال ..]** ..

– كان نجاح الحاجب المنصور في غزو شنت ياقب رائعاً ، ولم تصطدم قواته بمقاومة تذكر ، فأعاد تنظيم جيشه واختار لطريق العودة محوراً جديداً ، فقد أراد استثمار موقفه لغزو مملكة نافار من الشمال ، فأطلق جيشه يعمل تدميراً واحراقاً حتى وصل حصن بلقيه[1] فعمل على افتتاحه ، وتوقف قليلاً لوداع القوات التي انضمت اليه في قوريه ، [**فأجاز هنالك القوامس بجملتهم على اقدارهم ، وكساهم ، وكسا رجالهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بلقيه، وكان مبلغ ما كساه في غزاته هذه لملوك الروم ولمن حسن غناؤه من المسلمين الفين ومائتين وخمساً وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازي ..]**

ورجعت القوات الى قرطبة وعلى قيادتها الحاجب المنصور وهي تحمل أكاليل الغار والغنائم الكبيرة دون أن تتكبد في غزوتها شيئاً من الخسائر[2] ..

---

(١) بلقيه وهي عند ابن عذارى مليقه ولعلها لميقه ـ لاميجو Lamego .

(٢) نفح الطيب ١ / ٤١٣ – ٤١٦ ، وابن عذارى ٢ / ٤٤٠ – ٤٤٣ .

منجزات الحاجب المنصور
وأسلوب عمله

كان الحاجب المنصور يعتمد – وبالدرجة الأولى – على الاستطلاع والجاسوسية وجمع المعلومات الدقيقة عن موقف الصديق والعدو مما كان يساعده على اتخاذ القرارات الصحيحة ، وهناك أكثر من حادثة يمكن الاستشهاد بها لاثبات هذه الحقيقة ومنها ما يلي :

١ – [... كان – الحاجب المنصور – جالساً في بعض الليالي وكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر ، فدعا بأحد الفرسان وقال له : انهض الآن الى فج طليارش وأقم فيه فأول خاطر يخطر عليك سقه إلي ، قال : فنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والريح والمطر واقفاً على فرسه ، إذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له ومعه آلة الحطب ، فقال له الفارس : إلى أين تريد يا شيخ ؟ فقال : وراء حطب ، فقال الفارس في نفسه : هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حطباً فما عسى أن يريد المنصور منه ؟ قال : فتركته فسار عني قليلاً ثم فكرت في قول المنصور ، وخفت سطوته فنهضت الى الشيخ وقلت له : ارجع الى مولانا المنصور ، فقال له : وما عسى ان يريد المنصور من شيخ مثلي ؟ سألتك بالله ان تتركني لطلب معيشتي . فقال له الفارس: لا أفعل ، ثم قدم به على المنصور ، ومثله بين يديه وهو جالس لم ينم ليلته تلك ، فقال المنصور للصقالبة : فتشوه ، ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً ، فقال : فتشوا برذعة حماره ، فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى اصحابهم من النصارى ليقبلوا ويضربوا في احدى النواحي (الموصوفة) . فلما انبلج الصبح أمر باخراج اولئك النصارى الى باب الزاهرة ، فضربت اعناقهم ، وضربت رقبة الشيخ معهم ...] [١] .

....

(١) نفح الطيب ١ / ٤١١ وابن عذارى ٢ / ٤٣٤ .

٢ – وكان الحاجب المنصور يتبع اكثر من وسيلة للحصول على المعلومات عن خصومه وكانت بعض وسائله إرسال مندوبين عنه للقيام بجولات في أقاليم ممالك الشمال المعادية له ، وقام واحد من هؤلاء المندوبين بجولة في مملكة البشكنس حيث استقبله ملكها « غرسيه » استقبالاً جيداً ، ثم انطلق المندوب للقيام بجولة في أنحاء المملكة بحيث لم يترك موقعاً أو مدينة أو قلعة إلا قام بارتيادها ،وفي ذات يوم وبينما هو يتجول في احدى الكنائس تقدمت اليه سيدة عربية وقالت له [... **بعد ان عرفته بنفسها : أيرضى المنصور أن ينسى بتنعمه بؤسها ويتمتع بلبوس العافية وقد نضت لبوسها ، وزعمت أن لها عدة سنين بتلك الكنيسة محبسة وبكل ذل وصغار ملبسه وناشدته الله في انهاء قصتها وابراء غصتها واستحلفته بأغلظ الايمان، واخذت عليه في ذلك أوكد مواثيق الرحمن** ..]

عاد الموفد الى قرطبة واجتمع بالمنصور ، وعرفه بما يجب تعريفه به واعلامه ، وهو مصغ اليه حتى تم كلامه ، فلما فرغ قال له المنصور : **هل وقفت هناك على أمر أنكرته، أم لم تقف على غير ما ذكرته ؟..** فأعلمه بقصة المرأة وما خرجت عنه اليه ، وبالمواثيق التي أخذت عليه ، فعاتبه ولامه على أن لم يبدأ بها كلامه ، ثم أخذ للجهاد من فوره ، وأصبح غازياً ، ووصلت أخبار الهجوم الى ملك البشكنش غرسيه ، فأرسل رسالة يستوضح سبب الهجوم المباغت ونقض اتفاق السلم المعقود . فأجابه الحاجب المنصور : ان الاتفاق المعقود ينص على اطلاق سراح جميع الأسرى ، وان هناك أسيرة في تلك الكنيسة .. وأقسم الحاجب المنصور أمام الوفد المكلف بنقل رسالة الملك غرسيه انه لن ينسحب بقواته حتى يكتسح أرض البشكنش ويطلق سراح الأسيرة . فأرسل ملك البشكنش الوفد مرة اخرى للاعلام بأن غرسيه لم يكن على علم بأمر هذه الأسيرة وأنه أرسلها على الفور مع اثنتين، وعلاوة على ذلك فانه [**بالغ في هدم الكنيسة تحقيقاً لقوله والتزاماً بوعده .. وتضرع اليه في الأخذ فيه بطوله** ..] **فاستحيا الحاجب**

المنصور ، وصرف الجيش،وأوصل المرأة الى نفسه ، والحف توحشها بأنسه، وغير من حالها ... وحملها الى قومها ...] [1] .

٣ – وكان الحاجب المنصور يعتمد اسلوب « الشورى » في اتخاذ قراراته ، ولكنه لم يكن يستسلم لآراء مستشاريه دائماً ، بل كثيراً ما كان يخالفهم معتمداً على ما يحصل عليه من معلومات بوسائله الخاصة ، كما انه كان يرفض في معالجة الأمور بالأساليب الروتينية التي كانت تسير عليهـا امور الدولة ، وبمعنى اوضح فانه لم يكن يستسلم لطبقـة « البيروقراطيين » حسب التعبير العلمي الحديث ..

٤ – وكان الحاجب المنصور ايضاً يعتمد اسلوب تصعيد الردع لاقناع خصومه باستحالة الاستمرار في مقاومته ، كما كان يتبع في حروبه أساليب متنوعـة ووسائل مختلفة وبذلك استطاع تحقيق انتصاراته الحاسمـة ، ويمكن استقراء أسلوبه المذكور من خلال القراءة التالية :

(أ – ... كان – للحاجب المنصور – في كل غزوة من غزواته المنيفـة على الخمسين مفخرة من المفاخر الاسلامية،فمنها ان بعض الأجناد نسي رايتـه مركوزة على جبل بقرب احدى مدائن الروم ، فأقامت عدة أيام لايعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العسكر .. وهذا بلا خفاء مما يفتخر به أهـل التوحيد على أهل التثليث لأنهم لما أشرب قلوبهم خوف شرذمة المنصور وحزبه ، وعـلم كلٌ من ملوكهم أنه لا طاقة له بحربه لجأوا الى الفرار والتحصن بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف من بُعدٍ والاطلاع ...) [2] .

(ب – ... ومن مفاخر المنصور في بعض غزواته أنه مر بـين جبلين عظيمين في طريق عرض بريد بوسط بلاد الإفرنج،فلما جاوز ذلك المحل – وهو آخذ في التحريق والتخريب والغارات والسبي يميناً وشمالاً – لم يجسر أحد من

---

(١) ابن عذارى ٢ – ٤٤٤ – ٤٥٥ ونفح الطيب ١ – ٤٠٤
(٢) نفح الطيب ١ – ٥٩٥ .

الإفرنج على لقائه ، حتى أقفرت البلاد مسافة أيام ، ثم عاد فوجد الإفرنج قد استجاشوا مَنْ وراءهم ، وضبطوا ذلك المدخل الضيق الذي بين جبلين ، وكان الوقت شتاء ، فلما رأى ما فعلوه رجع واختار منزلاً من بلادهم أناخ به فيمن معه من العساكر وتقدم ببناء الدور والمنازل ، ويجمع آلات الحرث ونحوها ، وبث سراياه فَسَبَتْ وغنمت ، فاسترق الصغار ، وضرب أعناق الكبار ، وألقى جثثهم حتى سَدَّ بها المدخل الذي من جهته ، وصارت سراياه تخرج فلا تجد إلا بلداً خراباً فلما طال البلاء على العدو أرسلوا اليه في طلب الصلح، وأن يخرج بغير أسرى ولا غنائم فامتنع من ذلك ، فلم تزل رسلهم تتردد إليه حتى سألوه أن يخرج بغنائمه وأسراه فأجابهم : إن أصحابي أبوا أن يخرجوا وقالوا : إنا لا نكاد نصل إلى بلادنا إلا وقد جاء وقت الغزوة الأخرى فنقعد ههنا الى وقت الغزاة فاذا غزونا عُدنا ، فما زال الإفرنج يسألونه إلى أن قرر عليهم ان يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم والسبي وأن يمدوه بالميرة حتى يصل إلى بلاده ، وأن ينحوا جيف القتلى عن طريقه بأنفسهم ففعلوا ذلك كله وانصرف ...)

– في عام ٣٩٣ هـ – ١٠٠٢ م ، وفي الوقت الذي فرض المسلمون سيطرتهم على الاندلس كلها ، وكان من المتوقع العودة الى غزو – غاليا – فرنسا . وبينما كان الحاجب المنصور يتابع أعمال الردع في الشمال، أصيب بالمرض ، فانسحب الى مدينة سالم ، وتوفي فيها وبها دفن .. وبذلك طويت صفحة خالدة من حياة الاندلس الاسلامية ، ولم تلبث ان تمزقت وحدة الاندلس السياسية بظهور ملوك الطوائف ، ثم لم تلبث ان انهارت الدولة الأموية وبدأ عهد جديد من الصراع بين العرب المسلمين وبين دول الشمال النصرانية ثم تطور الصراع الى اعلان الحرب الصليبية في الشرق والغرب ..

ولقد كانت دروس « فن الحرب » قد نضجت بفعل المعارك المتصلة بين العرب المسلمين وأعدائهم الذين أفادوا من هذه الدروس وعملوا على استخدامها ضدهم ..

لقـــد كان الصراع فوق ارض الاندلس مدرسة قتالية غنيـة بالدروس ، وان هذه الدروس ستبقى مفخرة من مفاخر العرب المسلمين ومأثرة خالدة في جملة مآثرهم ..

الغزو المضـــاد

- ما بعد المنصور - وبداية حركة الاسترجاع

أخذ بنيان الدولة الأموية في الانهيار بعد وفاة الحاجب المنصور ، بحيث لم تمر سوى فترة قصيرة هي في حدود العشرين عاماً حتى انتهت الدولة الأموية الى الزوال وتمزقت وحدة الاندلس تحت سيطرة ملوك الطوائف .

- لقد استطاع عبد الرحمن الناصر بناء دولة الأندلس القوية وجاء بعـــده الحكم المستنصر فعزز من قدرة الدولة وزاد على قوتها ثم استمرت هذه الاستراتيجية في عهـد الحاجب المنصور الذي استولى على سموره عام ٣٧١ هـ - ٩٨١ م ، ثم هاجم ليون ذاتها عام ٣٨٦ هـ - ٩٩٦ م ، وفي عام ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م سيطرت قوات المسلمين على شنت ياقب في كومبوستيللا ..

وفي عام ٣٧٦ هـ - ٩٨٦ م استعاد المسلمون سيطرتهم على برشلونه بحيث لم يبق عليهم سوى عبور البيرنيه للعودة بدولة الاسلام في الاندلس الى عهـد الفتح الأول ، وبذلك اصبحت الاندلس الاسلامية في القرن العاشر الميلادي مصـدر خطر كبير على العـــالم المسيحيي في أوربا . لكن الاحداث التي أعقبت وفاة الحاجب المنصور جعلت هذا العالم يستعيد أنفاسه ويضع مخططاته ..

- كانت مملكة ليون ، نواة حركة الغزو المضاد، وزعيمة حركة الاسترداد، وأكبر دول الشمال في الاندلس . وقد أخذت مملكة ليون في بناء قوتها الذاتية والافادة من خبرة الصراع الطويل مـــع العرب المسلمين ، واستثمار التناقضات الموجودة بينهم لاستعادة الاندلس واخراج العرب المسلمين منها ..

- في عام ٤٢٢ هـ - ١٠٣٢ م ، انتهى حكم الدولة الاموية في الاندلس ،

وكان ملوك الطوائف قد بدؤوا بالاستقلال منذ عام ٤٠٣ هـ – ١٠١٢ م .

وقد أفاد ملوك ممالك الشمال النصرانية وفي مقدمتهم ملك ليون « الفونس» وتسميه العرب « الأذفونش » من التناقض القائم بين ملوك الممالك وذلك بفرض سيطرته عليهم واحداً بعد الآخر وانتزاع الاقاليم مدينة بعد مدينة وقلعة بعد قلعة . وقد أخذ كثير من المؤرخين على اعتبار المرحلة التي بدأت بسقوط طليطلة عام ٤٧٥ هـ – ١٠٨٣ م هي بداية حركة الاسترجاع ، التي انتهت باخراج العرب المسلمين من الاندلس . وقد حدثت خلال هذه المرحلة معارك كبرى لعل اكثرها شهرة في التاريخ معركتي الزلاقه بقيادة امـير المرابطين يوسف بن تاشفين عام ٤٧٨ هـ – ١٠٨٦ م ، وموقعـة الارك بقيـادة يوسف بن عبد المؤمن ٥٩١ هـ – ١١٩٤ م ، ثم موقعة العقاب التي هزم فيها المسلمون هزيمة منكرة عام ٦٠٩هـ – ١٢١٢ م . ولكن المعارك جميعاً كانت في اطار العمليات الدفاعيـة أو الهجمات الوقائية . وان تأخر حركـة الاسترجاع وامتداد فترة الصراع تعود الى قوة العرب المسلمين في الاندلس من جهـة والى انصراف الغرب نحو الشرق للقيـام بالحروب الصليبية من جهة أخرى .. وان هذه المعارك جميعاً خلال فترة الصراع المريرة تقع خارج نطاق بحث هذا الكتاب نظراً لوقوعها « خارج نطاق الدولة الأموية » .. وكل ما يمكن قوله بالنسبة لفن الحرب خـلال مرحلة هذا الصراع هو انها كانت استمراراً للمراحل «الأموية» بحيث انها لم تتميز بطابع جديد..

لقد ارتبطت مرحلة « الاسترجاع » بالحروب الصليبية ونشاط الكنيسة « ديركلوني مثلاً واجتماع كليرمونت » ، كما ارتبطت بأحداث الشرق ، وقد يكون من المفيد مطالعة موجزة لهذه الاحداث ..

١ – ديركلوني – قاعدة تنظيمية في الحرب الصليبية :

– تعـاقب على بطريركية ديركلوني البطريرك اوديلو ٣٨٤ – ٤٤٠ هـ = ٩٩٤ – ١٠٤٨ م ، ثم البطريرك هيو ٤٤٠ – ٥٠٣ هـ = ١٠٤٨ – ١١٠٩ م ..

وقد مارس دير كلوني دوراً قيادياً في الحرب الصليبية ضد مسلمي الاندلس، وكان من مطالبه ، تأمين طرق الحج الى كومبو ستيللا ، والاحتفـاظ باسبانيا المسيحيـة .

كان سانشو الكبير « الثالث » ملك نافار يقود عملية « الغزو المضـاد »[١] ضد المسلمين وتحالف مع ملك ليون وقشتاله ووليم دوق غاسكونيا ، وطلب من روبرت ملك فرنسا دعمه ، لكن ملك فرنسا لم يستجب له ، فقام دير كلوني باستقدام روجر توسني[٢] من نرمنديا لدعم ملك نافار . كما وجه ايرسلند[٣] لدعم كونتيسه برشلونه ، ونجح قسس دير كلوني في اقنـاع امـير غسقونيا – وليم – لدعم سانشو ملك نافار بهدف انتزاع سرقسطه من المسلمين ، وكان لذلك دوره في تشجيع « ريمون برغار الأول » أمير برشلونه على المضي في زحفه نحو الجنوب ومتابعة طرد المسلمين من جنوب الاندلس ..

٢ – اجتماع كليرمونت واعلان الحرب الصليبية :

في عام ٤٨١ هـ – ١٠٨٨ م : احتـــل أودو – دو – لاجيري[٤] مركز البابويـة في روما وتوج باسم ايربان الثاني ، وبـدأ على الفور باجراء اتصالات واسعة لتوحيد جهد الكنيسة وجمـع المعلومات الكافية عن الاوضاع في اوربا كلها والشرق ، ثم قام بجولة واسعة لزيارة الأديرة والكنائس للاضطلاع بحل مشاكلها ودراسة قضاياها ومتطلباتها ، وتوحيد جهد الكنيسة في اتجاه واحد ، مع ازالة المنازعات الصغرى في سبيل تحقيق هدف كبير – هو الحرب الصليبية – .
– وفي عام ٤٨٩ هـ – ١٠٩٥ م وجه ايربان الثاني الدعوة لعقـد اجتماع في

....

(١) الغزو المضاد : La Reconquesta .
(٢) روجر توسني : Roger of Tosni .
(٣) ايرسلند : Ereslind .
(٤) اودي دو لاجيري Odo de Lagery من مواليد أسرة نبيلة في شاتيون سير مارن Chatillon Sur Marne وكان دمثاً ، قوي الشخصية ، دائم الحركة .

بيا كنزا ، تمت فيه دراسة الامور الداخلية ، وحل المشكلات الفردية المتعلقة بملوك اوربا وأمرائها . وفي الفترة بين ١٨ – ٢٨ تشرين الثاني – نوفمبر من السنة ذاتها عقد اجتماع كليرمونت الذي احتل شهرة خاصة في التاريخ بسبب ما انتهى اليه من اعلان الحرب الصليبية ..

– تكونت لدى البابا اربان الثاني القناعة بأن موقف اسبانيا اصبح مقرراً، فقرر توجيه الجهد نحو جبهة أخرى، والانتقال من العمل بالسر الى العمل بالعلن .

– حضر اجتماع كليرمونت ٣٠٠ من رجال الكنائس المنتشرة في اوربا ، وفي نهاية المؤتمر ، وأمام الجماهير المحتشدة ألقى البابا اربان خطابه الذي طالب فيه بذل الجهد لتحرير الاخوان المسيحيين في الشرق ، وأنهى خطابه بالنداء المشهور :

[**فلينطلق المسيحيون بالغرب لنجدة الشرق ..**] وبدأ العمل لاعداد حملات الحرب الصليبية التي كان من اكثر المتحمسين لها بطرس الناسك ووالتر المفلس .

٣ ـ استراتيجية حركة « الاسترجاع » والغزو المضاد :

هناك اختلاف بين المؤرخين حول تحديد بداية « مرحلة الاسترجاع » فمنهم من يحدد بداية هذه المرحلة بسقوط طليطلة ، ومنهم من يحددها بمعركة العقاب على اعتبار انها كانت آخر محاولة لظهور قوة المسلمين ، لا سيما وقد انتهت هذه المعركة بزوال دولة الموحدين . وهناك من يحددها بنهاية عهد المنصور على أساس « انتهاء الوحدة السياسية للدولة بزوال عهد الحاجب المنصور » ولعل بعض المؤرخين العرب ومنهم المقري كانوا أكثر عمقاً في تحليل احداث التاريخ عندما وصفوا بداية المرحلة مع ظهور بلاي في جيليقيه[1] منذ العهد الأول للفتوح ، وتصاعد شدة المقاومة منذ البداية بحيث اضطر عنبسة بن سحيم الكلبي الى دفع كل القوى للسيطرة على اقليم جيليقيه شمال شرق الجزيرة ، ويمكن في الواقع تقسيم مرحلة الاسترجاع الى فترات توافقاً مع مسيرة الاحداث :

---

(١) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع في نفح الطيب للمقري ٣-١٧ و ٤-٣٥٠ .

١ – **المرحلة الأولى :** التي بدأت بانهيار الدولة الأموية في الشام وقيام الدولة الأموية في الأندلس عام ١٣٨ هـ – ٧٥٥ م وانتهائها بوفاة الحاجب المنصور عام ٣٩٣ هـ – ١٠٠٢ م . وفيهـا ظهرت دول الشمال وتكونت مقاومات منظمة ووضعت مخططات مرحلية ومخططات بعيدة المدى لاخراج العرب المسلمين من الأندلس ..

٢ – **المرحلة الثانية :*** وهي التي بدأت باعـلان الحروب الصليبية بصورة غير رسمية ضد الاندلس وبصورة رسمية ضد الشرق ، ويمكن تحديد تاريخ لهـا بنهاية الحروب الصليبية في الشرق أي بين عام ٣٩٣ – ٦٩٨ هـ = ١٠٠٢–١٢٩٨م.

٣ – **المرحلة الثالثة :** تصفية الوجود العربي الاسلامي في الاندلس ويمكن تحديد بداية هذه الفترة مع نهاية الحروب الصليبية في الشرق وضياع مدن الاندلس الرئيسية « مارده – قرطبه – مرسيه – اشبيليا شرق الاندلس » مـع تحديد نهايتها بخروج العرب المسلمين نهائيـاً من الاندلس والاستيلاء على ما بقي في قبضتهم عام ٨٩٨ هـ – ١٤٩٢ م ..

كانت فترة الصراع في الاندلس طويلة وشاقة استمرت ٧٥٠ سنة تقريبـاً ، واتبعت دول الشمال استراتيجية تتوافق مع المراحل التي مر بها النضال لتنفيذ استراتيجية الاسترجاع ولكن هذه السياسة المرحلية لم تكن لتتناقض مـع الاستراتيجية العامة للاسترجاع . ويمكن القول ، ان وضع حـد زمني للمراحل لا يعني وجود انفصال بينها، فأحداث التاريخ نسيج متلاحم لا انقطاع فيه وان احداث كل فترة شديدة الاتصال بالفترة التالية لها وبالفترة التي سبقتها ، ولهـذا فانه من المستحيل الأخذ بظواهر احداث معينة ضمن اطار زمني محدد واسقاط ما سبقها من تفاعلات ورواسب واهمال ما تبعها من نتائج لا سيا عندما تحدث هذه التفاعلات في بوتقة واحدة فتأخذ ظواهر واحدة وتنتهي بنهايات متماثلة ، وان استعراض تاريخ الصراع في بوتقة « الأندلس » يظهر بوضوح ان هنـاك استراتيجية واحدة كانت هي المسيطرة على الاحداث وهي المسيرة لها وقد يكون

من المفيد الرجوع بهذا الصراع الى بداياته الاولى حتى تظهر معالم الاستراتيجية التي طبقت طوال مرحلة الصراع والتي تعتمد في أساسها على دعامتين ثابتتين :

١ – استراتيجية مرحلية تأخذ بعين الاعتبار الظروف الموضوعية ومتطلبات المرحلة الراهنة التي تمر بها قضية « الاسترجاع » .

٢ – استراتيجية بعيدة المدى تهدف في النهاية الى اخراج العرب من الاندلس.

كان هدف الاستراتيجية المرحلية سبر قوة العرب المسلمين في كل فترة واستنزاف قدرتهم القتالية وقوتهم في اثارة التناقضات الداخلية واشعال نيران الحروب الخارجية ..

وكان هدف الاستراتيجية بعيدة المدى انتزاع مدن الاندلس وقلاعها وأقاليمها على مراحل متتالية .

وبقدر ما كانت الاستراتيجية المرحلية مرنة ومتغيرة كانت الاستراتيجة بعيدة المدى ثابتة وصلبة .. وبدهي القول ان تطبيق الاستراتيجية المرحلية لم تكن موضع اتفاق بين ملوك دول الشمال وحكامها ، بل كانت موضع اختلاف وكثيراً ما انتهى هذا الخلاف الى صراع مسلح .. في حين كانت الاستراتيجية بعيدة المدى موضع اتفاق تام بين جماهير الشمال وحكامهم وملوكهم .

٤ – المنطلقات الاساسية لاستراتيجية « الاسترجاع » :

على الرغم من الاختلاف الذي كان يحدث بين ملوك الشمال حول تطبيق الاستراتيجية المرحلية. وعلى الرغم من ضرورة تطبيق استراتيجية خاصة للتميز بين ما هو مرحلي وبين ما هو خاص للمستقبل . وتغيير الوسائل تبعاً لذلك ، إلا أن وحدة الهدف فرضت نوعاً معيناً من الوحدة في وسائل العمل وأساليب العمل بحيث اخذت الاستراتيجية المرحلية والاستراتيجية بعيدة المدى ظواهر واحدة . ويمكن ايجاز المنطلقات الاساسية لاستراتيجية الاسترجاع بنوعيها في عدد من النقاط :

١ - اثارة التناقضات الداخلية واستثمارها ..

- لقد ولدت مملكة اشتوريش - ليون - ومملكة البشكنس - نافار - في قلب التناقضات التي ضمتها عناصر الفتح العربي الاسلامي . وقد أدركت هذه الممالك منذ نشوئها ان بقاءها واستمرارها مرتبط والى حد بعيد باثارة التناقضات في المجتمع العربي - الاسلامي ، وتمزيقه الى مراكز قوى ثم ضرب هذه المراكز بعضها ببعض وبالتالي استنزاف قوتها واضعافها وتوفير الفرصة المناسبة امام دول الشمال لبناء قوتها الذاتية وتطوير امكاناتها .

٢ - عزل العرب المسلمين عن اهل البلاد الأصليين ..

استطاع الفتح العربي الاسلامي استقطاب أهل البلاد وضمهم اليه والتعاون معهم لبناء أندلس المسلمين . ولم يكن هناك ما يعيق المخلصين من أهل البلاد الى احتلال المراكز الرئيسية في الدولة والجيش فقد ترك العرب المسلمون لأهل البلاد حريتهم الاجتماعية والدينية ، فأقبل أهل الأندلس وأظهروا كل تعاون وأخذت اعداد منهم في تعلم اللغة العربية ، وأطلقوا على أبنائهم أسماء عربيـــة وأصبح بعضهم شعراء وأدباء، وأدرك المتعصبون منهم خطورة هذا التعاون على مستقبل حركة الاسترجاع فأعلنوا التمرد وظهرت ثورات « كنيسة قرطبة » منذ العهود الأولى للفتح وتبع ذلك اثارة حركات المولدين في الشمال ، وتحريض المستعربين ، ثم وضعت المخططات لعزل أهل البلاد عن العرب المسلمين والقضاء على سياسة التعايش ، وقد اصطدمت هذه المخططات في بداياتها بتصميم حكام العرب المسلمين وقوة ارادتهم فلم تتمكن من تحقيق النجاح . ولكن الثبات على تنفيذ مخططات « الاسترجاع » والعمل بشتى الوسائل على انجاح مخططات العزل والقضـاء على سياسة التعايش اخذت كلها في اكتساب الانصار ، والمؤيدين وبأعداد متزايدة يوماً بعد يوم حتى تم الوصول الى الهدف النهائي ..

٣ - اثارة عامل الحقد ..

- اعتمدت دول الشمال في استراتيجيتها على « عامـل الحقد » لاذكاء روح

النضال واثارة الحماسة ضد العرب المسلمين ، وقد أدركت قيادات الشمال منذ البداية ان تسامح العرب المسلمين هو العامل الاساسي في نجاح تنفيذ « سياسة التعايش » وحمل المواطنين الاسبان والمولدين والمستعربين على التعاون مع الحكم العربي . ولهذا وحتى تستطيع دول الشمال دفع العرب المسلمين الى استخدام القسوة والعنف وخلق هوة فاصلة بين العرب المسلمين من جهة وبين أهل البلاد الاصليين من جهة اخرى ، انطلقت قيادات الشمال في ارتكاب الجرائم الوحشية من قتل وتدمير فجاءت استراتيجية الردع موازية لأسلوب الشمال ، فبدأت الثغرة وقد استثمرت دول الشمال كل الظروف للمبالغة وللعمل على توسيع الثغرة وتعميقها .

٤ – تكوين ايديولوجية للحرب ..

– درست الكنيسة أسباب نجاح العرب المسلمين في فتوحاتهم ، فعرفت ان العامل الاول هو عمق ايمان العرب المسلمين واستعدادهم للتضحية باستمرار للمحافظة على دينهم ونشر دعوتهم في كل مكان . ولهذا عمل قادة الشمال على اعادة تمجيد أسطورة القديس يعقوب وخلق هالة حولها ، واعطاء الصفة الدينية للصراع مع العرب المسلمين . وقد وقع تناقض بين رجال الكنيسة حول هذا الموضوع ذلك ان التعاليم المسيحية لا تجيز التضحية وازهاق النفس من أجل نشر الدعوة المسيحية ، فبدأت الكنيسة في تغيير النصوص وايجاد المبررات واصدار الوعود – بالغفران – ومنح الصكوك لمن يقتل أثناء الصراع مع توفير مغريات مادية ، مثل اعطاء الارض التي يتم الاستيلاء عليها وانتزاعها من العرب المسلمين الى اولئك المقاتلين الذين يحققون الانتصارات ويلحقون الهزائم بجند المسلمين ..

٥ – ربط الصراع بالاندلس – بالظروف العامة – .

تابع حكام الشمال ، وملوك اوربا الاحداث الجارية على مستوى الوطن

العربي الاسلامي وأدركوا منذ البداية ان انفصال الوحدة السياسية للعالم الاسلامي هي نقطة الضعف الاولى في كيان الامة السياسية .

وعرفوا ايضاً ان حكم الاندلس أصبح في عزلة عن العالم العربي الاسلامي ، فأخذوا في العمل لتكريس هذا الواقع واستثماره ، وكان شارلمان هو أول من استثمر هذا الواقع فعقد أواصر الصداقة مع بغداد لضرب قرطبة ، واستمر العمل بهذه الاستراتيجية طوال مرحلة « الاسترجاع » .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى عرف النصارى في اوربا اهمية « وحدة الهدف » في الصراع مع العرب المسلمين فعملوا على ازالة الخلافات الموضعية والطارئة . والعمل على وحدة الصف ووضع «واجب الحرب المقدسة» فوق كل الخلافات الثانوية وقد مارست الكنيسة دوراً كبيراً في هذا المضمار ونجحت في ازالة التناقضات ، والقضاء على الصراع الداخلي من اجل تركيز الجهد للعمل على جبهة واحدة . وهذه هي الاستراتيجية التي انتهت باعلان الحروب الصليبية ..

وكان تطبيق الاستراتيجية المرحلية يسير في خطوات متماثلة واجراءات متشابهة بحيث يمكن تمييز أسلوب العمل بوضوح ، وتحديد معالمه بما يلي :

١ً – القيام بعمليات سبر مع بداية كل مرحلة ، وفي كل مناسبة أو ظرف ملائم.

٢ً – تركيز الجهد على قلعة أو مدينة أو اقليم وانتزاعه من العرب المسلمين والتوقف فترة ثم معاودة العمل من جديد في منطقة أخرى ..

٣ً – اظهار الخضوع والاستسلام اذا جاءت استراتيجية الردع قوية أو اذا طور العرب المسلمون أساليبهم وعملوا على تطبيق استراتيجية «الهجمات الوقائية».

٤ً – تنفيذ عمليات السبر – وأعمال الهجوم – بقسوة وعنف لحمل القيادات في قرطبة على استخدام أسلوب ردع مماثل وخلق هوة بين العرب المسلمين وأصحاب البلاد .

٥ً – العمل في كل الظروف على استنزاف قوة العرب المسلمين ، باثارة المولدين ، في البداية ، وتشجيع مراكز القوى على التمرد والثورة وضرب بعضها ببعض ..

٦ً – استنزاف قوة العرب المسلمين بالحروب المستمرة والصراع المتصل مع دول الشمال .

٧ً – الاستعانة بالمتطوعين ودول « الافرنج » كلما كان ذلك ممكناً ..

– ان هذه الاستراتيجية لم تكن مجهولة أو غائبة عن أنظار جماهير العرب المسلمين وقياداتهم في الأندلس . فقد كانت الرؤيا واضحة ، وكان أسلوب دول الشمال واستراتيجيتهم موضع مناقشة وحوار ، وان ما خلفه كتاب العرب المسلمين وشعراؤهم من قصائد وأقوال تظهر ان العرب المسلمين كانوا يعرفون أبعاد استراتيجية الشمال وخطورتها ، وان ما قيل من قصائد شعرية ومقطوعات في رثاء طليطلة وغيرها يؤكد وضوح الرؤيا عند عرب الأندلس . ولهذا فان الاستعانة بالمرابطين والموحدين قد جاءت تلبية لمتطلبات الصراع بهدف مجابهة التكتل الذي تزعمته دول الشمال ، وان نجاح هذه الاستراتيجية قد جاء نتيجة طبيعية لاختلال ميزان القوى ..

***

٥ – الحرب الصليبية في الشرق والغرب

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
١	١٨٣	٧٩٩	تكونت دولة جيليقيه في شمال غرب الاندلس وظهرت دولة نافار وبدأ الصراع ضد المسلمين فوق أرض الاندلس ذاتها ..
٢	١٨٦	٨٠١	سقوط برشلونه في قبضة الافرنج .
٣	٣٠٣	٩١٥	تعاون البابا يوحنا العاشر مع بيزنطه – القسطنطينية – لتكوين تحالف من الأمراء المسيحيين بهدف طرد المسلمين من قلعتهم الواقعة على جبل جاريجليانو .
٤	٣٣١	٩٤٢	طلب ملك بروفانس الكونت هوغ من امبراطور القسطنطينية دعمه لطرد المسلمين من البروفانس ووجه امبراطور بيزنطه أسطولاً أحرق سفن المسلمين ودمرها في مياه البروفانس .
٥	٣٣٤	٩٤٥	انتزع يوحنا كركواس أعالي الجزيرة الشامية من الحمدانيين أيام سيف الدولة .
٦	٣٥٠	٩٦١	انتزع نقفور فوقاس جزيرة كريت وطرد المسلمين منها .
٧	٣٥٠	٩٦١	احتل نقفور فوقاس عين زربه ومرعش وعزل قيليقية الاسلامية .
٨	٣٥٠	٩٦١	وفاة عبد الرحمن الناصر ، واستيلاء العامريين على السلطة في الأندلس .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٩	٣٥٥	٩٦٥	استولى نقفور امبراطور بيزنطه على قيليقيا ، وانتزع قبرص من المسلمين .
١٠	٣٥٦	٩٦٦	قاد نقفور حملة الى حوض الفرات الأوسط ..
١١	٣٥٩	٩٦٩	استولى نقفور على حلب ، حماه ، حمص، شيزر ، ودمر مدن الساحل انطرسوس، جبيل، اللاذقية .
١٢	٣٦١	٩٧١	استولى الامبراطور يوحنا زمسكيس على نصيبين وأخضع حمص والشام .
١٣	٣٦٥	٩٧٥	قاد – غليوم – عملية اخراج المسلمين من البروفانس .
١٤	٣٧١	٩٨١	استولى المنصور على « سموره » جنوب ليون .
١٥	٣٨٥	٩٩٥	اعاد باسيل الثاني سيطرة بيزنطه على حلب .
١٦	٣٨٦	٩٩٦	قاد المنصور هجوماً حاسماً ضد ليون ، ووصل ليون فدمرها وأحرقها .
١٧	٣٨٧	٩٩٧	قاد المنصور جيشاً كبيراً ووصل «شانت ياقب» في كومبوستيلا ثالث الأماكن المقدسة عند المسيحيين بعد القدس وروما. وقد احتل المنصور شانت ياقب ودمرها ثم تركها طعمة للنيران ..
١٨	٣٩٢	١٠٠١	توقيع هدنة بين امبراطور بيزنطه والخليفة الفاطمي في مصر لمدة ١٠ سنوات .
١٩	٣٩٣	١٠٠٢	اغار البحارة المسلمون على «أنيتب – عين الطيب» في البروفانس .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
	٣٩٦ و ٣٩٧	١٠٠٥ و ١٠٠٦	أغار البحارة المسلمون على بيزا .
	٤١١	١٠٢٠	أغار البحارة المسلمون على ناربون – أربونه – .
٢٠	٤٣٢	١٠٤٠	نجح ستة اخوة ابناء فارس « نورماني » مغمور اسمه تانكرد – هوتفيل في الاستيلاء على مدينة « ميلفي » بتلال ابوليا ، وأقاموا بها إمارة بفضل مساعدة امبراطور الغرب هنري الثالث ، والبابا الجرماني الذي رشحه هنري للبابوية ، واستطاع النورمان توطيد سيطرتهم على امارات لومباردیا ، ورحبت الكنيسة بهذه الخطوة وذلك للاستعانة بالنورمان في الحروب ضد المسلمين .. ولاضعاف موقف بيزنطه من جهة اخرى واخضاعها لسلطة الكنيسة ..
	٤٤٥	١٠٥٣	مات هنري الثالث ..
٢١	٤٣٧	١٠٤٥	– سلم الملك آني اكبر ملوك ارمينيا ، بلاده للبيزنطيين ..
	٤٤٧	١٠٥٥	دخول طغرل بك الى بغداد ..
٢٢	٤٥٧	١٠٦٤	استولت بيزنطه على امارة قارس ، آخر امارة مستقلة في ارمينيا .
٢٣	٤٦٤	١٠٧١	استولى تسيز بن أبق – ينتمي الى البارسلان – على القدس وسيطر الترك على فلسطين .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٢٣	٤٦٤	١٠٧١	استولى النورمان على آخر قاعدة لبيزنطه في ايطاليا ..
٢٤	٤٦٤	١٠٧١	تقدم رومانوس ديوجين زوج امبراطورة بيزنطه – رايدوسيا – والوصية على ميخائيل السابع ، واقتحم منطقـة الفرات الأعلى ، فجابهـه الب ارسلان وهزمه في موقعة « مانزيكرت » .
	٤٦٨	١٠٧٥	استولى تسيز على دمشق .
	٤٧٢	١٠٧٩	اغتيل تسيز بيد تتش الذي اصبـح يسيطر على الشام من حلب وحتى حدود مصر .
	٤٧٨	١٠٨٥	استولى السلطان سليمان السلجوقي على انطاكيه ومدن قيليقيه .
	٤٨٠	١٠٨٧	استولى بازان التركي على الرها ..
٢٤	٤٥٦	١٠٦٣	لقي راميرو الأول ملك أراغون مصرعـــه في « غرادوس »[1] على يد احد المسلمين عندما قام بهجومه ضدهم ، فأعلن البابا الاسكندر الثاني انه يبذل الغفران لكل مقاتل من أجل الصليب في اسبانيا ، وبـدأ البابا بتنظيم جيش لمتابعـة مشروع راميرو ، وأخـذ المقاتـل النورماني

(١) غرادوس : Grados .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
			« ويليم مونتراي »[1] في تطويع المقاتلين لخدمة البابا وجمعهم من شمال ايطاليا . كما عمل إبلس كونت روسي[2] شقيق فيليشيا[3] ملكية أراغون على جمع المقاتلين النورمان من شمال فرنسا ، لكن هذه الحملة لم تحقق النجاح المطلوب.
٢٥	٤٦٦	١٠٧٣	أعاد ابلس كونت روسي تنظيم حملة جديدة من الفرنسيين ، ودعا البابا جريجوري السابع أنصار المسيحية جميعهم لدعم هذه الحملة والانضمام اليها واعداً المسيحيين باعطائهم الغنائم التي سيستولون عليها من أيدي الكفار — المسلمين — .
٢٦	٤٧١	١٠٧٨	تولى هيو الأول — دوق برجنديا — قيادة جيش لدعم صهره الفونسو السادس ملك ليون — قشتاله.
٢٧	٤٧٣	١٠٨٠	- أعلن البابا جريجوري السابع تأييده الشخصي ومباركته للحملة التي قادها جاي جفري .
٢٨	٤٧٨	١٠٨٥	استولى القشتاليون على طليطله .
٢٩	٤٧٩	١٠٨٦	دخل المرابطون الأندلس وانتصروا في معركة الزلاقه على « الافرنج » .

(١) ويليام مونتراي : William of Montreuil .

(٢) ابلس - روسي Ebles of Rucy .

(٣) فيليشيا : Flicia .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٣٠	٤٨٠	١٠٨٧	اشتدت دعوة الفرسان المسيحيين للزحف على الأندلس ومواجهة المرابطين .
	٤٨٩	١٠٩٥	عقد مجمع كليرمونت ، واعلان البابا اربان الثاني الحرب الصليبية على المسلمين .
٣١	٤٩٠	١٠٩٦	سقوط وشقه في يد الافرنج في الأندلس .
٣٢	٤٩٢	١٠٩٨	وصول الحملات الصليبية الى المشرق وسقوط انطاكية .
	٤٩٣	١٠٩٩	احتلال الصليبين لبيت المقدس « القدس » واحتلال طرابلس وبيروت والرمله ومدن الساحل ..
٣٣	٥١٤	١١٢٠	ضياع كتنده وسرقسطه .
	٤٨٨ و ٥٢٢	١٠٩٥ و ١١٢٩	سقوط بلنسيه وبربشتر ثم ضياعهما .
٣٤	٥٤٢	١١٤٧	ضياع المريه .
٣٥	٥٨٦	١١٩٠	سقوط شلب ثم استرجاعها ثم ضياعها .
٣٦	٥٩١	١١٩٤	**موقعة الأرك بقيادة يوسف بن عبد المؤمن « الموحدين » .**
٣٧	٦٠٩	١٢١٢	**موقعة العقاب بقيادة محمد الناصر بن يوسف ، وهزيمة المسلمين بالاندلس ..**
٣٨	٦٢٢	١٢٢٥	ضياع لوشه .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٣٩	٦٢٦	١٢٢٨	ضيــاع مارده .
٤٠	٦٣٦	١٢٣٨	ضياع قرطبة ومرسيه .
٤١	٦٤٥	١٢٤٧	ضياع اشبيليه وشرق الأندلس .
٤٢	٦٩٨	١٢٩٨	**نهاية الحملات الصليبية في الشرق .**
٤٣	٨٩٨	١٤٩٢	**اخراج من بقي من المسلمـــين في مالاقا ، وغرناطه والبيازين وبعض قلاع الجنوب .**

* * *

قراءات

عبد الرحمن الداخل

١١٣ – ١٧٢ هـ : ٧٣١ – ٧٨٨ م

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . وأمه بربرية من قبيلة نغزاوة اسمها « راح » [١] ولد بدير حنا من أرض دمشق وقيل بالعلياء من تدمر .

– توفي والده وهو صغير ، فضمه مسلمة بن عبد الملك اليه ، وتوسم فيه منذ طفولته الطموح والذكاء . وله حادثة مع جده يرويها عبد الرحمن فيقول :

(أتى جدي هشام يوماً فوجدني عند مسلمة وكنت صبياً ، فأمر جدي بتنحيتي عنه فقال له مسلمة : دعه يا أمير المؤمنين ، فانه صاحب بني أمية ومحيي دولتهم بعد زوالها ، فلم أزل أعرف لي مزية من جدي ...) .

سنة ١٣٢ هـ : وقع الاختلال في دولة بني أمية . وفر عبد الرحمن متنقلاً بأهله وولده إلى أن حل بقرية على الفرات ، ودخلت كتائب العباسيين القرية التي يقيم فيها عبد الرحمن فهرب إلى موضع ناء عن القرية ولحقه أخوه، ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى لحقت به الخيل فقذف بنفسه في النهر وأخوه يتبعه . ثم عاد أخوه بعد أن بلغ منتصف النهر معتمداً على ما سمعه من وعودوتابع عبد الرحمن طريقه وهو يشهد ما حل بأخيه من نكبة وكيف ضرب الجند عنقه وهو ابن ثلاث عشرة سنة .

– وصل عبد الرحمن افريقية ولحق به مولاه بدر بعد أن أوفدته اليه اخته

---

(١) في البيان المغرب ٢ – ٧١ ، اسم ام عبد الرحمن « راحا أو رداحا » .

« أم الأصبغ » ومعه دنانير للنفقة . وعلم أن عاملها (عبد الرحمن بن حبيب الفهري) يلاحق الأمويين وانه قتل ابني الوليد، فهرب عبد الرحمن إلى المغرب الاقصى والتجأ الى أخواله « قبيلة نغزاوة » في مغيلة وقيل بمكناسة .

سنة ١٣٦ هـ : اتصل عبد الرحمن بمن يعرفهم في الأندلس ، وطلب دعمه ومساعدته للاستيلاء على الأندلس . وأجمعت كلمة اليمنية على نصرته ، وأرسل اليهم بدراً مولاه للتأكد فعاد بدر ومعه مجموعة من وجوه الاندلس فرافقهم ونزل في المنكب [١] .

سنة ١٣٨ هـ : وفي ربيع الأول منها ، أخذ عبد الرحمن في التوجه الى واش من كورة البيرة ولم يكن أنصاره يزيدون على أربعمائة مقاتل . لكن جموعه أخذت تتزايد كلما تحرك من مدينة الى مدينة أخرى فتابع مسيرته إلى ريةومنها إلى شذونة ثم موررور وأشبيلية حيث أصبحت قوته تزيد على الفي مقاتل . وعندما غادرها أصبح جيشه يضم ثلاثة آلاف فارس .

كان والي الجزيرة عبد الرحمن بن يوسف الفهري ووزيره الصميل في جيليقية عندما دخل عبد الرحمن الاندلس ، فرجعا وقد أخذت القوات تنفض عنهما ، لكنهما صمما على الدخول معه في معركة حاسمة بعد أن حاولا خداعه ففشلا وحاولا استرضاءه ، دون الامارة فرفض أيضاً.

– في الطريق الى قرطبة وفي موضع يسمى « بطشانة » [٢] عقدت الراية لعبد الرحمن الذي تابع تقدمه بينما كان يسير خصمه الصميل في الطرف الآخر من النهر وبعد ثلاثة أيام من المسير ; وفي موضع « المصارة » [٣] غربي قرطبة ، أنهى عبد الرحمن استعداده للمعركة ؛ وسهر الليل كله على نظام أمره ثم وقف أمام قادته وقال لهم :

....

(١) المنكب : Almuñecab .

(٢) بطشانة : Tocina :

(٣) ورد في أخبار مجموعة ١١٨ ، اسم هذه الوقعة « المسارة » .

(هذا اليوم هو أس مـــا يبنى عليه ، إما ذل الدهر ، واما عز الدهر ، فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون ، توبحوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون) .

ووقعت المعركة الفاصلة وانتصر عبد الرحمن ، ودخل قرطبة بعد ثلاثة أيام . وانصرف الى تنظيم أمور الدولة ، ووضع خاتماً له نقش عليه :

[عبد الرحمن بقضاء الله راض]

سنة ١٣٩ هـ : خرج ضده الفهري والصميل واستمرت ثورتهما حتى عام ١٤٢ هـ حيث قتل يوسف الفهري ومات الصميل في سجنه .

سنة ١٤٦ هـ ثار العلاء بن مغيث اليحصبي بباجة من قبل المنصور ، ولقيه عبد الرحمن بجهة أشبيلية فهزمه وجيء به وباعلام أصحابه فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه وأعناقهم وأمر فقرطت الصكاك في آذانهم بأسمائهم وأودعت جوالقاً محصناً ومعها اللواء الأسود وانفذ بالجوالق تاجراً من ثقاته وأمره أن يضعه بمكة أيام الموسم ففعل ، ووافق أبا جعفر المنصور قد حج ، فوضعه على باب سرادقه ، فلما كشفه ونظر اليه سقط في يده وقال : [عرضنا هذا البائس، يعني العلاء للحتف - ما في هذا الشيطان مطمع فالحمد لله الذي صير هذا البحر بيننا وبينه] .

سنة ١٤٧ هـ : وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة مولاه بدر وتمام بن علقمة للقضاء على تمرد هشام بن عروة في طليطلة ، وأمكن لهما اعتقال هشام بن عروة وهشام بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وحياة بن الوليد ، فاعدموا وأرسلت رؤوسهم إلى قرطبة .

سنة ١٤٩ هـ : ثار سعيد اليحصبي المعروف بالمطري بكورة لبلة .

سنة ١٥٠ هـ : هاجت فتنة البربر في سانتا ماريا ، شنت برية .

سنة ١٥٢ هـ : ثار رجل من البربر اسمه سفين بن عبد الواحد المكناسي وامه فاطمة وادعى أنه من أهل البيت وأنه ينتسب للحسن بن علي واستمرت فتنته حتى تم قتله سنة ١٦٠ هـ . واسمه في الكامل لابن الأثير شقنا ، ٥ - ٣٤ .

سنة ١٥٦ هـ : أعلن عبد الغافر اليحصبي ثورته في أشبيليا وخرج عبد الرحمن في السنة التالية فقضى على الثورة .

سنة ١٥٧ هـ : ثار بسرقسطة الحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي [١] وشايعه سليمان بن يقظان الاعرابي الكلبي رأس الفتن وآل أمرهما الى فتك الحسين بسليمان وقتل الحسين على يد الأمير عبد الرحمن .

سنة ١٦٤ هـ : غزا الأمير عبد الرحمن الجزيرة ، وبها الرمامس بن عبد الرحمن [٢] فهرب الرمامس وأطلق الأمير عبد الرحمن اسرى الامويين .

سنة ١٦٨ هـ : ثار المغيرة بن الوليد بن معاوية على عبد الرحمن ، وقتل المغيرة وانصاره .

سنة ١٧٠ هـ : بدأ العمل ببناء جامع قرطبة .

سنة ١٧٢ هـ : توفي عبد الرحمن الداخل .

صقر قريش

قال أبو جعفر المنصور يوماً لأصحابه: **من صقر قريش؟** قالوا: أمير المؤمنين الذي راض الملك وسكن الزلازل وحسم الأدواء ، قال ما صنعتم شيئاً ، قالوا فمعاوية ، قال ولا هذا . قالوا فعبد الملك بن مروان ، قال : لا . قالوا فمن يا أمير المؤمنين ، قال : [عبد الرحمن بن معاوية . الذي تخلص بكيده عن سنن الاسنه وظباة السيوف ، يعبر القفر ويركب البحر حتى دخل بلداً أعجمياًفمصر الأمصار وجند الأجناد وأقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة عزمه ، ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان . وذللا له صعبه ، وعبد الملك

....

(١) في البيان المغرب يذكر ابن عبادة الانصاري ويجعلها من أحداث سنة ١٦٥ هـ ، البيان المغرب ٢ - ٧١ ، نفح الطيب ١ - ٤٨ .

(٢) في البيان المغرب ٢ - ٧١ ويذكر في نفح الطيب ١ - ٤٨ ان اسمه الرمامس بن عبد العزيز الكناني .

ببيعة تقدمت له ، وامير المؤمنين بطلب عترته واجتماع شيعته ، وعبد الرحمن منفرداً بنفسه مؤيداً برأيه مستصحباً لعزمه ...] [1] .

تنظيم الدولة

- بدأ الأمير عبد الرحمن عهده بتدوين الدواوين ، وفرض الاعطية ، وعقد الألوية وجند الأجناد ، وكان متصل الحركة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ثم لا ينفرد في ابرامها برأيه، شجاعاً ، مقداماً ، بعيد الغور ، شديد الحدة ، قليل الطمأنينة بليغاً ، مفوهاً .

وكان الى ذلك ، يميل الى المركزية في السلطة، فقتل كل من حاول الوقوف في وجه سلطته ، ومنهم أقرب الناس اليه مثل ابي الصباح يحيى زعيم اليمنية ، وعبد السلام بن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي وعبيد الله بن ابان بن معاوية ابن هشام وابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية وشرد مولاه بدر فمات شر ميتة .

الحنين الى الوطن :

- وكان الامير عبد الرحمن شديد الحنين لوطنه ، شاهد يوماً نخلة فريدة في الرصافة فأطلق خياله :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى ... وطول اكتئابي عن بني وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيها غريبة ... فمثلك في الامضاء والمنتأى مثلي

سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي ... يسح ويستمري السماكين بالوبل

....

[1] ... مجموعة ١١٨ - ١١٩ ، الكامل لابن الأثير ٥ - ١٨٢ و ٦ - ٣٧ نفح ... ٣٣٠ و ٣ -٢٧ والاستقصا ١ - ٣ - ٥٤ ، أخبار مجموعة ١٠٤ ، ابن ... - ١٢٠ ، الاعلام ٤ - ١١٣ تاريخ غزوات العرب ١١٢ ، البيان المغرب ٢-٧٧ .

- وقد حمله هذا الحنين على التفكير في معاودة غزو الشـــام وانتزاعها من قبضة العباسيين، وأشاع ذلك سنة ١٦٣ هـ . وكاتب جماعة من أهل بيته ومواليه وشيعته وعمل على ان يستخلف ابنه سليمان بالأندلس ويذهب بعامة من أطاعه، ثم أعرض عن ذلك بسبب أمر الحسين الأنصاري الذي أعلن الثورة في سرقسطة. ومن شعره الذي يستشهد بـــه على تفكيره في الرجوع الى الشام وحنينه اليها الأبيات التالية :

أيها الراكب الميمم أرضي اقر مني بعض السلام لبعض
ان جسمي كمـا تراه بأرض وفؤادي ومالكيـــه بأرض
قدر البـــين بيننا فافترقنا وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي[1]

***

هشام بن عبد الرحمن « الداخل »

١٣٩ - ١٨٠ هـ = ٧٥٦ - ٧٩٦ م

هشام بن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان - الأموي - .
- أمه تسمى جمال[2] ولقبه أبو الوليد ونقش خاتمه [**بالله يثق عبده هشام وبه يعتصم ..**]
- ولد بقرطبة، وعينه أبوه عندما أصبح شاباً لحكم « مارده » .. وصله خبر موت أبيـه وهو بمارده، فأسرع إلى قرطبة ووصلها بعد ستة أيام وبايعـه

(١) نفح الطيب ١ - ٥٤ .
(٢) البيان المغرب ، ابن عذارى ٢/٩١ ، اسم امه جمال ، وفي نفح الطيب للمقري ١/٣٣٤ اسمها حلال وفي الحميدي حوراء .
ابن خلدون ٤/١٢٤ . ابن الاثير ٥/٨٥ - ١٠١ . الاعلام ٩/٨٤ . اخبار مجموعة ٩٥ البيان المغرب لابن عذارى ٢/٩١ وما بعده . جذوة المقتبس ١١ . الحلة السيراء ٣٧ .

الخاصة والعامة . ثم أراد أخوه سليمان منازعته في الحكم فغـادر طليطلة بجيشه وعندما وصل كورة « جيان » توجه اليه أخوه هشام ووقعت بجهة بلج معركة طاحنة هزم فيها سليمان .

– قال الأمير عبد الرحمن الداخل يوماً لابنه هشام : لمن هذا الشعر :

وتعرف فيـــه من أبيـــه شمائلا ومن خاله أو من يزيد ومن حجر
سماحة ذا ، وبرّ ذا ، ووفاء ذا ونائل ذا ، إذا صحا وإذا سكر

فقال له : يا سيدي لامرىء القيس ملك كنده وكأنه قاله في الأمير أعزه الله ، فضمه اليه استحساناً بما سمع منه وأمر له بإحسان كثير وزاد في عينـه ، ثم قال الأمير عبد الرحمن لابنه الثاني سليمان على انفراد : لمن هـــذا الشعر ؟ وأنشده البيتين ، فقال : لعلهما لأحد أجلاف العرب ، أما لي شغلٌ غـير حفظ أقوال بعض الأعراب . فأطرق عبد الرحمن وعلم قدر ما بين الاثنين من المزية..

سنة ١٧٢ هـ : تولى هشام امارة الاندلس ، فانصرف لتنظيم امور دولته ، وأحسن معاملة الرعية حتى شبهه الناس بعمر بن عبد العزيز ..

كان هشام يبعث بثقاته الى الكور يسأل الناس عن سيرة عمـاله فاذا انتهى اليه ان أحدهم ظلم أحداً عزله عن عمله وأنصف المظلوم . كما عين في المدن عسساً لمنع ارتكاب الجرائم .

من أعماله العمرانية : اكمال جامع قرطبة وبناء القنطرة التي أقامها السمح ابن مالك . وشيد المساجد في أنحاء البلاد ، وعني بنشر اللغة العربية . قرب اليه الفقهاء واعتمدهم في مشورته . وأحبه الناس لعدله .

توفي بقرطبة ١٨٠ هـ ، وبها دفن ..

***

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل

١٥٤ - ٢٠٦ هـ = ٧٧١ - ٨٢٢ م

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، أبو العاص ، ولقبه الربضي نسبة لمعركة الربض التي قمع فيها حركة التمرد ضده . أمه ، أم ولد اسمها زخرف ، ونقش خاتمه : [بالله يثق الحكم وبه يعتصم ..]

١٨٠ هـ - ٧٩٦ م تولى الحكم امارة الاندلس بعد وفاة ابيه .

[.. كان افحل بني اميه بالاندلس واشدهم اقداماً وصرامة وأنفة وأبهة وعزة ، الى ماجمع لذلك من جودة الضبط وحسن السياسة وايثار النصفه وكان يشبه بالمنصور العباسي في شدة الملك وقهرة الأعداء وتوطيد الدوله ..][1]

١٨١ هـ - ٧٩٧م : اعلن بهلول بن ابي الحجاج بجهة الثغر الأعلى وملك سرقسطه [2] وانضم اليه عبد الله ابن الامير عبد الرحمن بن معاويه .. واستمر تمرده حتى عام ١٨٤ هـ حيث اتصل باخيه وطلب الصلح فوافقه عليه .

وفي هذه السنه ايضاً اعلن عبيده بن حميد الثورة بطليطله فوجه الحكم عمروس بن يوسف لحربه من طلبيره ، واستخدم عمروس الدهاء ، واستطاع التأثير على بعض الانصار فقتلوا عبيده وحملوا رأسه الى عمروس فأرسله الى الحكم ثم تابع عمروس خطته لتصفيه المقاومه فدخل طليطله مستكيناً لأهلها وبنى قصراً عند مدخل المدينه ، ثم تظاهر بالاحتفال ودعى وجوه طليطله ونظم الحفل على ان يكون الدخول افرادياً فكان الحجاب يقتلون كل داخل واستطاع بذلك

---

(١) المغرب في حلى المغرب ٣٩/١ ونفح الطيب ٣٤٠/١ .

(٢) المغرب في حلى المغرب ٤٠/١ وفي تاريخ ابن خلدون ١٢٦/٤ بهلول بن مرزوق ، وفي البيان المغرب ١٠٢/٢ بهلول بن مروان المعروف بأبي الحجاج ، وفي الكامل لابن الأثير حوادث سنة ١٨١ هـ ، بهلول بن مرزوق المعروف بأبي الحجاج .

ان يقتل سبعمائه رجل من كبار قادة التمرد وبذلك أخضع طليطله [١] .

١٨٢ هـ – ٧٩٨ م : دخل سليمان بن عبد الرحمن عم الأمير هشام الى الأندلس وأعلن تمرده « ببلنسيه » فسمي « البالنسي » واستمرت ثورته ثلاثة أعوام حتى تمكن الحكم من قتله عام ١٨٤ هـ .

١٩٨ هـ – ٨١٣ م : ثورة الربض ، بقرطبة [٢] وسببها تحريض أهـل العلم والورع بقرطبة وفي مقدمتهم القاضي يحيى بن يحيى الليثي – المصمودي – بسبب ما أشيع عن الحكم من انصرافه الى الملذات حتى كانوا ينادونه ليـلا من أعلى صوامعهم عند الأذان لصلاة الفجر [.. الصلاة ، الصلاة ، يا مخمور ..]

وعندما زادت استثارة أهل قرطبة لحرس الحكم عمل على تحصـين قرطبة وعمارة أسوارها وحفر خنادقها وارتبط الخيل على بابه واستكثر المماليك ورتب جمعاً لا يفارقون باب قصره بالسلاح ، ثم عمـد الى عشرة من رؤساء سفهائهم فقتلهم وصلبهم ،فهاج لذلك أهل الربض ،ووقعت معركة طاحنة انتهت باحراق الربض وتدميره طوال ثلاثة أيام ، وقتل الحكم من أسرائهم ثلاثمائة وصلبهم ، ثم اصدر عفوه بعد ذلك .. كما أصدر عفوه بعد ذلك عن قائدي الثورة وهما يحيى ابن يحيى وطالوت بن عبد الجبار المعافري .

سنة ١٩٠ هـ – ٨٠٥ م : قاد الحكم جيشاً للقضاء على ثورة اصبغ بن عبدالله ابن واسنرس في « مارده » ، لكنه اضطر الى العودة ورفع الحصار عن مارده للقضاء على الثورة التي هددت قرطبة ،وقد استمرت الثورة في مارده سبعة أعوام قبل أن يتمكن الحكم من القضاء عليها ..

---

(١) البيان المغرب ١٠٨/٢ وفي المغرب في حلى المغرب ٤٠/١ ، عبيد بن خمير وفي ابن خلدون عبيدة بن عمير وفي الكامل لابن الاثير ، حوادث هذه السنه ، عبيد بن حميد .

(٢) في المغرب من حلى المغرب ٤٢/١ جعلها من أحداث سنة ٢٠٢ هـ . وفي الكامل لابن الاثير سنة ١٩٨ هـ . والبيان المغرب في أحداث ٢٠٢ وهو الاكثر صحة .

– كانت فترة امارة الحكم ثورات متصلة في الداخل وحروب مع الأعداء الخارجيين وتنظيم لأمور الدولة الادارية والمالية والعسكرية .

– وكان الحكم في بداية عهده ، قد انهمك في لذاته من غير افحاش وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس وكان يباشر الأمور بنفسه ويقرب الفقهاء والعلماء الصالحين .. وكان الى ذلك شاعراً ، ومن أقواله يوم وقعة الربض[1] :

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعاً ... وقدماً لأمت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة ... أبادرها مستنضي السيف دارعا
تنبيك أني لم أكن في قراعهم ... بوان وقدماً كنت بالسيف قارعا
وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم ... فوافوا منايا قدرت ومصارعا
فهذي بلادي انني قد تركتها ... مهاداً ولم اترك عليها منازعا

توفي الحكم عام ٢٠٦هـ – ٨٢٢م بعد أن أمضى حياة حافلة بجلائل الأعمال .

***

عبد الرحمن بن الحكم

١٧٦ – ٢٣٨ هـ = ٧٩٢ – ٨٥٢ م

عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، لقبه ابو المطرف ، ويسمى عبد الرحمن الاوسط ، امه تسمى حلاوه ، ونقش خاتمة ، عبد الرحمن بقضاء الله راض (وهو توقيع جده) ومن توقيعاته البليغة : (من لم يعرف وجه مطلبه فالحرمان اولى به) وهو من مواليد طليطله .

بويع بالخلافة في اليوم التالي لوفاة ابيه الحكم وله من العمر ٢٣ سنة و ٩ اشهر .

(١) نفح الطيب ١/٣٣٨ - ٣٤٤ . المغرب من حلى المغرب ١-٣٨-٤٥ ، الكامل ، لابن الاثير ، أحداث السنوات ، البيان المغرب ٢/١٠٢ - ١١٨ ابن خلدون ٤/١٢٥ ، غزوات العرب ١٢٩ - ١٣٠ ، الوفيات ١/١٤٦ الاعلام ٢ - ٢٩٧ .

استفتح عهده باحداث دار السكة « في قرطبه » وضرب الدراهم باسمه ولم يكن فيها ذلك منذ فتحها العرب ، واتخذ للوزراء في قصره بيت الوزارة ورتب اختلافهم اليه في كل يوم يستدعيهم معه او من يختص منهم او يخاطبهم برقاع فيما يراه من امور الدولة ، وبدأ حكمه بهدم فندق الخمر واظهار البر وهو اول من جرى على سنن الخلفاء في الآنية والشكل وترتيب الخلافة وكسا الخلافة ابهة الجلالة فشيد القصور وجلب الماء العذب الى قرطبه وبنى له مصيفاً كبيراً يرتاده الناس وبنى الرصيف وعمل عليها السقائف وبنى المساجد في الاندلس ومنها جامع اشبيليا وسورها وعمل السقاية على الرصيف، ونظم الجيش واستكثر من الأسلحة والعدد .

– وفي ايامه انتهى مال الجباية الى الف الف دينار في السنة وكان قبل لا يزيد على ستمائة الف، يصرف ثلثها لتسليح الجيش واعداده وصرف مرتباته.

–وكان الأمير عبد الرحمن شديد الاهتمام بالكتب حتى انه وجه الشاعر عباس بن ناصح الى العراق في التماس الكتب القديمة فأتاه « بالسندهند » [1] وغيره من الكتب ، كما كان يقرب اليه العلمـــاء والفقهاء وينظم الشعر ، وله اشعار رقيقة في الغزل والفخر – .

تميز عهده بالرخاء والهدوء النسبي حتى قيل لايامه « ايام العروس» واستطاع القضاء على جميع حركات التمرد والثورات المضادة ، وتوطدت في عهده سيطرة الدولة فسعى اليه امبرطور بيزنطه «توفليس» [2] وارسل وفداً للصداقة وكذلك فعل عدد من الامراء – .

– توفي في قرطبه وله من العمر ٦٢ عاماً وكانت مدة خلافته ٣٢ سنة تقريباً . [3]

---

(١) السند هند ، من أقدم الكتب التي ترجمها العرب عن الهندية وتعلموا منها الحساب والاعداد الهندية . (٢) تيوفليس : Theophilus .

(٣) المغرب في حلى المغرب ١ –٤٥ – ٥١ . نفح الطيب ١ – ٣٣٤ – ٣٥٠ الكامل في التاريخ احداث سنة ٢٣٨ هـ ، البيـــان المغرب ٢ – ١٢١ – ١٣٢ ابن خلدون ٤ – ١٢٧ اخبار مجموعة ١٣٩ ، الحلة السيراء ٦١ جذوة المقتبس ١١ ، الاعلام ، ٤ – ٧٦ .

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (1)

٢٠٧ – ٢٧٣ هـ = ٨٢٢ – ٨٨٦ م

مدة ولايته ٢٣٨ – ٢٧٣ هـ = ٨٥٢ – ٨٨٦ م « ٣٤ » عاماً

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، ابو عبد الله ، امه بهير . نقش خاتمة « بالله يثق محمد وبه يعتصم » مولده ووفاته في قرطبه – .

تولى امارة الاندلس وله ثلاثين سنة ونيف ، وكان ابوه قد رشح اخوه عبد الله بن طروب لولاية العهد ، كما كان نصر الخصي يعضد عبد الله ويخدم امه طروب الحظية عند عبد الرحمن الاوسط لكن عبد الله كان مستهتراً ، متهمكاً في اللذات فكان أولو العقل يميلون الى اخيه محمد فلما مات ابوهما وكان ذلك بالليل ، اتفق رؤساء الخدم ان يعدلوا بالولاية عن عبد الله الى محمد فمر أحدهم الى منزله وجاء به ، فلما مر على دار أخيه عبد الله وسمع ضجة المنادمين وليس عنده خبر من موت أبيه أنشد :

فهنيئاً له الذي هو فيه والذي نحن فيه أيضاً هنانا

ولما دخل القصر وتم له الأمر ، تلقاه بحزم ولم يختلف عليه أحد من أقاربه.

– أعاد الأمير تنظيم شؤون دولته ، وبذل جهده لقمع حركات التمرد ، ورد غزوات الطامعين ومجابهة الاضطرابات الى جانب الاهتمام بالنهضة العمرانية وفي طليعتها اكمال ما بدأه أبوه وجده ، وهو توسيع جامع قرطبة ، وزيادة بنيان القصر الكبير والمنائر الخارجة عنه ..

– عرف عن الأمير محمد قوة الارادة ، وسداد الرأي ، فكان ، بنو مدرار

---

(١) البيان المغرب ٢ –١٤١ – ١٧٠ ، نفح الطيب١ – ٣٥٠ – ٣٥٢ . الكامل ، ابن الاثير ، احداث السنوات . المغرب في حلى المغرب ١ – ٥١ – ٥٣ ابن خلدون ٤ – ١٣٠ ، أخبار مجموعة ١٤١ ، جذوة المقتبس – ١١ – الاعلام ٧ – ٦١ ، الحلة السيراء ٦٤ .

في سجلماسة ، ومحمد بن افلح حاكم تاهرت وغيرهم من رجال « عدوة المغرب » يستشيرونه في كل أمر من أمورهم ويرجعون اليه في كل عقبة تجابههم أو صعوبة يستعصي حلها عليهم ..

– وكان الأمير محمد غزاء لأهل الشرك وربما أوغل في بلاد العدو الستة الأشهر والأكثر وله فيهم وقائع مشهورة ..

– وكان الى ذلك محباً للعلم والعلماء ، كريماً ، دقيقاً في عمله فضبط أمور الدولة وأحسن ادارتها .

– توفي عن عمر يناهز الثالثة والستين عاماً ، ويشير بعض المؤرخين الى ان وزيراً له اسمه هاشم بن عبد العزيز أساء السيرة ، فضاعت هيبة الدولة في أواخر أيامه ..

***

المنذر بن محمد بن عبد الرحمن (١)

حياته : ٢٢٩هـ – ٢٧٥ : ٨٤٣ – ٨٨٨ م

امارته : ٢٧٣هـ – ٢٧٥ : ٨٨٦ – ٨٨٨ م

المنذر بن محمد بن عبد الرحمن ، وأمه تسمى أيل .

نقش خاتمه « المنذر بقضاء الله راض » .

كان والده الأمير محمد يعتمده كثيراً في حروبه ، وكان على أبواب بربشتر في أقصى الشمال عندما بلغه وفاة أبيه فعاد الى قرطبة حيث أخذت له البيعة . ففرق العطاء في الجند ، وأسقط عن الرعية عشر ذلك العام، وأخذ في الاستعداد

(١) البيان المغرب ، ٢ – ١٧٠ – ١٧٦ ، الكامل ابن الاثير ٧ – ١٤١ – ١٤٥ اخبار مجموعة ١٤٩ ، نفح الطيب ١ – ٣٥٢ ، المغرب في حلى المغرب ١ – ٥٣ ابن خلدون ٤ – ١٣٢ جذوة المقتبس ١٢ ، الاعلام .

لاخضاع حركات التمرد وفي طليعتها ثورة عمر بن حفصون . فسير إلى طيطلة جيشاً وقد بلغه تمردها . فأخضعها وقضى على حركة التمرد ، وفي الوقت ذاته غـزا محمد بن لب زعيم الثغر الأعلى البة والقلاع وقاتل « النصارى » وهزمهم .

في السنة التالية ، قاد المنذر جيشاً كبيراً لتصفية ثورة ابن حفصون ، ووصل بربشتر وحاصرها . وشعر خلالها بالمرض فكتب إلى أخيه عبد الله يطلب اليه الحضور لتولي القيادة ومتابعة الحصار حتى النهاية . وهناك بعض المصادر التي تذكر ان الامير المنذر مات مقتولاً بتأثير أخيه عبد الله الذي أشار إلى الطبيب الذي يعالجه أن يستخدم مبضعاً مسموماً لفصده ، ومات المنذر وهو على أبواب بربشتر فحمله أخوه عبد الله وعاد به الى قرطبة .

ـ كان المنذر كريماً محباً للأدب والأدباء مكرماً للشعراء ولكنه كان أيضاً مر العقاب ، شكس الأخلاق . وان قتله لوزير أبيه ووزيره هاشم بن عبد العزيز نموذج لشدة بطشه . وان اصراره على تصفية ثورة ابن حفصون برهان على تصميمه وقوة ارادته ، وفيه قيل :

بالمنذر بن محمد صلحت بلاد الأندلس

***

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (١)

حياته : ٢٢٩ — ٣٠٠ هـ : ٨٤٣ — ٩١٢ م

امارته : ٢٧٥ — ٣٠٠ هـ : ٨٨٨ — ٩١٢ م

عبد الله بن محمد وكنيته « أبو محمد » وامه تسمى بهار ، وقيل عشار .

بويع في اليوم الذي مات فيه أخوه المنذر في المحلة « على بربشتر » فقفل إلى

(١) ابن عذارى ، البيان ٢ — ١٧٥ — ١٨٢ وما بعده ، ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكي وتاريخ اسبانيا الاسلامية ، تحقيق بروفنسال — ٢٧ — ابن خلدون ٤ — ١٣٢ ابن الاثير ٦ — ٦٥ ، الحلة السيراء ٦٥ ، تذكرة الحفاظ ٢ — ٢٣٩ الاعلام ٤ — ٢٦٢ .

قرطبة باخيه . حيث استتم البيعة فيها . وكانت الأندلس في بداية عهده تضطرم ناراً بعد ان اقتسم الثوار أقاليمها فكان منهم :

	اسم الثائر	مكان الثورة [1]
١	عمر بن حفصون	بربشتر
٢	ابن حجاج	اشبيليه وقرمونه
٣	عبد الرحمن بن مروان الجليقي	بطليوس
٤	عبد الملك بن ابي الجواد	باجة الغرب
٥	ابن السليم	شذونه
٦	ابن الياس	القلعة المنسوبة اليه
٧	خير بن شاكر	شونر
٨	عمربن فصم الهزولي وسعيدبن هذيل	حصن المنتلون
٩	سعيد بن مستنه	باغو
١٠	بني هابيل	حصون جيان
١١	اسحاق بن عطاف	حصن منتاشه
١٢	سعيد بن سليمان بن جودي	غرناطه
١٣	محمد بن أضحى «كبير العرب»	البيره
١٤	أبي بكر بن يحيى	شنت ماريه
١٥	سليمان بن محمد الشذوني	شريش
١٦	عبد الوهاب	مورين
١٧	يحيى التجيبي الأنقر	سرقسطه

ـ وأمام هذا التمزق. تفرقت عن الأمير عبد الله أجناده ، وعجز عن نصرة

قواده . وتضاءلت موارد الجباية ، فالتزم سياسة « التقشف » ، وأنفق الوفر الموجود في خزانة الدولة .

– قضى الامير عبد الله فترة امارته في نضال مستمر ، وصراع متصل ضد الخارجين على الدولة ، وقد استنزفت هذه الأعمال جهد الدولة وامكاناتها .

***

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله « الثالث »

حياته : ٢٧٨ – ٣٥٠ هـ : ٨٩١ – ٩٦١ م

خلافته : ٣٠٠ – ٣٥٠ هـ : ٩١٢ – ٩٦١ م

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل . وأمه ام ولد تسمى ماريا « مرتة أو مزنة » . ولقبه : الناصر لدين الله « أبو المطرف » وكان والده قد قتله أخوه المطرف بن عبد الله في صدر دولة أبيهما وترك ابنه عبد الرحمن ابن عشرين يوماً ، وعندما توفي جده عبد الله تصدى للامارة بحضور أعمامه وأعمام أبيه واجتازها دونهم . واضطلع باعباء الحكم فأظهر مقدرة فائقة في القيادة حتى أصبحت الأندلس أقوى دول عصرها . وأسرع ملوك وحكام الدول شرقيها وغربيها لاكتساب صداقته .

. تسمّى عبد الرحمن بلقب امرة المؤمنين واستمر على ذلك حتى السنة السابعة عشرة من ولايته، وعندما بلغه ما صارت اليه الخلافة العباسية بالمشرق، واستبداد موالي الترك بأمورها ومقتل الخليفة المقتدر بيد مولاه « مؤنس » ، مع ظهور الشيعة بالقيروان ، تسمى بالخلافة فكان أول أمير في الأندلس يدعى« بالخليفة».

– استقبل الناس ولاية عبد الرحمن بن محمد بالتفاؤل لا سيما بعد أن قاد بنفسه أول عمليات القتال لاخضاع حركة عمر بن حفصون فقال ابن عبد ربه صاحب العقد :

بدا الهلال جديداً　　　والملك غض جديد
يا نعمة الله زيدي　　　إن كان فيك مزيد

- كان عبد الرحمن الناصر ، يعرف الرجال ويقدر المواقف بدقة ولعل في جوابه لابن عمه سعيد بن المنذر الذي كان يحاصر ابن حفصون مـا يوضح ذلك حيث كتب له يحذره من غدر ابن حفصون :

[... مهما تحققت من غدر بني حفصون ومكرهم ، فزد فيه بصيره واثبـت على تحقيقك ، ومهما ظننت فصير ظنك تحقيقاً ، فانهم شجرة نفاق أصلهاوفروعها تسقى بماء واحد ، فاهجر فيهم المنام والدعة فالعيون اليهم تنظر والآذان نحوهم تسمع فمتى استنزلتهم من معقلهـم أغناك ذلك عن مكابدة غيرهم ...] فلم يزل سعيد بن المنذر على حصارهم حتى أخضعهم .

- وعرف الخليفة عبد الرحمن الناصر بالبلاغة وقوة الحجة والبيان ، كتب اليه محمد بن عبد الرحمن المعروف بالشيخ . يطلب الصفح عن عصيانه وتمرده فى حصن « لقنت » فأجابه الناصر : [.. ولما رأيناك قد تذرعت باظهار اتقاء الله رأينا أن نعرض عليك أولاً ما لا بد لك منه آخراً وليس من أطاع بالمقال كمـا أطاع بعد الفعال ...] فأسرع محمد المعروف بالشيخ الى قرطبة ، وغادرحصن « لقنت » واستسلم لارادة الخليفة .

وكان عبد الرحمن الناصر قوي الشخصية ، شديد البأس ، كانت عنده جارية بمنزلة حبابة من يزيد بن عبد الملك ، سكر ليلة فأكثر من تقبيلها ، فأكثرت الضجر والتبرم وقبضت وجهها ، فأمر ألا يزال وجهها بلثم بألسنة الشمع وهي تستغيث فلا يرحمها حتى هلكت .

- وحاول ابنه عبد الله تنظيم مؤامرة لقتله وأخذ الخلافة ، فأمـر باحضار ابنه عبد الله وقتله ذبحاً بيده .

- تولى الوزارة في عهد الخليفة عبد الرحمن شخصـان تميزا بالكفاءة والقدرة

وهما عبد الملك بن جهور ، وأحمد بن عبد الملك بن شهيد ، وكان لهما دور كبير في ادارة شؤون الخلافة وتعزيز قدرتها .

– استقبل عبد الرحمن الثالث امور ولايته بعزيمة لا تلين ، فعمل على اخماد الفتن الداخلية والقضاء على حركات التمرد واستنزل العصاة من معاقلهم وحصونهم ، وعمل على نشر الأمن والاستقرار في ربوع الأندلس ، فأخذت مدن الاندلس تدين له بالطاعة واحدة بعد أخرى بداية من اشبيلية والجرف ونهاية بعمر بن حفصون في بربشتر وطليطلة التي اسلمت له القياد عام ٣٢٠هـ . وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر يعامل الناس حسب درجة عدائهم لخلافته . فكان يغدق على العصاة الذين يستسلمون له ويكرمهم ، ويوسع عليهم ، وكان مقابل ذلك شديد الوطأة على من يستمرون في مناوءته ، وكان للنصارى وضع خاص عنده بسبب ما أظهروه من العداء المستمر والتحريض الدائم على السلطة . أما بالنسبة لدول الشمال فكان له أسلوبه أيضاً والذي يتلخص في « تدمير هذه الدول دون هواده وعدم اعطاءها الفرصة للقيام بهجوم ضده » مع تركيز الجهد على تمزيق كل تحالف ضده واحباطه في مهده .

– نتيجة لهذه السياسة الحكيمة ، ازدهرت دولة الاندلس ، وبلغ فيها الرفاه مبلغاً لم يتحقق من قبل حتى بلغت [الجباية في عهده خمسة آلاف الف وأربعمائة الف وثمانين الف دينار ، ومن السوق والمستخلص سبعمائة الف وخمسة وستين الف دينار ، وأما أخماس الغنائم العظيمة فلا يحصيها ديوان ..] وهذا يعني أن موازنة الدولة بلغت في عهد عبد الرحمن الثالث مقدار ستة ملايين ومائتين وخمسة وأربعين الف دينار (٦٫٢٤٥٫٠٠٠) دينار بالاضافة الى أخماس الغنائم ، واستمر الخليفة عبد الرحمن في تقسيم الموازنة على نحو ما كانت عليه في السابق (ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر ..) . وقد ساعد هذا الرفاه الاقتصادي على دعم الدولة بجيش قوي وصل عدده في بعض غزواته حتى (١٠٠٫٠٠٠) مائة الف مقاتل ، كما ساعد على اظهار قوة الدولة فأسرع خصومها إلى تقديم الطاعة ، واسرع

الآخرون الى اكتساب صداقتها ، وقد زاد في قوة الاسطول حتى بلغ عدد القطع البحرية مائتي سفينة (٢٠٠) .

أظهر عبد الرحمن الناصر اهتماماً كبيراً بإظهار دولته بمظهر القوة والتنظيم، وساعد الدخل المرتفع على الاضطلاع بالمشاريع العمرانية الضخمة ، ومن أبرز اعماله في هذا المجال ، توسيع جامع قرطبة وبناء مدينة الزهراء. وان الآثار الخالدة التي تركها في الاندلس لا زالت تشهد بعظمة ما وصلت اليه الدولة في عهده من القوة المقترنة بالترف ، وهي برهان على ما وصل اليه الفن المعماري من تطور في عهد المسلمين مما يعتبر مفخرة لا زالت تزدهي بها الاندلس. ويذكر المؤرخون الاندلسيون عن عمارة الزهراء فيقولون :

[... كان يتصرف في عمارة الزهراء كل يوم من الخدام والفعلة عشرة آلاف رجل ومن الدواب الف وخمسمائة دابة ..] وقال ابن حيان :[كان ـ الناصر ـ يثيب على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير سوى ما كان يلزمه من النفقة على قطعها ونقلها ومؤونة حملها وجلب اليها الرخام الأبيض من المَرية. والمجزع من رية والوردي والاخضر من افريقية ، اسفاقس ، وقرطاجنة والحوض المنقوش المذهب من الشام ، وقيل من القسطنطينية ... وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة . وهذا المجلس في وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق ... وكان هذا المجلس يدور ويستقبل الشمس ... وقد تهيأ له لكثرة الزئبق عندهم ..]

– وقد أخذت وفود الدول وسفراؤها في الوصول الى قرطبة حيث حل بها عام ٣٣٦ هـ وفد بيزنطه يحمل رسالة قسطنطين بن ليون ومعه هدية فاخرة ، ثم رجع الى بلاده ومعه وفد عربي برئاسة هشام بن هذيل ..

– وأرسل ملك الصقالبة « اوتون »[١] وفداً أقام سنتين ثم عاد الى بلاده ومعه وفد من قرطبة برئاسة الاسقف « ربيع » .

---

(١) اوتون : Otton .

- وأرسلت المانيا وفداً مماثلاً .

- كما أرسل مركيز البروفانس[1] وفداً الى الناصر .

- وأرسل غيدو[2] بن البرت مركيز تسكانيا وفداً، وعندما وصل برشلونه انضم اليه وفد باسم ملك برشلونه وطركونه ..

- وفي عام ٣٤٧ هـ : وكان غرسيه بن شانجه قد تولى حكم جيليقية بعد وفاة أبيه شانجه بن فرويله[3] فطمع فرديناند حاكم قشتاله في ضم جيليقية الى مملكته، ونجح في ذلك ، فغضبت « طوطه » ملكة البشكنس[4] وتوجهت مع ابنها شانجه فاستقبلهم الناصر استقبالاً رائعاً وعقد لطوطه وابنها شانجه على البشكنس، كما أرسل جيشاً لدعم غرسيه بن شانجه ومساعدته على استرجاع مملكته جيليقيه وانتزاعها من سيطرة ملك قشتاله ..

- اخذت مراسم استقبال الوفود في عهد الناصر طابعاً خاصاً تميز بالبذخ والعظمة ، فكانت الزهراء وقرطبة تزدحم بالسكان وتغص بآلاف النظارة ، وكانت ظواهر العظمة تتزايد كلما اقترب الزائر من القصر ، حتى كانت الوفود تصاب بالذهول وهي تترجل امام ابواب القصر وكثيراً ما كان افراد الوفود يقومون بتصرفات تشير الى فقد سيطرتهم على انفسهم وتدل على قدر الذهول الذي هيمن عليهم ..

- قضى الناصر فترة حكمه الطويل وهي نصف قرن في نضال مستمر وعمل دائم حتى استطاع رفع الدولة الأموية من هاوية التمزق الى قمة الرفعة والقوة . وقد وجد عند وفاة الناصر ورقة بخط يده كتب فيها الساعات والأيام التي قضاها الناصر في صفاء بعيداً عن مشاغل الدولة ومتاعبها فكانت بمجموعها **[أربعة عشر يوماً]** فقط ..

---

(١) مركيز البروفانس : Hugues d'arles .

(٢) غيدو ، دوق تسكانيا : guido

(٣) فرويلة Fruela .

(٤) المقصود بها هنا مملكة « نافار » .

– كان الناصر يحترم العلم والعلماء ويبذل الكثير لتشجيع الكتابة والتأليف وجمع الكتب فأصبحت قرطبة حاضرة الدنيا في العلم والثقافة ..

– توفي الناصر بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال ، وكان مأتم القصر يوم وفاته يتناسب مع عظمة الراحل ، وسع ما وصلته الدولة الاسلامية في الأندلس خلال فترة حكمه[1] .

***

الحكم بن عبد الرحمن « المستنصر »

حياتـه : ٣٠٢ – ٣٦٦ هـ = ٩١٤ – ٩٧٦ م

خلافته : ٣٥٠ – ٣٦٦ هـ = ٩٦١ – ٩٧٦ م

الحكم بن عبد الرحمن . لقبه : « المستنصر بالله » . أمه : أم ولد ، اسمها مرجانه أو مهرجان عند ابن عذارى .

ولد بقرطبة ، وولي الخلافة بعـد أبيه . ويذكر المؤرخون الصورة التي تمت فيها البيعة والتي تدل على ما وصلت اليه الدولة الاسلامية في الأندلس من التنظيم والعظمة فنطالع :

[... اعتلى الحكم المستنصر سرير الملك ثاني يوم وفاة أبيه ، وقام بأعباء الملك أتم قيام ، وأنفذ الكتب الى الآفاق بتمام الأمر له ، ودعا الناس الى بيعته، واستقبل من يومه النظر في تمهيد سلطانه وتثقيف مملكته وضبط قصوره وترتيب أجناده وأول ما أخذ البيعة على صقالبة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء الأكابر، كجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم وتكفلوا بأخذهـا على مَنْ

(١) نفح الطيب ١ – ٣٥٣ – ٣٨٢ و ٤٩٠ – ٥٢٠ ، الكامل في التاريخ ، أحداث السنوات ، المغرب في حلى المغرب ١ – ١٨٠ – ١٨٢ تاريـخ ابن خلدون ٤ – ١٣٧ ، البيان المغرب ٢ – ٢٣١ – ٢٥٢ . الحلة : ١ – ١٣٢ . جذوة المقتبس ١٢٣ . أزهـار الرياض ٢ – ٢٧٠ – ٢٨٥ .

وراءهم وتحت أيديهم من طبقتهم وغيرهم وأوصل الى نفسه في الليل دون هؤلاء الأكابر من الكتاب والوصفاء والمقدمين والعرفاء فبايعوه فلما كملت بيعة أهل القصر تقدم الى عظيم دولتـه جعفر بن عثمان بالنهوض إلى أخيه شقيقه أبي مروان عبيد الله المتخلف بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة وتقدم إلى موسى بن أحمد بن حدير بالنهوض أيضاً الى أبي الأصبغ عبد العزيز شقيقه الثاني ، فمضى اليهما كل واحد منهما في قطيـع من الجند وأتيا بهما الى قصر مدينة الزهراء ونفذ غيرهما من وجوه الرجال في الخيل لإتيان غيرهما من الأخوة وكانوا يومئذ ثمانيـــة فوافى جميعهم الزهراء في الليل فنزلوا في مراتبهم بفصلان دار الملك ، وقعدوا في المجلسين الشرقي والغربي وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في البهو الأوسط من الأبهاء المذهبة القبلية التي في السطح الممرد فأول من وصل اليه الإخوة فبايعوه وأنصتوا لصحيفة البيعة والتزموا الأيمان المنصوصة بكل ما انعقد فيهـا ، ثم بايـع بعدهم الوزراء وأولادهم وإخوتهم ثم أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة وقعـــد الإخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله ، إلا عيسى بن فطيس فانه كان قائماً يأخـذ البيعة على الناس وقام الترتيب على الرسم في مجالس الاحتفال المعروفة فاصطف في المجلس الذي قعد فيه أكابر الفتيان يمينـــاً وشمالاً الى آخر البهو كل منهم على قدره في المنزلة عليهـم الظهائر البيض شعار الحزن قـد تقلدوا فوقها السيف ثم تلاهم الفتيان الوصفاء عليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية صفين منتظمين في السطح وفي الفصلان المتصلة به ذوو الأسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان لابسين البياض ، بأيديهـم السيوف يتصل بهم من دونهم من طبقـات الخصيان الصقالبة ، ثم تلاهم الرماة متنكبين قسيهم وجعابهم ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول شاكين في الأسلحة الرائقة والعـــدة الكاملة ، وقامت التعبية في دار الجند والترتيب من رجاله العبيد عليهم الجواشن والأقبية البيض ، وعلى رؤوسهم البيضات الصقلية وبأيديهم التراس الملونـــة

والأسلحة المزينة انتظموا صفين الى آخر الفصل وعلى باب السدة الأعظم البوابون وأعوانهم ومن خارج باب السدة فرسان العبيد الى باب الأقباء واتصل بهم فرسان الحشم وطبقات الجند والعبيد والرماة موكباً إثر موكب الى باب المدينة الشارع الى الصحراء ...]

– اتبع الحكم المستنصر خطوات أبيه في القيادة والادارة ، فحقق الأمن والاستقرار في الداخل ، وردع أعداء البلاد في الخارج وحطم بقوة كل مقاومة جابهته ، فضمن بذلك استمرار الازدهار واستطاع متابعة النهضة العمرانية التي كان قد بدأها والده ..

– ركز الحكم جهده على اخضاع افريقية ووجه القوات اليها فخضعت له ، وتلقى دعوته ملوك زناته من مغراوه ومكناسه فبثوها في أعمالهم وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ، كما استنزل بني ادريس من ملكهم بالعدوه في ناحية الريف ونقلهم الى قرطبة ثم جلاهم الى الاسكندرية في مصر ..

– وكان الحكم محباً للعلم والعلماء ، مشجعاً للكتابة والتأليف ، عاملاً على ضم الكتب الى مكتبته حتى أصبح لديه خزائن من الكتب لم تكن لأحد قبله ولا من بعده .. وقيل انها كانت أربعمائة ألف مجلد ، وأنهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها .

– حافظ الخليفة الحكم المستنصر على ظواهر الأبهة التي ورثها عن أبيه وزاد عليها وفي قصة استقباله لاردون سنة ٣٥١ هـ – ٩٧٢ م ما يوضح قدر ما وصلت اليه دولة الاسلام في الاندلس من العظمة في البذخ والترف :

[... أخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله موليه محمداً وزياداً ابني افلح الناصري بكتيبة من الحشم لتلقي غالب الناصري صاحب مدينة سالم المورد الطاغية ليون بن الفونس – أردون بن أذفونش – وتلقاهم ابنا أفلح بالجيش المذكور فأنزلاهم ، ثم تحركا بهم ثاني يوم نزولهم الى قرطبة فأخرج المستنصر

بالله اليهم هشاماً المصحفي في جيش عظيم كامل التعبية وتقدموا الى باب قرطبة فمروا بباب قصرها ، فلما انتهى ليون الى ما بين السدة وباب الجنان سأل عن مكان رمس الناصر لدين الله فأشير الى ما يوازي موضعه من داخل القصر في الروضة ، فخلع قلنسوته وخضع نحو مكان القبر ودعا ، ثم رد قلنسوته الى رأسه ، وأمر المستنصر بانزال – ليون – في دار الناعورة ، فأقام بها الخميس والجمعة فلما كان يوم السبت تقدم المستنصر بالله باستدعاء ليون ومن معه بعد اقامة الترتيب وتعبية الجيوش والاحتفال في ذلك من العدد والأسلحة والزينة ، وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في المجلس الشرقي من مجالس السطح وقعد الاخوة وبنوهم والوزراء ونظراؤهم صفاً في المجلس ... فأتى محمد بن القاسم بن طملس بالملك – ليون – وأصحابه وقد حفته جماعة من نصارى وجوه الذمة بالأندلس يؤنسونه ويبصرونه ، فيهم وليد بن خيزران – حيزون – قاضي النصارى بقرطبة وعبيد الله بن قاسم – مطران طليطله – وغيرهما فدخل بين صفي الترتيب يقلب الطرف في نظم الصفوف ويجيل الفكر في كثرتها وتظاهر أسلحتها ورائق حليتها فراعهم ما أبصروه وصلبوا على وجوههم ، وتأملوا ناكسي رؤوسهم غاضين من أجفانهم قد سكرت أبصارهم حتى وصلوا الى باب الأقباء أول باب قصر الزهراء ، فترجل جميع من كان خرج الى لقائه ، وتقدم الملك ليون وخاصة القوامس – الكونت – على دوابهم حتى انتهوا الى باب السدة فأمر القوامس بالترجل هناك والمشي على الأقدام فترجلوا ودخل الملك ليون وحده راكباً مع محمد بن طملس ، فأنزل في باب البهو الأوسط من الأبهاء القبلية التي بدار الجند على كرسي مرتفع مكسو الأوصال بالفضة ، ... فقعد ليون على الكرسي وقعد أصحابه بين يديه ، وخرج الإذن من المستنصر بالله بدخول ليون عليه فتقدم يمشي وأصحابه يتبعونه الى ان وصل الى السطح ، فلما قابل المجلس الشرقي الذي فيه المستنصر بالله وقف وكشف رأسه وخلع برنسه وبقي حاسراً اعظاماً لما ظهر له

من الاقتراب الى السرير . واستنهض فمضى بين الصفين المرتبين في ساحة السطح الى أن قطع السطح وانتهى الى باب البهو ، فلما قابل السرير خر ساجداً سويعة ثم استوى قائماً ثم نهض خطوات وعاد الى السجود ووالى ذلك مراراً الى ان قدم بين يدي الخليفة وأهوى الى يده فناوله إياها وكر راكعاً مقهقراً على عقبه الى وساد ديباج مثقل بالذهب ... فجلس عليه والذهول قد هيمن عليه ... ووصل بوصولهم وليد بن خيزران قاضي النصارى بقرطبة فكان الترجمان عن الملك ليون ذلك اليوم ،فأطرق الحكم عن تكليم ليون وقتاً كيما يفرج روعه ...]

– توفي الحكم المستنصر بعد أن ترك دولة قوية البنيان ، عزيزة المكانة ودفن بقرطبة [1] ..

***

المنصور أبو عامر « العامريين »

حياته : ٣٢٦ – ٣٩٢ هـ = ٩٣٨ – ١٠٠٢ م

حكمه : ٣٦٦ – ٣٩٢ هـ = ٩٧٦ – ١٠٠٢ م

محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن سويد بن عبد الملك ، وعبد الملك جده هو الداخل للأندلس مع طارق في أول الداخلين من العرب وهو وسيط قومه ..

– خلف الحكم المستنصر ابنه هشاماً ، وهو غلام لا يزيد عمره عن تسع سنين وقامت على الوصاية أمه صبح فوثقت بابن عامر لما عرفته فيه من القدرة على

---

(١) نفح الطيب ٣٨٢/١ – ٣٩٦ . المغرب في حلى المغرب ١٨١/١ – ١٨٢ ، الكامل ابن الأثير ٣٦٠/٦ واحداث السنين ، ابن خلدون ١٤٤/٤ ، جمهرة انساب العرب ٩٢ ، جذوة المقتبس ١٣ ، البيان المغرب احداث السنين ، غزوات العرب ١٩ ، ١٨٢ – ١٩٢ ، ازهار الرياض ٢٨٦/٢ – ٢٩٤ ، الاعلام ٢٩٥/٢ .

الاضطلاع بأعباء الدولة ولما لمسته فيه من الرجولة ، فأخـذ في التمهيد لسلطانه والقضاء على خصومه ومنافسيه حتى استتب له الأمر ، واستأثر بالحكم وحجب هشام المؤيد الخليفة الشرعي فلم يبق له من الخلافة إلا اسمها وكانت أول خطواته القضاء على الصقالبة الموالين للخليفة الشرعي ، ومصادرة أموالهم . وتبع ذلـك القضاء على الحاجب المصحفي ، منافسه في الحكم والوزارة .

– كان المنصور ابو عامر كثير الغزاة للعدو حتى بلغت غزاته نيفاً وخمسون غزوة وله فتوح كثيرة وكان في اكثر زمانه لا يخل بغزوتين في السنة ، وكانت غزوة « شنت ياقب » اكثر غزواته شهرة ، وقد ضم جيشه من المرتزقة فقط عشرين الف مرتزق . .

– عندما استتب الأمر للمنصور أبو عامر ، قام ببناء الزاهرة ، لمنافسـة الزهراء وأمر بالانتقال اليها وجعلها « عاصمة له » .

– كان المنصور يعرف الرجال ويقدرهم حق قدرهم ، ويقرب اليـه العلماء والأدباء والشعراء ، عادلاً .. وكان الى ذلك صلباً ، يطالب جنـده بالانضباط الشديـد .

[... وقف المنصور ابو عامر يستعرض جنده ... وكانت مواقفهم في الميدان على احتفاله مثلاً في الاطراق ، حتى إن الخيل لتتمثل إطراق فرسانها فلا تكثر الصهيل والحمحمة ، ولقد وقعت عينه على بارقة سيف قد سله بعض الجند بأقصى الميدان لهزل أو جد بحيث ظن ان لحظ المنصور لا يناله فقال : علي بشاهر السيف ، فمثل بـين يديه لوقته فقال : ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيـه الا عن اذن ؟ فقال إني أشرت بـه الى صاحبي مغمداً فزلق من غمده . فقال ان مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وأمر به فضربت عنقه بسيفه وطيف برأسه ونودي عليه بذنبه ...] ..

– كان المنصور قائداً فذاً ، قاد غزواته كلها ، فلم تنتكس له راية ولا فل له جيش وما أصيب له بعث وما هلكت له سرية وأجـاز عساكره الى

العدوه - المغرب - وضرب بين ملوك البرابرة وضرب بعضهم ببعض فاستوثق له ملك المغرب وأخبتت له ملوك زناته وانقادوا لحكمه وأطاعوا سلطانه .

- اعتنى المنصور أبو عامر بجمع ما علق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منزله حتى اجتمع له صرة ضخمة ، عهد بتصييره في حنوطه وكان يحملها حيث سار، معه اكفانه توقعاً لحلول منيته ، وقد كان اتخذ الأكفان من أطيب مكسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزل نباته، وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد، فكان كذلك حيث توفي ودفن بمدينة « سالم » وكتب على قبره :

آثاره تنبيك عن أوصافه   حتى كأنك بالعيان تراه

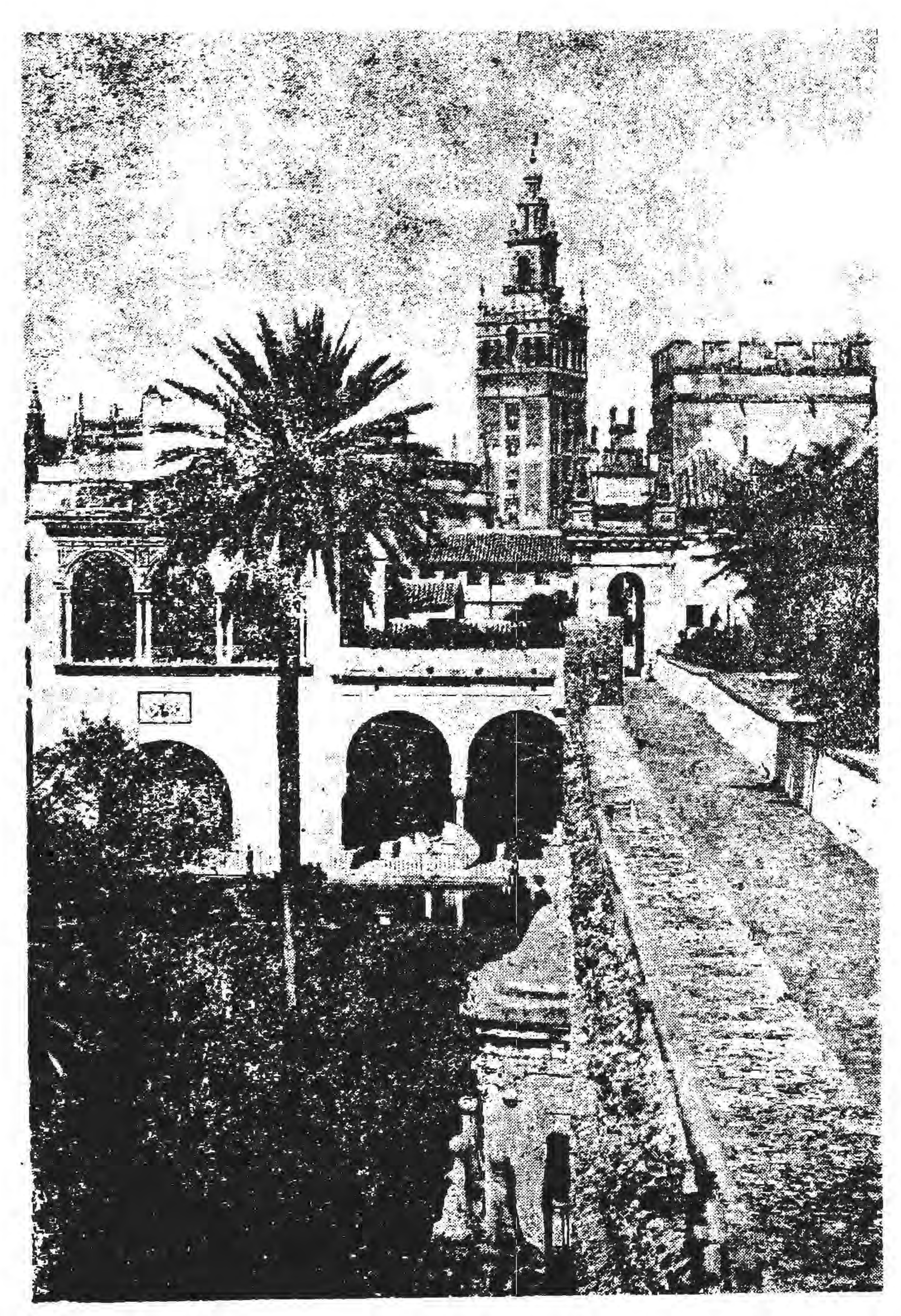
تالله لا يأتي الزمان بمثله   أبداً ولا يحمي الثغور سواه

---

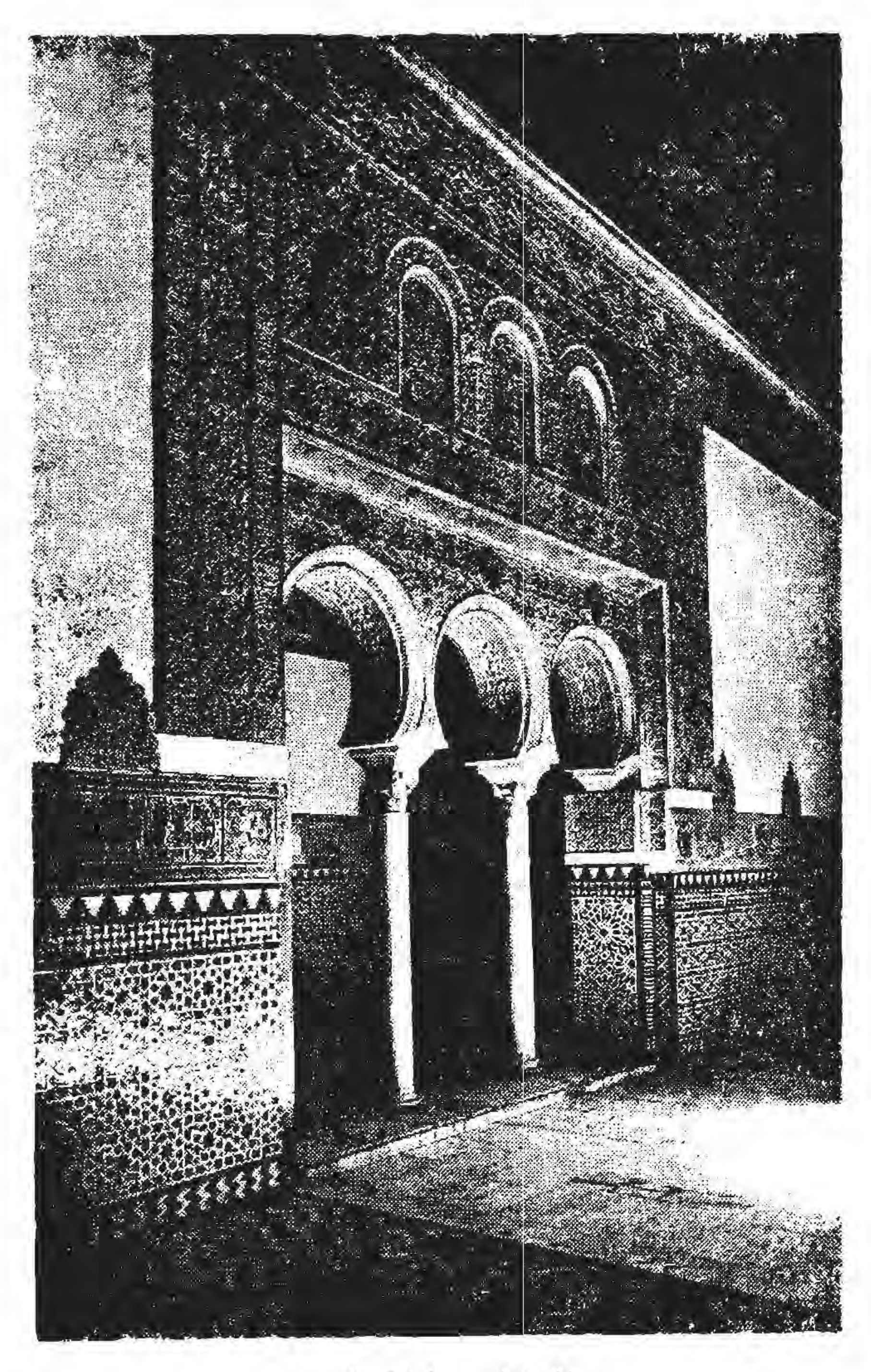
(١) المغرب في حلى المغرب ١/١٩٤ - ١٩٨ . نفح الطيب ١/٣٩٦ - ٤١٦ . غزوات العرب ١٩٢ - ١٩٧ . تاريخ قضاة الاندلس ٨٠ . ابن خلدون ٤/١٤٧ . الحلة السيراء ١٤٨ ابن الأثير ٧/٢١٧ - ٢١٨ . الوافي بالوفيات ٣/٣١٢ . الذخيرة ابن بسام المجلد الاول من القسم الرابع ٣٩ - ٥٨ . البيان المغرب ٢/٣٠١ . بغية الملتمس ١٠٥ . الاعلام ٧/٩٩ .

من ذكريات الماضي

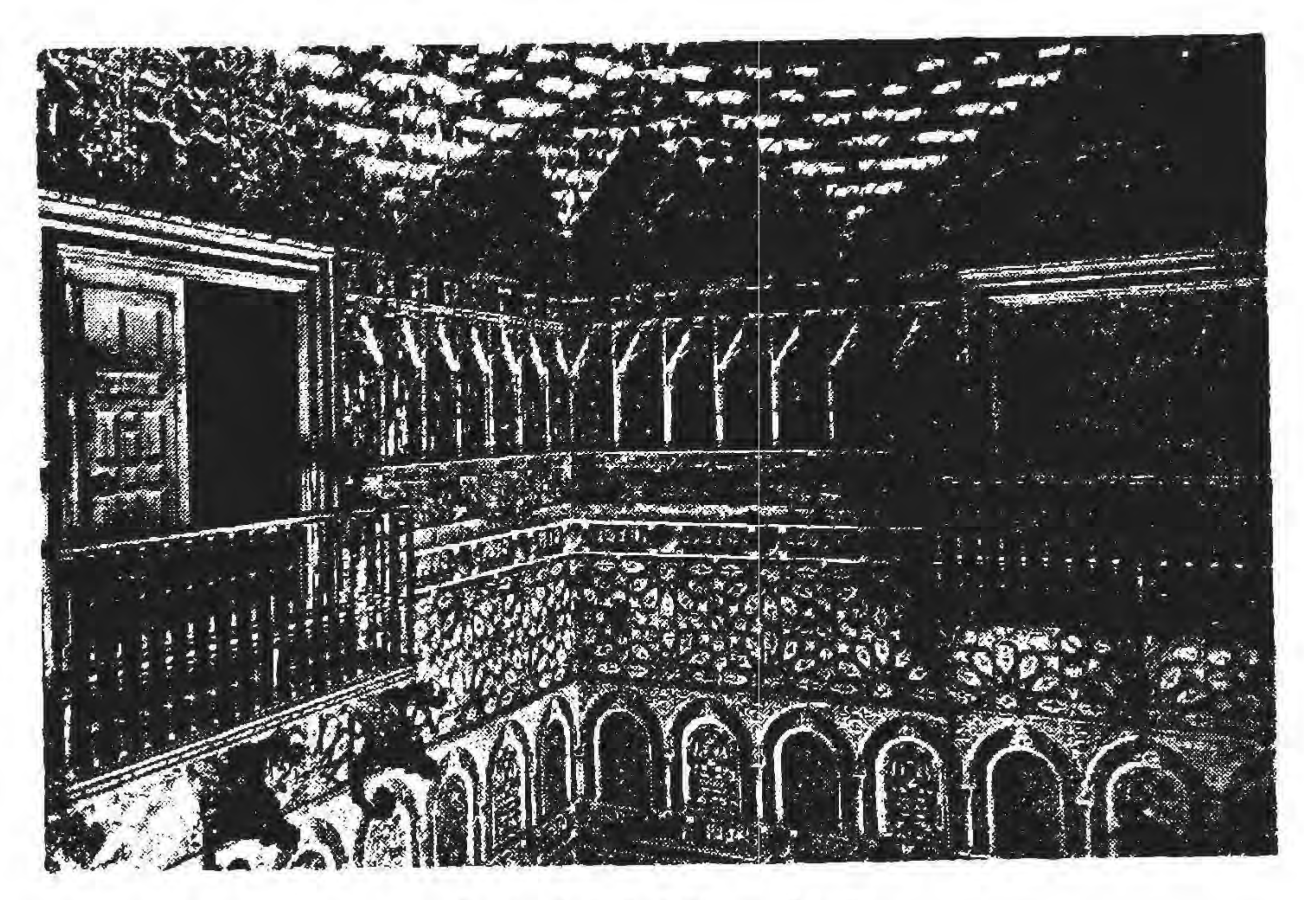
آثار العرب في الاندلس



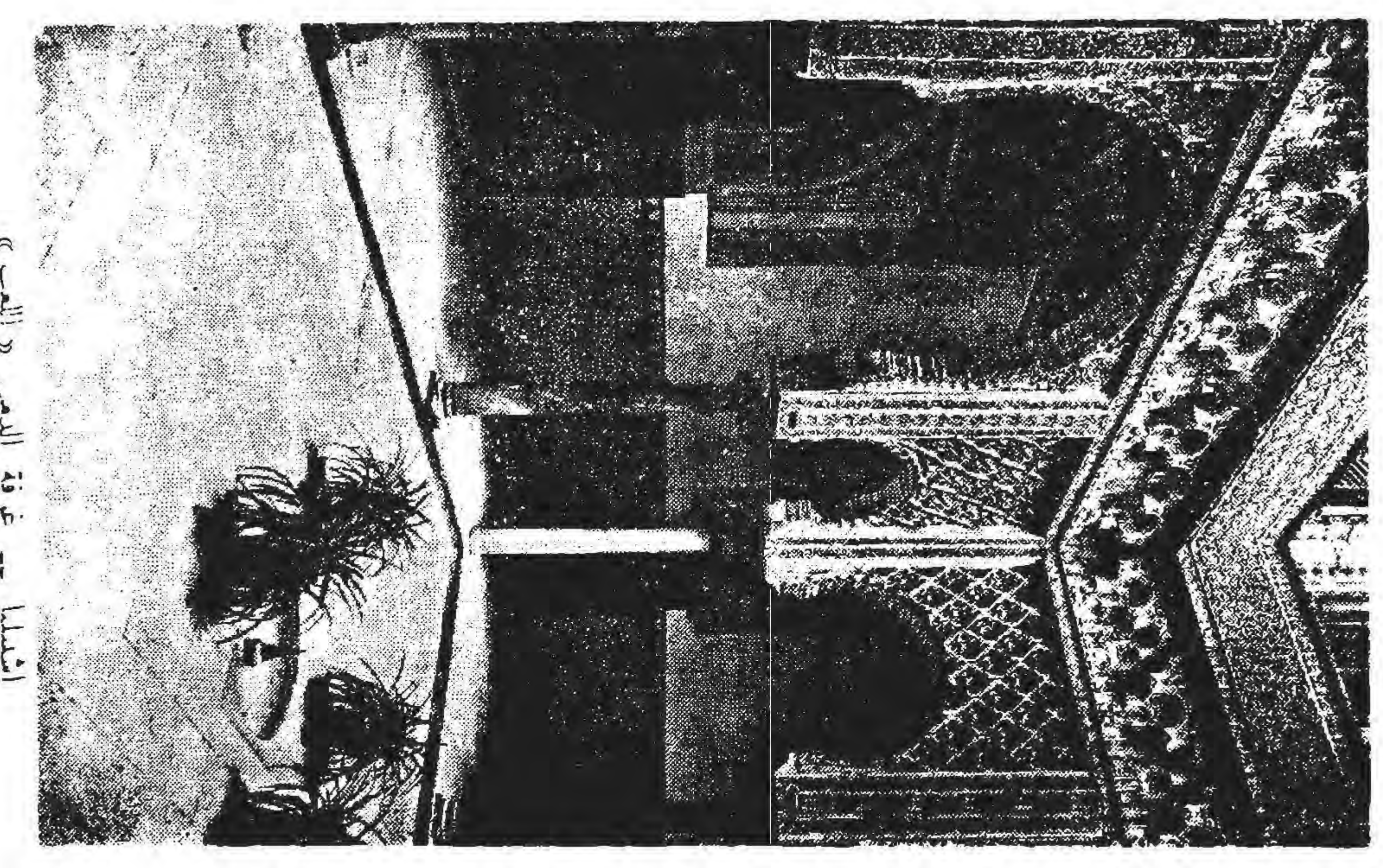
اشبيليا - مئذنة الجامع « الجيرالدا »



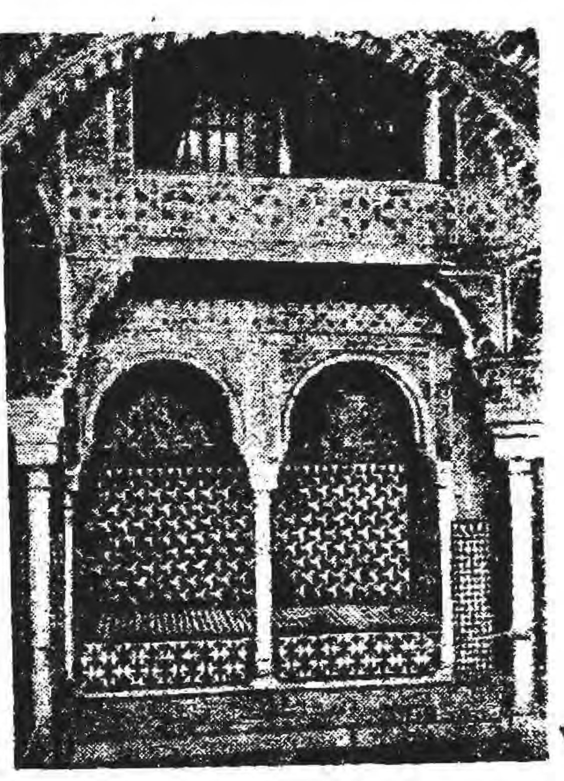
اشبيليا — غرفة النوم



اشبيليا – قاعة السفراء في القصر



اشبيلية – غرفة الدمى « اللعب »



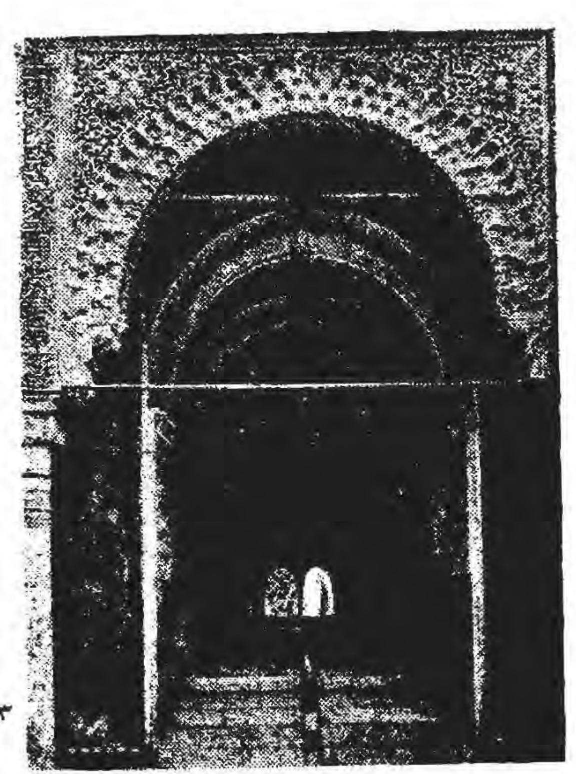
٢



١



٤

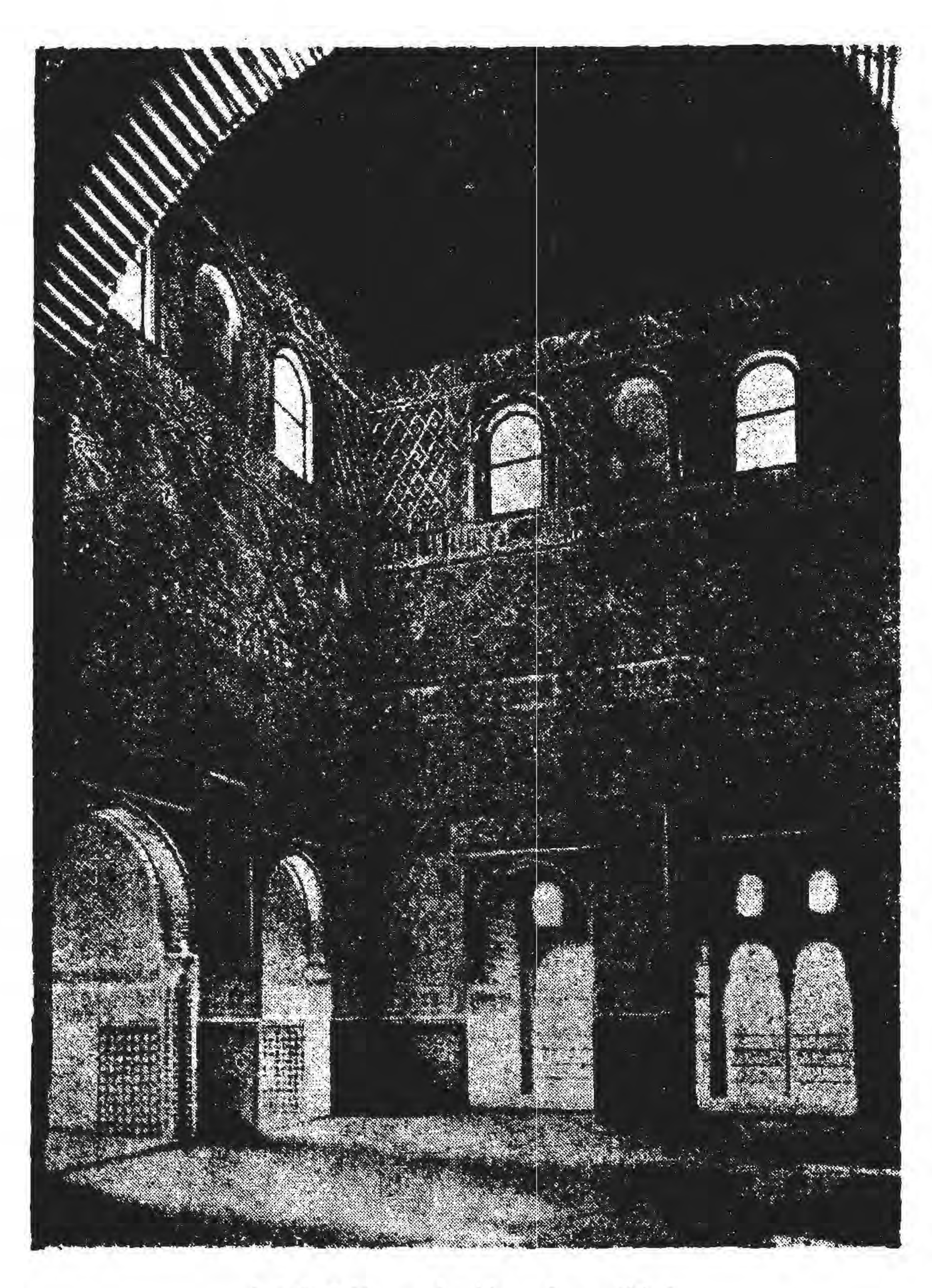


٣

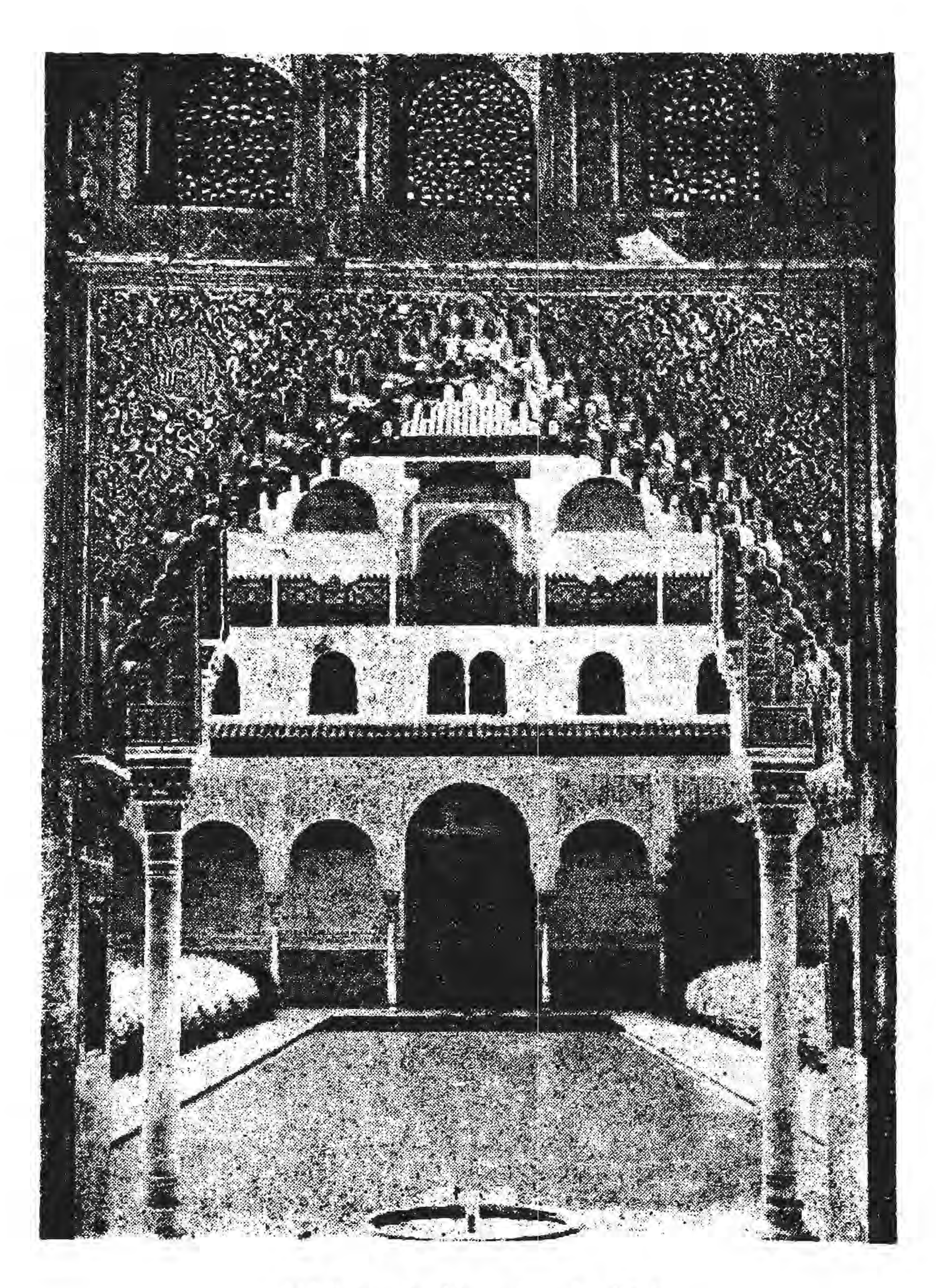
غرناطـــة – قصر الحمراء

١ – المدخـــل ٢ – صالة الاستراحة

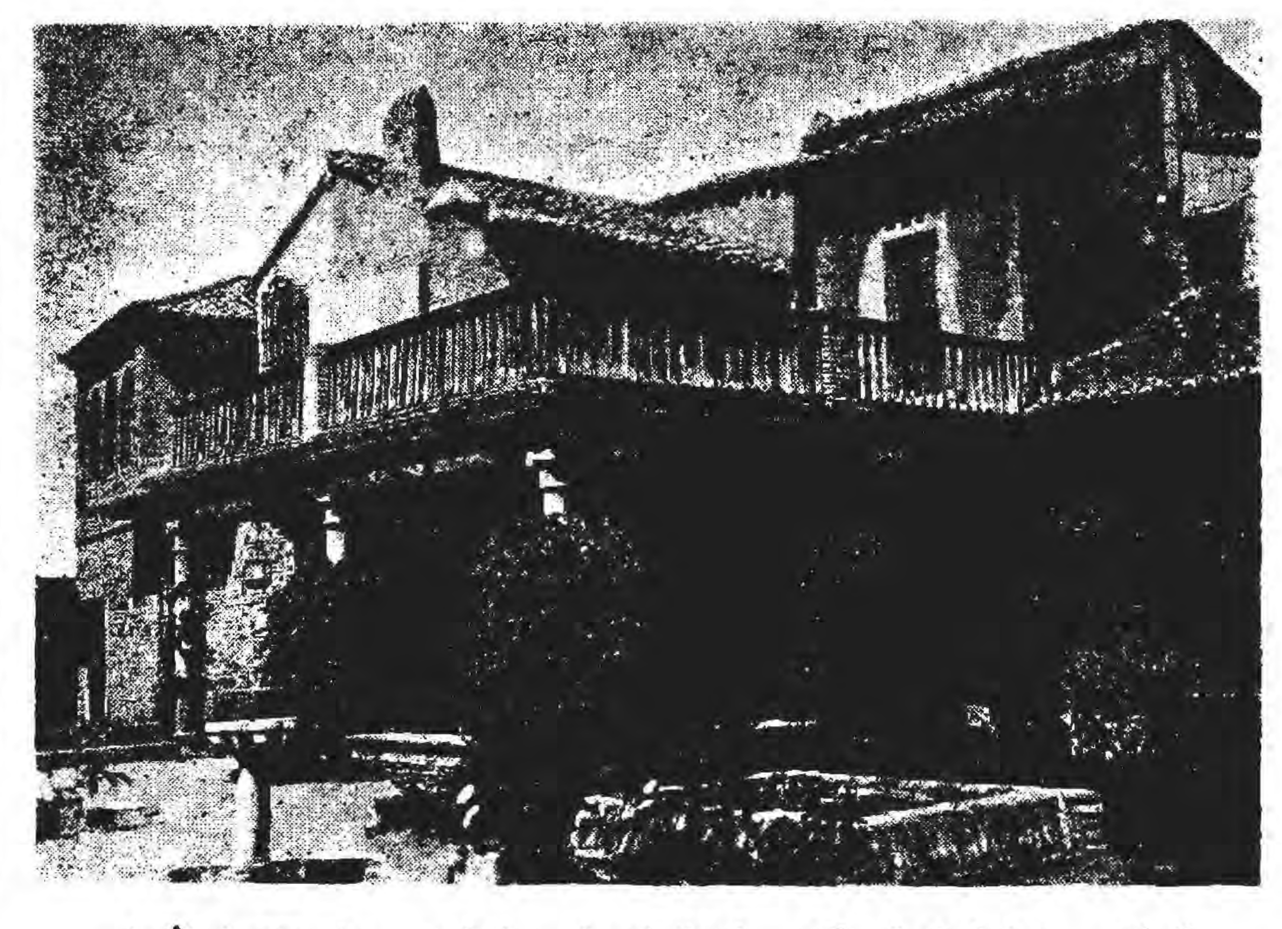
٣ – الممر الى القصر الداخلي ٤ – قاعة ابن سراج



غرناطة - قصر الحمراء - قاعة السفراء

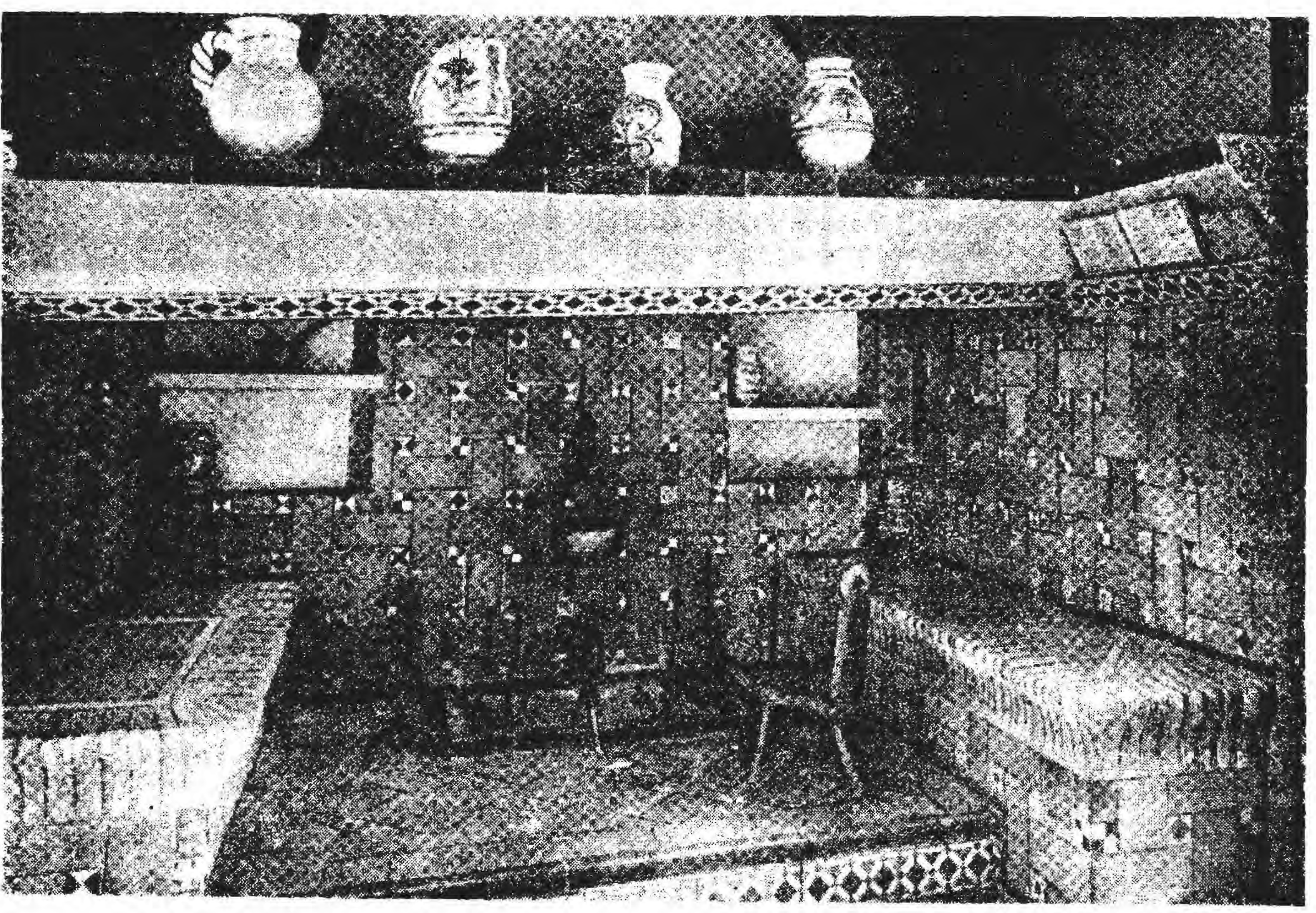


غرناطـــة ـ قصر الحمراء من الداخل



طليطلة - منزل الفنان الغريكو . لا زال الفن العربي في العماره يحتل مكانته في الأندلس

منزل الفنان الغريكو (مشهد آخر)



غرفة من منزل الفنان الاسباني « الفريكو » بمساطبها ، وزخرفتها ، ونموذج عمارتها تعيش ذكرى أيام العرب المسلمين .